

مَشَاهِيرُ وَتَارَةُ الْعَالَمِ



الحارث بن هشام بن عبد مناف

١٨٥١ - ١٩٢٩

تأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

مِشَاهِيرُ وَتَارَةُ الْعَالَمِ

الحامِيسُ الفَرْدِيَانِيَانِ فَوْسُ

١٨٥١ - ١٩٢٩

تَأَلِيفُ
بِسْمِ الْمَوْلَانِ الْعَسْكَرِيِّ

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

جميع الحقوق محفوظة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارنغتون - ساحة الجزيرة - ت ١ / ٨٠٧٩٠٠
بئرقيس - موكيال - بيروت - من. ب. ١١ / ٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٣



المارشال فرديناند فوش

١٨٥١ - ١٩٢٩

MARÉCHAL (FOCH) FERDINAND

تأليف
بسماعل الحسني



فوش

۱۹۲۹ - ۱۸۵۱

المقدمة

لكل أمة روادها وقادتها الذين يضيئون ظلمتها في حالك الليل القاتم، فتهتدي الأمة بهداهم، وتسير على نهجهم، ويتعاضم دور هؤلاء الرواد والقادة، عندما يتجاوزون في عطاءاتهم - الفكرية - حدود بلادهم، ورحاب أقطارهم. كما تتعاضم قيمة العطاء، عندما يتجاوز في فائدته وأهميته حدود اختصاص معين، أو علم محدد، فيتنفع به أكبر قدر من الناس في حاضرهم ومستقبلهم. وهكذا كان (المارشال فوش) رائد الفكر العسكري الفرنسي في مطلع القرن العشرين - وفي الربع الأول منه على وجه التحديد -. فقد جاء (فوش) الى عالم (الفكر العسكري) في مرحلة المخاض التي عاشتها فرنسا في أعقاب الحرب البروسية - الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١م) والتي هبطت بمكانة فرنسا المهزومة على مسرح أوروبا إلى درجة الحضيض. ومزقت المجتمع الفرنسي تمزيقاً رهيباً تطلب كثيراً من الجهد وكثيراً من المعاناة حتى يسترد بعضاً من (عافيته) وبعضاً من (الثقة بنفسه). ولما كانت الهزيمة العسكرية التي أنزلتها بروسيا بفرنسا هي سبب كل ما نزل بالمجتمع الفرنسي، فقد كان لا بد للخروج من المأزق من البحث عن (تطوير

عسكري يؤدي للنصر). وكان لا بد أيضاً من البحث عن عوامل هذا النصر في وسط عسكرية العدو ذاته. وقد كانت المدرسة العسكرية البروسية متقدمة على كل ما عداها من المدارس العسكرية الأوروبية، وظهر فيها كتاب ومنظرون كبار من أمثال (كلاوزفيتز) وإلى هؤلاء، وإلى كلاوزفيتز بالذات توجه قادة المدرسة العسكرية الفرنسية وفي طليعتهم (فوش) للتعلم والدراسة والبحث.

لقد تميز القرن التاسع عشر بانصراف عدد كبير ممن مارسوا (مهنة الحرب) وعرفوا معاناتها، وأذهلتهم ظواهرها المتنافرة أحياناً والمنسجمة في أحيان أخرى، إلى محاولات تحديد أسس ثابتة وقواعد محددة تكون دليلاً للعمل، وموجهاً للجهد الحربي، فاحتل البروسي (كلاوزفيتز) مرتبة الريادة، وعلى نهجه سار عدد من رواد كل أمة أوروبية. فتشكلت بذلك المدارس الفكرية العسكرية، وكان لكل مدرسة فضائلها ومميزاتها واسلوبها في النظرة إلى شؤون الحرب ومعالجتها. وقد قيل بهذا الصدد ان (فوش) لم يكن إلا ناقلاً لأفكار (كلاوزفيتز) وإلا مستطعاً لدروس (تجربة الحروب النابوليونية). غير أن هذا القول ينتقص كثيراً من عطاءات (فوش) الذي لم يكن أبداً مجرد ناقل سلبي لخلاصة التجارب السابقة بل إن عمله قد انتج ابداعاً رائعاً عندما تمكن من (برمجة) تلك التجارب في اطار (مبادئ الحرب) فأظهر - على سبيل المثال - أهمية: «مبدأ الاقتصاد في القوى، ومبدأ حرية العمل، ومبدأ حرية استخدام القوات، ومبدأ الأمن. . الخ». وقد حاول أصحاب المدارس الفكرية العسكرية في العالم بعد ذلك إضافة مبادئ جديدة - كالمباغته والمبادأة ووحدة القيادة وتوازن المؤخرات الخ. . . كما حاولت تلك المدارس اعطاء أفضلية في ترتيب تلك المبادئ بحسب أهميتها، وبحسب تأثيرها على مسار الحروب، غير أن الأمر الذي لا يقبل الجدل أو النقاش هو أن (فوش) قد استطاع بعمله، وبانجازه، الاسهام الى حد بعيد في برمجة الفكر العسكري العالمي، مما وضعه عن جدارة واستحقاق في مرتبة رواد الفكر الاستراتيجي العالمي.

لقد عمل (فوش) تلميذاً من تلاميذ (التاريخ العسكري) ثم عمل

استاذاً من اساتذته . فكان نموذجاً للتعلم والتعليم ، للتقليد والابداع ، للأخذ والعطاء . ولقد قيل بأن (فوش) قد أهمل نصيحة (نابليون) وهي : «اقرأ ، وقرأ حملات كبار القادة من الاسكندر المقدوني وحتى فريدريك الكبير» غير أن مثل هذا القول يفتقر للدقة . فالتركيز على تجارب الحروب الحديثة - والتجارب النابوليونية بالدرجة الاولى - وكذلك التأثير الكبير بنظريات الآخرين - بصورة خاصة كلاوزفيتز - لا يعني أبداً توقف فوش في اكتساب المعرفة عند حدود هذين الموردين . وعلى كل حال ، فالعامل الأول في أهمية (مدرسة فوش العسكرية) لا يكمن فقط فيما قدمه من مبادئ نظرية ، وانما يكمن في اخضاع هذه المبادئ للتجربة العملية . فكان بذلك رائداً من رواد (المدرسة التطبيقية في العلوم والفنون) . ولقد تولى (فوش) قيادة أضخم جيش عرفه التاريخ (مليون جندي ومائة ألف ضابط) فتوافرت له بذلك الفرصة لتطبيق معارفه ومعلوماته ، وكان له في (المادة التاريخية) معيناً لا ينضب لانجاز ما حققه من نصر في اكبر حرب عرفها التاريخ حتى ذلك الحين .

لقد كان (فوش) كاثوليكياً متديناً ، وكان ايمانه (بالحرب) كأمر حتمي تفرضه العناية الإلهية . ومن هذا الايمان حدد مبدأه : «بأن تحقيق النصر لا يتم الا بالعمل الحاسم لتدمير جيوش العدو» . غير أنه ما إن عرضت ألمانيا الهدنة ، قبل التعرض للضربة القاضية ، حتى أخذ (فوش) هذا العرض بحماسة ، بالرغم من أن جيوش المانيا كانت لا تزال منتشرة في فرنسا وغيرها من بلاد الحلفاء . ووقف أمام مجلس الحلفاء في بداية شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٨ ليقول : «إن الحرب قتال لادراك نتائج محددة ، ولست أخوض غمار الحرب من أجل خوض الحرب في حد ذاتها ، واذا كان بالمستطاع أن أحقق عن طريق الهدنة كل ما أريد أن أفرضه على ألمانيا فان هذا يكفي . واذا كان بالامكان تحقيق الهدف ، فليس من حق أي فرد أن يتسبب في سفك قطرة أخرى من الدماء؟ . . . »

فهل في ذلك تناقض ؟ يقيناً لا ! لقد كان (فوش) نموذجاً للتوازن بين (هدف الحرب) و(غاية السلم) وليس ذلك إلا برهاناً آخر ، على ما تميز به

هذا الرائد التاريخي من التوازن في اموره كلها، عامتها وخاصتها، فكان
بذلك أيضاً نموذجاً للرجل ومثالاً للرجولة الحقة.

بسام العسلي

الوجيز في حياة الماريشال فوش

١٨٥١ - ١٩٢٩

١٨٥١	ولد فوش في مدينة (تارب) ^(أ)
١٨٨٥	دخل في الكلية الحربية (كلية الاركان)
١٨٩٠	عين مدرساً للتكتيك والتاريخ العسكري في كلية الاركان.
١٩٠٣	أصدر كتابه الشهير (مبادئ الحرب) ^(ب)
١٩٠٨ - ١٩١١	عين مديراً للكلية الحربية (كلية الاركان).
١٩١٤	(آب - اغسطس) عين قائداً للفيلق العشرين، وكان له دور حاسم في (معركة نانسي).
١٩١٤	(ايلول - سبتمبر) تولى قيادة الجيش التاسع - الذي كان قد نظم حديثاً - فخاض (معركة المارن) ثم دعم البريطانيين في (معركة الايب).

أ - تارب: (TARBES) مدينة قديمة جداً، تقع على نهر الأدور (ADOUR) في مقاطعة البيرنيه العليا،

وهي إلى الجنوب الغربي من باريس، وعلى بعد (٧٧٩ كم) منها.

ب - مبادئ الحرب: (PRINCIPES DE LA GUERRE)

تولى قيادة مجموعة جيوش الشمال ، فقاد هجوم (ارتواز) .	١٩١٥
قاد مجموعة جيوش الشمال في (معركة السوم) .	١٩١٦
عين فوش مستشاراً عسكرياً للحكومة الفرنسية . وزئيساً	١٩١٧
لهيئة اركان حرب الحلفاء - التي كان مقرها في (فرساي) .	
عين فوش رئيساً لهيئة التنسيق بين قيادات الحلفاء ، ثم	١٩١٨
أصبح اعتباراً من يوم ٣ نيسان - ابريل قائداً عاماً لقوات	
الحلفاء (ج)	

من أقوال الماريشال (فوش)

١ - «تصلح الأنظمة العسكرية لإدارة تمرين من التمارين، ولكننا نحتاج في لحظة الخطر لشيء آخر. فالشجاعة المادية والبدنية للجندي لا علاقة لها بالشجاعة المعنوية التي ينبغي أن يتحلى بها القائد، والتي تستند إلى ما يعرف. إن على القائد أن يتمتع بالمعرفة التي تمكنه من امتلاك مثل هذه الشجاعة، كما أن عليه ممارسة العمل لتطبيق المعرفة، وإلا توهم في لحظة من اللحظات بأنه يعرف، ثم لا يلبث وهمه أن يتبدد، ويظهر جهله عند أول صعوبة. وعندها نجد أمامنا شخصاً عاجزاً عن القيادة. ولكي يستطيع القائد ممارسة العمل، لا يكفي أن يتعلم الأنظمة، فليس المطلوب هو أن نجعل الجنود يقومون بالدوران إلى اليسار، أو بالسير إلى الأمام. إن على القائد أن يتعلم كيف يفكر. فالأنظمة عبارة عن دليل للبلهاء، وهي تؤدي بالمرء إلى الخمول الفكري».

٢ - «علينا أن نكتشف في وسط الحالات الخاصة، حقيقة الوضع الراهن، كما يبدو، وهو مغلف بضباب المجهول، وأن نقدر ما نراه بصورة سليمة، وأن نتوقع حدوث ما لا نراه، وأن نتخذ القرار ونعمل فيما بعد بكل

تصميم دون أن نجد العلل والحجج . وعلينا أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار عنصرين اثنين : أحدهما معروف وهو إرادتنا . والآخر مجهول - الى حد ما - وهو ارادة الخصم . وأن نضيف إلى هذه الارادة العوامل الأخرى التي هي من طابع آخر، والتي تنجو وتفلت من كل التوقعات، مثل : الحرارة والأمراض وحوادث الخطوط الحديدية والاختلافات والأخطاء، وكل العناصر التي لا يتحكم بها الانسان . ولنسم هذه العناصر باسم (الصدفة - أو القدر) ولنعاملها على أنها عناصر إلهية . ومن الواضح أن المعلومات النظرية لا تكفي لهذا الغرض . ونحتاج في هذا المجال إلى تطور حر - فني وعلمي - في صفات الفكر والطبع، المعتمد على ثقافة عسكرية سابقة، والذي توجهه التجربة : سواء كانت تجربة نستخلصها من التاريخ العسكري، أو كانت تجربة نكتسبها من خلال معاناتنا الشخصية في وجودنا وحياتنا» .

٣ - سئل فوش يوماً : «عندما تكون في ساعة من الساعات التي يتوجب عليك فيها أن تتدخل، هل يساعدك شيء من هذه الدراسات العميقة على حل المضلات؟» فأجاب فوش على الفور : «أبداً! إلا أن هذه الدراسات تعطيني الثقة» . وهذا ما يؤكد التأثير اللاشعوري الفاعل للتاريخ .

٤ - قال فوش : «لقد تساءلت : مم تتألف الحرب؟ وقرأت كلاوزفيتز : إنه شخصية من الشخصيات الفذة! لقد حارب وعرف الحرب . وكذلك بلوخر وشارنهورست أيضاً، إنهم أقوياء! فلكي يستطيع رجال من أمثالهم الانتصار على ذلك العملاق - نابليون - كان عليهم أن يعملوا . .»

٥ - «المبدأ الأول هو تحطيم إرادة العدو، وتكون النتيجة الاولى لتطبيق هذا المبدأ هي زج قوة هائلة وتوجيه ضربة عنيفة غير متوقعة تتحطم لها إرادة العدو . اعرفوا ما تريدون ونفذوه . .» .

٦ - «تتميز - الحروب النابوليونية - قبل كل شيء (بالأمن) و(بفن

العمل بأمن). وطالما كان هذا الفن قادراً على الضرب، فإن هذه الحروب تتميز (بفن العمل بأمن). . . . فلكي ننفذ مناوراتنا بأمن طوال الوقت الضروري للمناورة، فإننا نحتاج الى تأمين حماية كل شيء، حتى اللحظة التي يستطيع فيها الطرف المعرض للهجوم تنظيم قوة قادرة على إيقاف العدو إذا ما أصبح موقفه مهدداً.

٧ - قال فوش: «هل تحطم النابض؟ إن علينا أن نتخيل شيئاً يعيده إلى وضعه الأصلي. لقد توقفت الموسيقى عن العزف، ذلك لأننا ألّفناها كثيراً. وعلينا أن نبدأ بلحن جديد»(*).

٨ - «لا توجد في الحرب الا حالات خاصة، ولكل شيء طابعه الفردي المميز له، فضلاً عن أن شيئاً مما حدث لا يتكرر ثانية» غير أن ذلك لا ينقص من أهمية المبادئ - مبادئ الحرب - فالرعاة يوقدون النيران على الساحل، عند العاصفة، لارشاد رجال البحر - حتى الذين لا يعرفونهم. وهكذا، فمن الواجب تقديم عدد من المبادئ الأساسية في قيادة القوات، لمن يعرف ولن لا يعرف، بهدف توجيه العقل حتى يستطيع العمل في كل الظروف على اسس منطقية».

٩ - «... من الخطأ القول بأنه لا يمكن تعلم الحرب الا في ميدان المعركة. . . . وان الفكرة القديمة القائمة على الزعم بأن الحرب لا تدرس إلا بالحرب، إن هي الا فكرة غير صحيحة، إذ ليس بالامكان دراسة أي شيء في ميدان المعركة، حيث يعمل المرء ببساطة لتطبيق ما يعرف، ولا شيء غير هذا. . . . وحتى يستطيع المرء أن يعمل هذا - القليل - يجب أن تتوافر له المعرفة - بالكثير - وأن تتوافر له هذه المعرفة بدرجة جيدة جداً. . . .»

١٠ - «تكسب المعركة أو تفقد بوساطة القادة، لا بوساطة الجنود. ذلك أن النتائج الكبيرة في الحرب انما ترجع إلى القادة، ولهذا فقد صدق التاريخ عندما جعل القادة هم المسؤولين عن النصر الذي يجيئهم

(*) المرجع: مدخل الى التاريخ العسكري - ايريك موريز - تعريب اكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبي. دار الارشاد - بيروت ١٩٧٠ ص: ١١ و ١٢ و ٢٥ و ٤١ و ٤٢ و ٢٧٩.

بالمجد، كما أنهم هم الذين يحتملون تبعات الفشل الذي ينالهم الامتهان بسببه، وبغير القائد لا سبيل إلى خوض غمار المعركة، وبالتبعة لا سبيل إلى النصر».

١١ - وضع (فوش) مجموعة من المعادلات ؛ منها :

«الحرب = ميدان القوى المعنوية»

«المعركة = صراع بين ارادتين»

«النصر = الارادة»

«النصر = الأفضلية المعنوية للمتصّر والانهيار المعنوي

للمنهزمين»

«إن الرغبة في قهر العدو هي الشرط الأول للحصول على النصر، ولهذا فهي الواجب الأول لكل جندي، ولكنها تسمو وترتفع إلى ما هو اكبر من ذلك، فهي المثل القوي الذي يجب أن يقدمه القائد للجندي إذا ما قضت الحاجة بأن يقاسم القائد هذا الجندي روحه ومعنوياته».

١٢ - قال فوش لأركان حربه بعد جمود جبهة القتال في سنة ١٩١٤ :

«أيها السادة! لقد بات من الضروري أن تنسوا كل ما تعلمتموه. أما أنا، فعلي أن أفعل نقيض كل ما علمته لكم» (***) .

(**) المرجع : رواد الاستراتيجية الحديثة : ميدايرل وآخرون - ترجمة وتقديم الاميرالاي أركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٧ ص ٣٥٧/٢ - ٣٥٨ و ٣٦٠ و ٣٩٢ - ٣٩٣ .

«انتهت بالثورة الفرنسية حروب الملوك، وبدأت
حروب الشعوب» - الماريشال فوش - .

الفصل الأول

- ١ - في متحف الذكريات .
- ٢ - المدرسة العسكرية الفرنسية .
- ٣ - (فوش) وتطور الفكر العسكري الفرنسي .

١ - في متحف الذكريات

احتفلت فرنسا في يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٩ ، بمرور خمسين عاماً على وفاة الماريشال فوش الذي دفن في (الانغليد) الى جانب قبر الامبراطور. وحضر الاحتفال رئيس الجمهورية الفرنسية (فاليري جيسكار ديستان) ووزير الدفاع الفرنسي (ايفون بورغ). وقد كان ذلك بهدف اللقاء المزيد من الاضواء على حياة الرجل الذي حمل لقب (ماريشال فرنسا) من خلال أقواله وأعماله ومنجزاته، ولتكريم ذكرى صاحب الارادة الصلبة، والرغبة الثابتة لخدمة بلاده. وبهذه المناسبة فتح معرض الجيش أبوابه للجمهور (حتى يوم ٢٠ كانون الثاني - يناير ١٩٨٠) حيث يستطيع كل زائر الاطلاع على مختلف مراحل حياة القائد المنتصر في الحرب العالمية الاولى، وكذلك كتاباته واعماله، وقد جمعت وثائق المعرض في ١٧ مجموعة عامة و(١٣) مجموعة خاصة تحتفظ بها عائلة (فوش) والتي قدمت مجموعاتها للعرض خلال فترة إقامة المعرض. واقامت رابطة أصدقاء الكلية الحربية - او رابطة الزملاء - قداساً يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٩ في كنيسة الكلية الحربية (سانت لويس) احياءً لذكرى الماريشال

فوش الذي كان طالباً في الدورة الحادية عشرة، ثم أصبح مدرساً لمادتي (التكتيك) و(التاريخ العسكري) في هذه الكلية سنة ١٨٩٠، ثم أصبح مديراً لها ما بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١١. وحضر الاحتفال وزير الدفاع الفرنسي، وأسقف الجيوش الفرنسية (غابرييل فانيل) الذي القى الكلمة التأبينية، وجاء فيها ما يلي:

«أرادت رابطتكم تتويج احياء ذكرى الماريشال فوش بهذا الاحتفال الديني، وذلك بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته. وتبعث فينا هذه الذكرى كل مشاعر الاحترام والعرفان بالجميل لشخصه ولرفاق سلاحه، لاننا لن ننسى أبداً عظمة أجدادنا الذين عاشوا التجربة المريعة للحرب العالمية الاولى بكل قسوتها. وتجدر الاشارة إلى ما تضمنته الوثائق التي كتبها (ويغاند)^(١) من وصف للماريشال فوش بوصفه (الرجل العظيم). ويظهر لي أن هذا الوصف هو أفضل قول يناسب الرجل الذي كان، دونما ريب، وفقاً لكل الشواهد المتوافرة، «اذ أنه تولى قيادة مليوني رجل ومائة ألف ضابط، الأمر الذي حمل قائداً بريطانياً على القول بشأنه: «إنه واحد من أعظم جنود التاريخ في كافة العصور، وهو إلى ذلك يملك روحاً نبيلة ونفساً رقيقة». ولا ريب أن - عظمة الماريشال فوش - كانت تعتمد على مجموعة الفضائل التي كان يتحلى بها، وهي الفضائل المثلى التي اشارت إليها إحدى الشهادات، أو المقولات، بالكلمات التالية: «كانت لدى - فوش - ارادة صلبة، وعناد لا يلين وحزم جامع لا يقهر».

وكان يعتمد في روحه المعنوية، وفقاً لما قاله هو: «على العلم والضمير» غير أن هناك أفضلية بين العاملين حددها بكلماته التالية:

(١) ويغاند: (WEYGAND - MAXIME) جنرال فرنسي، من مواليد بروكسل سنة ١٨٦٧، كان رفيقاً للماريشال فوش ومساعداً له طوال الحرب العالمية الاولى. وقد عمل على تدمير الهجوم البولشفي - الروسي في بولونيا سنة (١٩٢٠) ثم عمل مندوباً سامياً في سوريا سنة (١٩٢٣) فرئيساً لهيئة الاركان الفرنسية (١٩٣٠) فقائداً أعلى للقوات الفرنسية (١٩٤٠)، فوزيراً للدفاع الوطني (١٩٤٠ - ١٩٤١) ثم ممثلاً عاماً للماريشال بيتان في افريقية الشمالية، غير أن الالمان اعتقلوه سنة (١٩٤٢). وحرر من قبضة الاسر سنة (١٩٤٥) وهو مؤلف (مذكرات) رائعة بصدقها ووثاقيتها.

«وسيبقى اعتمادي على العلم والضمير، إما إذا ما كانت هناك حاجة للأفضلية، أو التفاضل، فسيأتي الضمير أولاً ثم العلم ثانياً. أجل! الضمير أولاً لأنه المحرض الأكثر أهمية». وبقي (فوش) انساناً في مشاعره وانفعالاته، نبيلاً في احساسه وتفكيره، ويذكر له في هذا المجال قوله: «يجب عدم اهراق قطرة واحدة من الدم تزيد على ما يحتاجه النصر». فأمكن له بذلك مقاومة الشرك الذي ينصبه الحقد لكل رجل يقف وجهاً لوجه أمام عدوه. وهذا بدقة ما أشار اليه (ويغاند) بقوله: «كان - فوش بعيداً كل البعد عن احتقار اعدائنا في حرب سنة ١٨٧٠ - الالمان - بل إنه كان على النقيض من ذلك، إذ أنه أظهر احتراماً عميقاً لفضائلهم الحربية، ولتنظيمهم المتفوق والفعال، ولما كانت تنهجه هيئة أركانهم من نهج علمي». وكان كبيراً دائماً برغبته المستمرة في الوصول الى السلام والمحافظة عليه، بشرط أن يضمن هذا السلام تحقيق العدالة، وضمان الحقوق، وقد حفظ عنه قوله: «يحتل السلام مرتبة ترتفع على مرتبة الحرب». لقد عرف عدد كبير من الضباط شخصية (فوش) هنا في الكلية الحربية، الاركان، فاتيحت لهم بذلك فرصة الافادة من الثروة التي كانت متوافرة له، والتعلم منها. وكان في جملة ما يمتلكه من هذه الثروة، فضيلتان هامتان، دعمتا من هيبته ومكانته، وهما: «التفكير والعمل». وحدثنا (ويغاند) عن الفضيلتين المذكورتين بقوله: «كان الخمول العقلي هو العدو الأول للماريشال فوش، ذلك لأنه كان يعرف بأنه ما من قيمة للعمل إلا اذا أخذ طريقه من افكار انتجتها فترة طويلة من العمل والصبر والجهد». وعلى أساس هذا الواقع، فقد كان يعرف اختيار الوسائل، من غير أن يهمل شيئاً مما يتطلبه وجوده في الكلية الحربية - الاركان -. إذ كان يعرف قيمة التجربة الصحراوية - تجربة الوحدة والتأمل. فكان عندما يحتاج الى ذلك، يذهب ليحبس نفسه في وحدته، ضمن مكتبة منزله، منصرفاً للصراع مع افكاره وتأملاته. فأى نموذج من الرجال يمثلنا، نحن رجال العالم، وهو ينقل إلينا عدوى الحماسة ويلقيها بكل ثقلها، فيجعل منا أسرى الواقع، ويبتعد بنا بما يشبه النفي عن سطحية ذاتنا. ولقد كان (فوش) رجل فكرة بقدر ما كان مريباً كبيراً، ولهذا كان ينصرف الى تأملاته، ليتوجه بعدها فيهب كل

وجوده لطلابه وتلاميذه. وكان شخصه، يقيناً، يتألق اشعاعاً مما كان يساعده على اقناع طلابه ويحملهم على التعلق به. وقد يكون من العسير حصر دوره على أنه كان مجرد ناقل للأفكار، فقد كان قبل كل شيء وبعده صانعاً للرجال، موحداً لهم، وواهباً إياهم قلبه وعقله، وهناك أكثر من خطاب له، يؤكد فيه أنه كان مرآة تنعكس عليها صورة الرجال المحيطين به. ويكفي هنا الإشارة إلى ما قاله (البابا بولس السادس) في أواخر أيام حياته، إذ أن ما قاله يعتبر تصويراً لحياة الماريشال فوش، وتلخيصاً لما يمكن الاعتراف به والاستشهاد بصحته: «يحتاج رجال اليوم قبل كل شيء لمن يشاركهم، باكثر مما يحتاجون لمن يعلمهم أو يقودهم. وعندما يعمل هؤلاء الرجال على محاكاة من يتبعونه من معلميه، فذلك يعني أن هؤلاء المعلمين قد اصبحوا شركاء لهم، وشهوداً على اعمالهم، وقدوة لهم». ويستوقفنا شخص فوش، نحن افراد المجتمع، الذين نندفع مع تيار الحياة، ربما على غير ارادة منا، ليقدم لنا النموذج الرائع للعامل الذي يمارس دوره على مسرح الحياة ببساطة وبشرف. ذلك أن (فوش) كان يعرف بأن قيمة الرجل سواء كان استاذاً له مكانته السامية، أو قيادته الحكيمة، قد تنحدر كثيراً إن لم يكن معطاء سخياً في عطائه، بطوعية ومن غير طلب ولا منة. ومن هنا فان (فوش) لم يكن ليتوقف عند حدود تقديم المعلومات الموثوقة والهامة، بل إنه كان يقيم علاقة شخصية مع كل طالب من طلابه، تقديراً منه لأهمية مثل هذه العلاقة في اغناء المعرفة. وهو لذلك فتح أبواب بيته - منزله - على مصاريعها، ليستقبل أفواجا بعد أفواج من الطلاب والاساتذة يختلط بعضهم ببعض، ويتعارفون في جو من الألفة والصراحة والمحبة القلبية. وقد حدثنا (ويغاند) عن مثل هذه اللقاءات «التي كان يتم فيها استبعاد كل حديث عن التكتيك». ولم يكن هناك خوف من انتهاك اسس الانضباط الصارم، الذي لا بد له من أجل انجاز الواجبات والمهام العسكرية، إذ لم تكن المحبة التي كان يحملها (فوش) لمرؤوسيه تدعم من ذلك الانضباط وتزيد من صرامته، لقد كانت تلك المحبة تمنح الطاعة الانضباطية قوتها وصحتها. إذ تزول عن تلك الطاعة صفاتها أو قوالبها العمياء والمتحجرة، وتتحول الى طوعية تدعمها القناعة

وتغذيها الثقة المتبادلة. وإذا كانت فضائل (فوش) تشكل دعوة لكل الرجال ذوي الارادة الطيبة والايان الصلب، فان المسيحيين يجدون فيها تنفيذاً لتعاليم الانجيل، وقد لا يكون أمراً مثيراً للدهشة معرفة ما كان عليه (فوش) من الايمان العميق بالمسيحية، مما كان يضعه في مصاف كبار رجال المسيحية؟ وكان (ويغاند) متحفظاً تجاه هذه النقطة، وفقاً لما يفرضه عليه الواجب. إلا أنه لم يتمكن بالرغم من ذلك، عند معالجته لحياة الماريشال فوش، إلا أن يوجز بكلمات قليلة هذه الظاهرة، ويبرزها بصفة مكثفة مع ما تتضمنه بقوله: «لقد كان الإله حاضراً في كل اعماله ومنجزاته ما صغر منها وما كبر، ومن ذلك أنه كان يقول: أصلي عندما أشعر بالبرد، فأشعر بالدفء، يسري في أوصالي. وكان يقوم بصلواته دوغماً تبجح ولا مباهاة، ولا اهتمام بالآخرين. وقليلاً ما كان يتحدث عن الدين أو الصلاة، إذ أنه لم يكن متعصباً، ولم يحاول أن يكون مبشراً. وكان يشعر بأن رسالته لا تتجاوز حدود إعطاء المثل في حياته، سواء لاسرته، أو لمن يحيطون به، معلماً إياهم أن من واجبه احياء الضمير، الذي يضيئه الايمان، ويدعمه النور والضياء، وكان يرفض المزج أو الخلط بين جوهر الدين، وبين الاساطير التي هي من صنع البشر وليست من صنع الإله، كما كان يرفض الاستسلام للخوارق التي تجعل من الرجل اداة تزعم لنفسها أنها مبعوثة العناية الإلهية»^(٢). لقد قال أحد رجال الكنيسة في القرون الاولى لظهور رسالة المسيحية - ما يلي: «لتجنب الخوف، فعظمة الله هي في حياة الانسان». وهذا هو بدقة ما فهمه (فوش) بضميره وعمق ايمانه. وهذا ما جعله نموذجاً وقُدوة لمن عرفه، ولمن يتعرف عليه.

٢ - المدرسة العسكرية الفرنسية

مضت الفترة ما بين معركة (واترلو)^(٣) ومعركة (سولفرينو)^(٤) في

(٢) RÉF: ARMÉES D'AUJOURD'HUI (NO - 46 - DÉCEMBRE 1969 P.P. 10-11.

(٣) واترلو: (WATERLOO) مدينة بلجيكية، اشتهرت بسبب الهزيمة التي مني بها الامبراطور نابليون الاول - بونابرت يوم ١٨ حزيران - يونيو ١٨١٥ بالقرب منها.

(٤) سولفرينو: (SOLFERINO) قرية ايطالية في اقليم مانتوا (MANTOUE) وهي إلى الشمال الغربي من (مانتوا) وعلى بعد عشرين ميلاً منها. وقد اشتهرت بسبب الانتصار الذي احرزته القوات

سلم نسبي عاشته فرنسا من غير الخوض في تجربة قتالية جديدة. ولم تكن حرب الجزائر لتعطي العسكرية الفرنسية خبرات مثمرة بسبب خصوصية هذه الحرب الاستعمارية. كما أن (حرب القرم)^(٥) لم تكن أكثر من حرب حصار للمواقع المحصنة. وقنع الجيش الفرنسي بما توافر له من الخبرات في حروب الثورة والحروب النابوليونية. حتى إذا ما جاءت الحرب (البروسية - الفرنسية) سنة ١٨٧٠ وخرجت منها فرنسا مهزومة مدمرة، شعرت السلطات العسكرية الفرنسية بأن تنظيم الجيش الفرنسي، وعمل هيئة الأركان الفرنسية ليسا كما يجب أن يكونا عليه من الكمال والدقة. ومن ثم فقد بدأت تعمل بسرعة. وبدأ نقاش مستفيض وبحث مستمر لدراسة مشاكل التنظيم العسكري. وكانت الدراسات التي كتبها (أردان دوبيك) من أهم البحوث وأبقاها أثراً. ولم يحظ (أردان دوبيك)^(٦) بالشهرة التي يستحقها. وكان كتابه (القتال في الماضي) قد أعد ليكون مرجعاً للضباط. غير أن كتابه (دراسات عن المعركة) قد حظي باهتمام كبير (وكان أكثر كتاب قرأه الجنود في الخنادق الفرنسية طوال الحرب العالمية الأولى). ويعترف (دوبيك) أن تفكيره العسكري قد تأثر كثيراً (بالمارشال بيجو)^(٧) أشهر جندي فرنسي في عصره. غير أن (دوبيك) تأثر بدرجة أكبر بكثير بما

= الفرنسية والسردينية بقيادة نابليون الثالث على القوات النمساوية في يوم ٢٤ حزيران - يونيو ١٨٥٩. وكان لهذه المعركة دورها في تحقيق الوحدة الإيطالية.

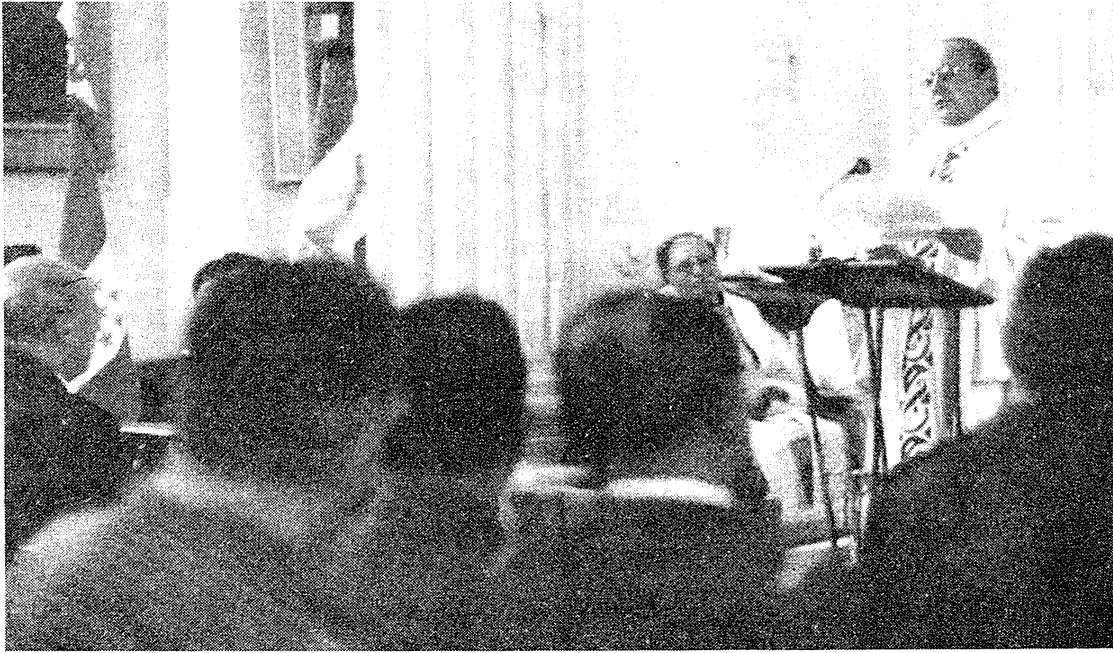
(٥) حرب القرم: (CRIMÉAN - WAR) (١٨٥٤ - ١٨٥٦). وهي الحرب التي وقعت في شبه جزيرة القرم - جنوب روسيا وعلى البحر الأسود. وخاضتها روسيا ضد العثمانيين الذين لقوا الدعم من فرنسا وانكلترا وبييمونت. وكانت (حرب القرم) هي بداية تعاظم (المسألة الشرقية).

(٦) أردان دوبيك: (ARDANT DU PICQ) (١٨٣١ - ١٨٧٠م) ولد في (بيريجو) من إقليم دوردون - خدم في حرب القرم، ووقع أسيراً في سيستوبول، عاد للخدمة في سوريا والجزائر. قتل وهو يقود كتيبة من المشاة قرب ميثز في الحرب (البروسية - الفرنسية). من أشهر مؤلفاته كتاب (القتال في الماضي ETUDES SUR LE COMBAT) الذي صدر سنة ١٨٧٠، ثم أعيد طبعه في (مجلة اتحاد الضباط) أما كتابه (دراسات عن المعركة) فلم يصدر حتى سنة ١٩٠٢.

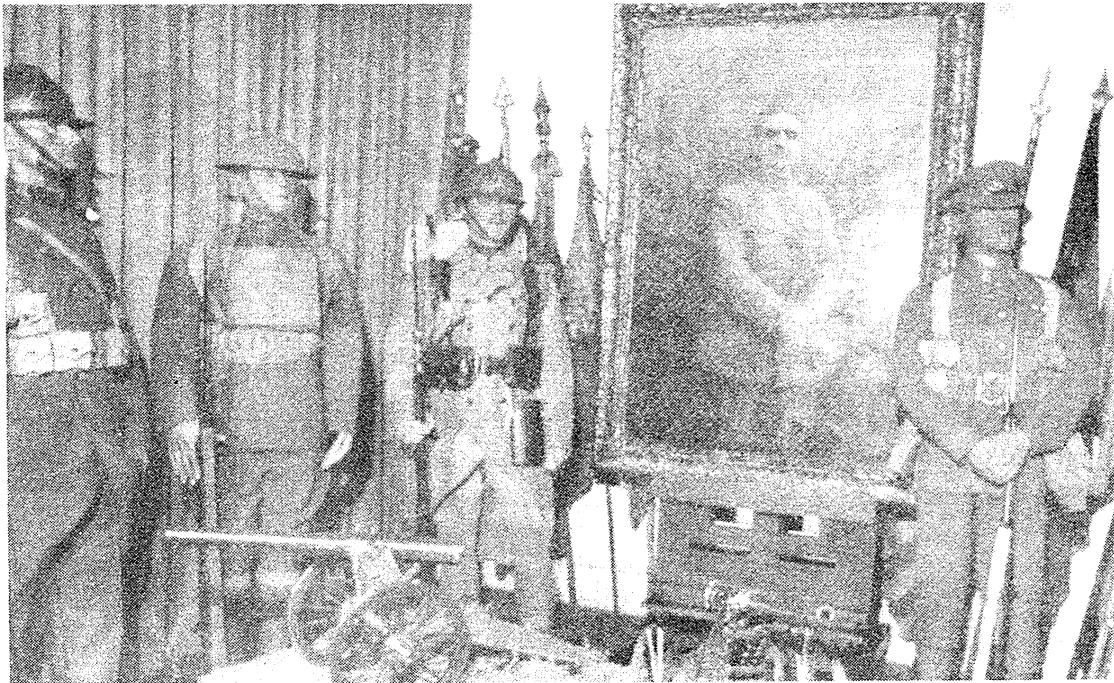
(٧) المارشال بيجو: (BUGEAUD DE LA PICONNERIE. THOMAS - ROBERT) (١٧٨٤ - ١٨٤٩) اقترن اسمه باستعمار الجزائر: (يمكن الرجوع الى سيرة بيجو وأعماله في الكتاب الحادي عشر من مجموعة مشاهير قادة العالم) حيث افردت له دراسة خاصة.



الرئيس الفرنسي السابق (فاليري جيسكار ديستان) أمام إحدى مجموعات (فوش) يوم افتتاح المعرض يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٩ .



اسقف الجيوش الفرنسية (مونسينيور غابرييل - فانيل) يلقي كلمته التأيينية في ذكرى مرور خمسين عاماً على وفاة ماريشال فرنسا (فوش) وذلك خلال الاحتفال الذي اقيم في كنيسة (سانت لويس) التابعة للكلية الحربية .



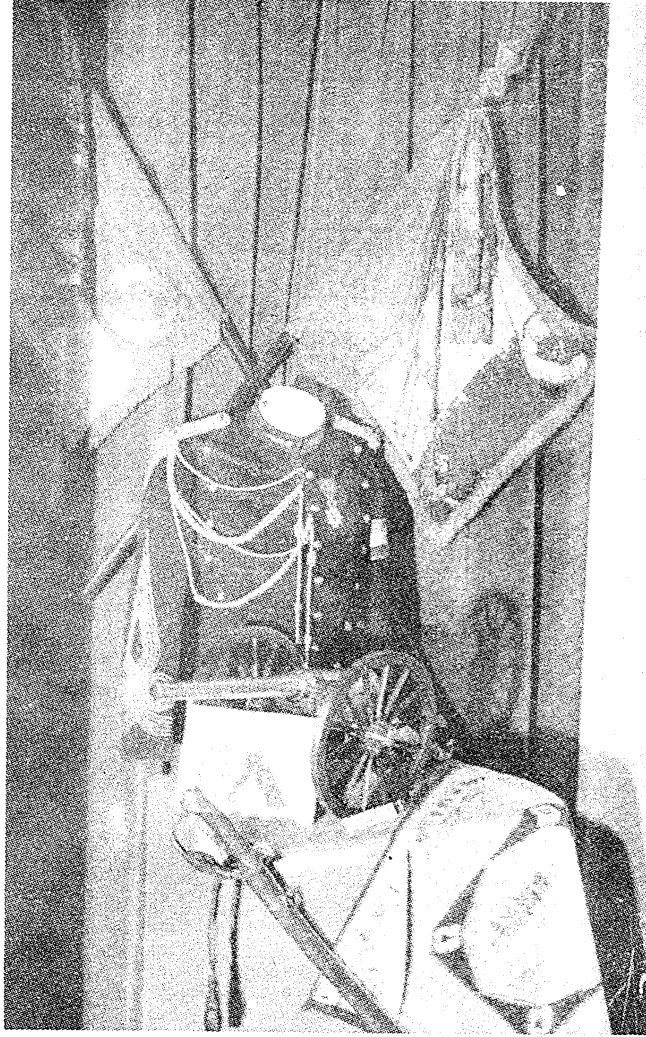
صورة فوش (زيتية ومرسومة على القماش) من رسم الفنان (ج. أ. مونيه) ويظهر في الصورة نماذج من اسلحة الحلفاء وثيابهم التي كانوا يرتدونها والاعلام والبنود التي غنمها فوش في الحرب . (متحف الجيش الفرنسي) .



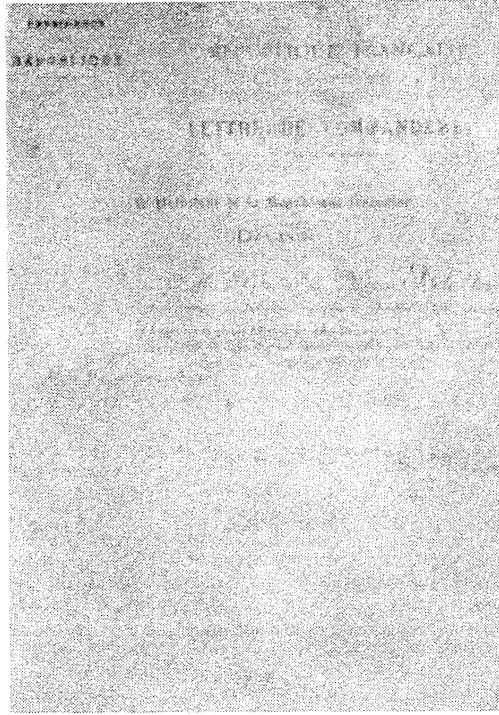
(سيف فوش وقصته)

جمل الجنرال كليبر - عندما كان في مصر - سيفاً عربياً ثميناً، لم يلبث أن نقل إلى فرنسا، وحفظ في موطن كليبر (ستراسبورغ عاصمة الالزاس) حتى إذا ما دخل فوش على رأس قوة الحلفاء محرراً للمدينة، ومعيداً الاقليم إلى فرنسا (حيث انتزعت المانيا من فرنسا سنة ١٨٧١) وقف فوش أمام نصب (كليبر) مقدماً التحية العسكرية. وتقدم عمدة المدينة إلى (فوش) واهداه سيف (كليبر) الذي صار من ممتلكات (عائلة فوش). ويذكر أن دخول فوش إلى (ستراسبورغ) قد تم يوم ٢٧ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨.

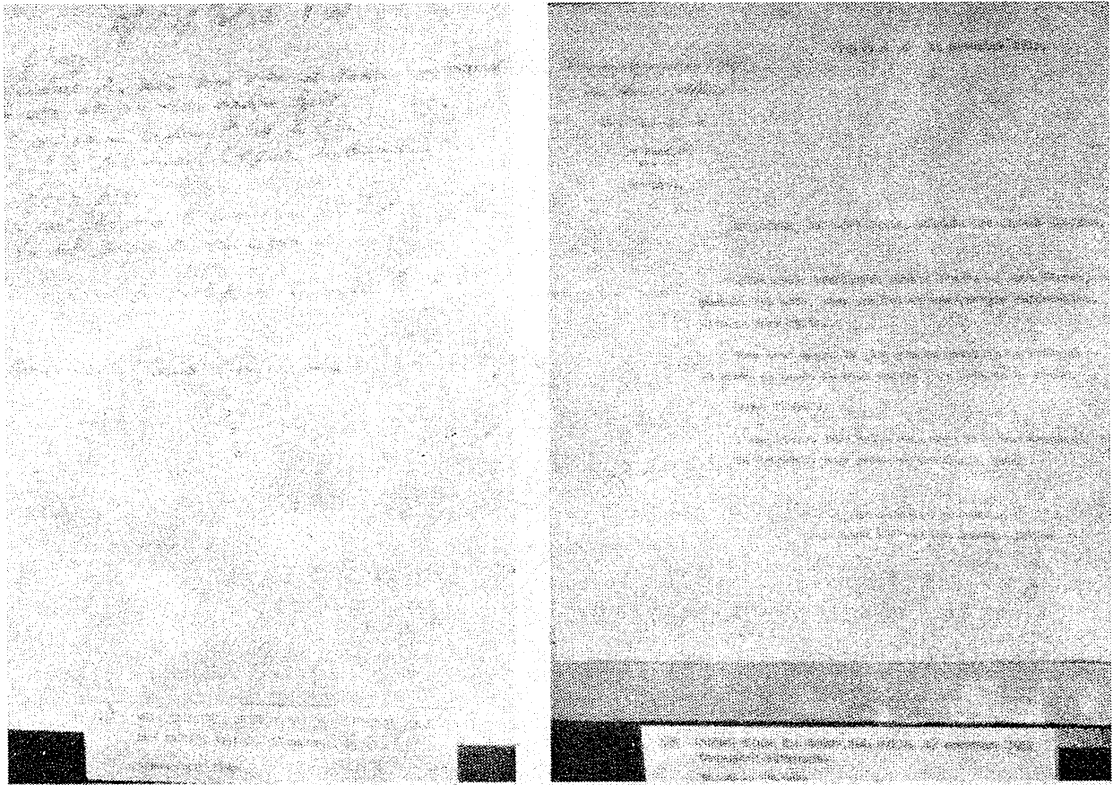




بزّة (العقيد فوش) وهي تحمل بند المدفعية وشعارها وذلك عندما عمل (فوش) في هيئة أركان
الفيلق الخامس سنة ١٩٠٥ .



ضم متحف فوش، في جملة ما احتواه، رسالة فوش إلى جيوش الحلفاء يوم ٢٢ نيسان - ابريل ١٩١٨ - في الاعلى - وكذلك أمره النهائي إلى ضباط وصف ضباط وجنود جيوش الحلفاء يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨ . (اخذت من متحف فوش في تارب).



كتبه (الجنرال تروشو) الذي عالج في كتاباته (مشكلات المعركة) و(الذعر) و(السيكولوجية العسكرية للقائد). وكان كتابه الذي عرض فيه ثمار نقده الشخصي للجيش الفرنسي بعد (سادوفا) - او الحرب البروسية - الفرنسية، من اكثر الكتب انتشاراً وذيوعاً - في الوقت الذي بدأ فيه اردان دوبيك كتابة مؤلفه. والواقع! فان قراءة كتاب (تروشو)^(٨) هي التي وجهت (أردان دوبيك) إلى وضع مؤلفه (دراسات عن المعركة) بالاضافة إلى ما تعلمه من كتابات العسكريين الفرنسيين الذين سبقوه، وعلى كل حال، فقد تولى (الماريشال نييل)^(٩) وزارة الحرب في سنة ١٨٦٧، وعهد اليه تزويد الجيش الفرنسي بالاسلحة الحديثة، ومضاعفة عدده بالقوات الاحتياطية، والعمل لاقرار التجنيد العام. ولكن كان من المعروف أن (نييل) لن يستطيع التغلب على روح السياسة الحزبية، إذ كان الحزب البونابرتي يخشى اضافة أعباء عسكرية جديدة على الناخبين. وكانت المعارضة تخشى أن تثبت اصلاحات الجيش فتدعم من نظام نابليون الثالث. ولكن لم يكن معروفاً أيضاً بأن الجيش الفرنسي ذاته كان يعارض إلى حد ما اصلاحات (نييل). وقد هدف (تروشو) في كتابه الى ايضاح مدى التوافق الممكن بين السرعة في تنفيذ الاصلاحات العسكرية، وبين كراهية الضباط الفرنسيين لمبدأ (التجنيد العام). وتدخل (أردان دوبيك) في المعركة، وكان خصماً عنيفاً لآراء الماريشال (نييل) ولكنه كان شريفاً في خصومته، مؤمناً بواجبه في هذه الخصومة. ومن الممكن تفسير كتابه - إلى

(٨) تروشو: (TROCHU - LOUIS JULES) جنرال فرنسي (١٨١٥ - ١٨٩٦) تخرج من كلية (سانت سير) سنة ١٨٤٠، ووصل في سنة ١٨٥١ الى رتبة مقدم (كولونيل) تولى قيادة الفرقة الثانية من الفيلق الثالث في (ماجتا - وسولفرينو) سنة ١٨٥٩. وتولى قيادة الفيلق الثاني سنة ١٨٧٠. وعين حاكماً عاماً لباريس في ١٧ آب - أغسطس ١٨٧٠. وكان من دعاة عدم الاستسلام للبروسيين، ومات في ثورة سنة ١٨٩٦ وله مؤلف عن (حصار باريس) أما مؤلفه الذي اكسبه الشهرة فهو: UNE ÉTUDE CRITIQUE ET REMARQUE L'ARMÉE FRANÇAISE EN 1867.

(٩) نييل: (NIEL, ADOLPHE) ماريشال فرنسا (١٨٠٢ - ١٨٦٩م) تخرج مهندساً، واصبح نقيباً سنة ١٨٣٣ ثم مقدماً (١٨٤٦) وفي سنة ١٨٤٩ عين مرافقاً لنابليون الثالث. وفي سنة ١٨٦٧ أصبح وزيراً للحرب خلفاً للماريشال راندون.



جنرال تروشو

۱۸۹۶ - ۱۸۱۵

حد ما - في ضوء هذا على انه اثبات بالبراهين والأدلة على خطأ آراء الماريشال (نييل) الخاصة (بالتجنيد العام). وقد وقف (دوبيك) في مناقشته القيمة للنسبة بين الجيش المحترف الصغير العدد، وبين الجيش الكبير العدد الذي يجمع أفراده من المجندين الذين يحشدون بالتجنيد العام، وقف صراحة في جانب الجيش المحترف، وقد قدم لاثبات صدق آرائه أمثلة كثيرة من تجارب التاريخ. وناقش (دوبيك) المشكلة العسكرية بأسلوب فني دقيق؛ إذ قال: «بأن الحرب هي مسألة قتال ومعركة، والمحور الذي تقوم على أساسه هو القتال بين الوحدات العسكرية المتصارعة؛ ولكن من المدهش هو أن كل الذين قدموا النظريات الخاصة بالحرب لم يعنوا أبداً بأن يقرروا مم يتكون هذا المحور الذي هو بمثابة العمود الفقري لكيانها، وقد قنع هؤلاء بمناقشة الموضوعات النظرية العامة والتي اعتبروها الأصول العامة للحرب، ولكن من غير الممكن في الموضوعات العسكرية - ومثلها في هذا مثل غيرها من الموضوعات الهامة في ميادين العلم والفن - معرفة أي شيء ما لم تكن الحقائق الأساسية للمعركة، (اكتشف أن هذه الحقائق غير معروفة). وأننا بعد أن نبحت بعناية دراسات أعظم الثقات العسكريين. لا يمكن أن نشك في أن الحرب هي شيء أكثر من - مباراة الشطرنج».

عرف (أردان دوبيك) أن واجبه الأساسي هو الوصول إلى هذه (الحقائق) عن المعركة. ولما كانت تجاربه الخاصة محدودة، فانه اتجه إلى وسيلة كانت غريبة على تلك الأيام وهي طريقة (الروائز) إذ أعد مجموعة من الأسئلة بعث بها في نشرة دورية إلى عدد من زملائه الضباط، يسألهم عن آرائهم وتجاربهم فيما تضمنته الأسئلة من موضوعات عسكرية. ولا شك أن هذا الأسلوب - الغريب - قد صدم زملاء (دوبيك) الذين اعتبروه خروجاً على التقاليد العسكرية التي كانت مرعية في الجيش الفرنسي - يومذاك - هذا فيما اعتبر آخرون بأن هدف (دوبيك) من عمله هو مناورة من اجل اقتحام مجال المنافسة - أو المزاحمة - للوصول إلى منصب يزيع غيره منه. والواقع أن اعداد الاجابات الصحيحة، السليمة، لأسئلة (دوبيك) كان يتطلب جهداً كبيراً، بل وربما أمكن اعتبار هذه الاجابات اختزالاً

لعدة كتيبات، فضلاً عن أنها كانت في حقيقتها أعلى من مستوى المعرفة التي كانت متوافرة لهيئة أركان الحرب الفرنسية. غير أن ذلك لا ينتقص من قيمتها التاريخية باعتبارها وثيقة لها قيمتها الثابتة. فقد تضمن الرائز أسئلة تصلح لكل عصر - مثل (١٠):

* كيف تأثر تنظيم أوضاع قواتك ونظام سيرها بسبب طبيعة الأرض، أو تبعاً لاقتراب خطر العدو، أو لكليهما؟
* وإذا كان هذا التنظيم قد تغير، فهل كان بالمستطاع إعادة تنظيمه ثانية واعادته إلى صورته الأولى بسير اقتراب جديد؟
* ماذا حدث عندما وصلت قواتك داخل مرامي مدفعية العدو وأسلحته الصغيرة؟

* متى - من ناحية الوقت - وعلى أية مسافة اتخذت القوات أوضاعاً جديدة بالغريزة أو بالأوامر لمواجهة نيران العدو والاشتباك معه بالنيران، أو للقيام بالاقترحام، أو للالتين معاً؟

* كيف بدأ إطلاق النيران، وكيف استمرت؟ ثم كيف عمل الجنود للتكيف مع مطالب النيران؟ وكم هو عدد الطلقات التي أطلقوها؟ وكم كان عدد الجنود الذين انبطحوا أرضاً لإطلاق النيران؟

* كيف تم الاقترحام، وعلى أية مسافة أسرع العدو بالفرار من ميدان المعركة، أو على أية مسافة تحطم هجومك بسبب نيران العدو، أو بسبب ثباته في مواقعه، أو بسبب تقديرك لامكان قيام العدو بهجمات مضادة؟

* كيف كان سلوك ضباطك وجنودك، وكذلك سلوك ضباط العدو وجنوده، أثناء عملية الاقترحام وبعدها، وبخاصة بالنسبة للصياح، والصمت، والاضطراب؟

* هل كان الجنود ينفذون الأوامر الصادرة اليهم بالتقدم إلى الأمام، وهل ظهر منهم بعض اللحظات ميل لترك الصفوف والتراجع إلى الخلف؟
* لو افترضنا أن اضطراباً قد حدث أثناء الاشتباك، مما أدى إلى انهيار

(١٠) رواد الاستراتيجية الحديثة. ٣٢٢/٢ - ٣٢٣.

انضباط الجنود، ففي أية لحظة افلت الزمام من قبضة قائد الكتيبة، ومتى أفلت من قادة السرايا وقادة الفصائل؟ ومتى حدث (لو كان هذا قد حدث حقاً) اضطراب في صفوف الضباط؟

* متى وأين توقف الجنود عن متابعة الاقتحام الناجح - بالنسبة للوقت، وبالنسبة للمسافة من العدو - وفي أي معركة؟

* متى وأين استعاد الضباط السيطرة على جنودهم من جديد؟ . . .

اعتقد (أردان دوبيك) أن التفاصيل التي سيحصل عليها من أسئلته قد تلقي ضوءاً على العوامل المادية والمعنوية في (العمل العسكري) أي في (صناعة الجندية). مما سيساعد بالتالي على تفهم هذه الصناعة تفهماً أقرب ما يكون إلى الواقعية. وسيمكن ذلك من إعداد دراسات لتعليم الجنود بطرائق أجدى وأكثر فاعلية وفائدة من كافة المناقشات التي أعدها أشهر القادة العسكريين في مجال دراسة الاستراتيجية والتخطيط للحرب. على أن أسئلة (دوبيك) لم تحمل اليه النتائج التي كان يريها. فحاول استكمال ما نقص منها - للوصول إلى حقائق المعركة - عن طريق كتابات القدامى. فاتجه الى التاريخ القديم، مدفوعاً إلى ذلك بتأثير تقديره واكباره للتجارب العسكرية للاغريق، وللرومان على التخصيص. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المؤرخين القدامى وكتابهم قد أكثروا من الحديث عن الحقائق العسكرية الأساسية بدرجة أكبر مما فعل المؤلفون المحدثون. ولقد شغل البحث عن سر (الليجيون الروماني) وتأثير مشاعر التقديس التي كانت له في نفوس الجنود. وهنا ساءل (دوبيك) نفسه: «لم يكن الرومان شعباً تتوافر لأفراده الشجاعة، فكيف أمكن لهم الانتصار دائماً على أمم وشعوب هي أكثر منهم شجاعة، ولديها جيوش أكثر عدداً وأكبر قوة مما كان لدى الرومان؟» وأجاب (دوبيك) على سؤاله مستنداً إلى كتابات قدامى الرومان: «لقد وضع الروماني في كفتي الميزان والمقارنة شجاعة الاغريق وبطولة الغال، وهنا فكر في دقة الواجب الذي يواجهه، والمدى الذي يدعم فيه الانضباط العنيف لقوة الجموع. على أنه قد فكر أيضاً وقبل كل شيء كسياسي، فلم يشغل بالآراء التي لا تتماشى مع الحقائق، بل وضع موضع التقدير عامل الضعف البشري. وعلى أساس هذا كله أوجد نظام الفرقة - الليجيون -

وأبدع في تشكيله». على أن دراسة معارك القدامى أوصلت (دوبيك) الى كشف حقيقتين قدر لهما أهمية أساسية، نجد وصف الأولى في الجملة التالية (للماريشال دوساكس)^(١١): «إن القلب البشري هو نقطة البداية في كل المسائل المتعلقة بالحرب». والحقيقة الثانية هي أنه في كل المعارك القديمة توجد حدود فاصلة واضحة بين خسائر المنتصر وخسائر المهزم. فخسائر المهزم اكبر وأكثر بدرجة مذهلة، وفي بداية الصراع البشري يتصارع الأفراد، حيث يقاتل كل رجل من أجل سلامته هو وحده، ولهذا فقد تقبلت العقول التي لا قدرة لها على البحث والنقد، أن المعركة ليست أكثر من جملة اشتباكات فردية. فعندما يصطدم جيشان، يبدأ كل جندي القتال ضد الجندي المقابل له في جيش العدو. والجانب الذي يحتمل الخسائر الأكثر عدداً نتيجة لحوادث القتال الفردي هذه، انما يواجه أفضلية عددية تضمن له التفوق على الخصم الذي لا يستطيع احتماها، فيضطر الى ترك الأرض التي يحتلها، وهكذا اعتبرت المعركة وكأنها لا تزيد على مبارزات مجسمة تتوقف على قدرة الأفراد، والجيش الذي يتكون من أمهر الرماة، وأقوى المقاتلين بالحراب - أو قتال الالتحام - هو الذي ينتصر في المعركة. ولكن كان الجندي من (الغال) مقاتلاً أشد مراساً من الجندي الروماني، فلو كانت هذه النظرية صحيحة لوجب أن ينتصر أهل الغال على الرومان دائماً. ولكن الذي حدث هو أن الرومان انتصروا على الغال. ولو كانت هذه النظرية صحيحة أيضاً، لكان من الضروري أن يبقى الفارق بين عدد الخسائر في الجانبين المتصارعين غير واضح، فضلاً عن عدم امكان تفسيره. ولهذا، فلا بد أن تكون (واقعية القتال) هي شيئاً آخر تماماً، فليست جملة عدد المقاتلين هي التي تقرر نتيجة المعركة، ولا شك أن «النجاح في المعركة مسألة معنوية» «ففي المعركة تتصارع قوتان معنويتان،

(١١) الماريشال دوساكس: (LE MARÉCHAL DE SAXE, MAURICE) قائد فرنسي (١٦٩٦ - ١٧٥٠م) ابن أوغست الثاني حاكم الساكس وملك بولونيا وأورور وكونيغسمارك. وقد اشتهر الماريشال دوساكس بكفاءته العالية وانتصاراته في معارك (فونتينوي: FONTENOY) ضد الانكليز والهولانديين سنة ١٧٤٥. و(روكوكس RAUCOUX) و(لوفيلد: LAWFIELD) ١٧٤٧م. حتى أصبح أشهر القادة في عصره، وهو جد الكاتبة الشهيرة (جورج ساند).

وتتشترك في القتال أكثر من قوتين ماديتين. وإذا كان الأقوى هو الذي يكسب المعركة، فانه هو - أي المنتصر - الذي يفقد من رجاله أكثر مما يفقد الذي يهزم، وسينتصر الجانب الذي تتوافر له قوة العزيمة للتقدم للأمام باستمرار، الجانب الذي تتوافر له الأفضلية المعنوية، سواء أكانت قواته متساوية من الناحية العددية لقوة الخصم، أم كانت أقل منها. ذلك لأن التأثير المعنوي يبدد مشاعر الخوف في جنود الجانب الأقوى معنوياً، في الوقت الذي يتحول الخوف بين جنود الجانب الآخر الى ذعر واضطراب يسببان هزيمتهم. إن حركات المناورة طعنات موجهة، والجانب الذي يبدو أكثر تهديداً وتوجيهاً للطعنات هو الذي يكسب المعركة».

إن بالامكان القول أيضاً ان (دوبيك) مثله مثل غيره من الكتاب العسكريين الذين سبقوه، قد أنكر وجود (الصدمة)^(١٢) وأنكر أيضاً (الاندفاع الغريزي البدني). وتبعاً لرأيه: فانه لا يمكن أن تتوافر القدرة على توجيه صدمات قوية مفاجئة بين وحدتين متضادتين من الخيالة أو المشاة، ولا تستطيع وحدة من الخيالة أن تمزق خط المشاة بتأثير الضربات المباغته فقط. ولهذا فان المعركة لا يمكن أن تقارن - بالمبارزة - والتي يجب أن ينتصر فيها الجانب الأقوى من الناحية البدنية، والأحسن إعداداً من الناحية المادية. وليس التدمير البدني الذي تسببه الأسلحة هو الذي يمكن من الوصول الى النتيجة الحاسمة، وليس الجانب الذي يجب أن يهزم، فالحقيقة أن الهزيمة تصيب الجانب الذي تنهار معنوياته، ولهذا فان قوة الأسلحة أو أثرها في القتال انما يقاس بمدى تأثيرها في معنويات العدو، والمعركة أصلاً صراع بين قوتين معنويتين وليست - إلى حد ما - صراعاً بين

(١٢) قتال الصدمة: (COMBAT - SHOCK) هو القتال الذي يعتمد على الضربة القوية والمباغته بوحدات يختلف حجمها بحسب حجم الهدف أو أهمية الواجب. وقد اعتقد البعض أن تطور أجهزة الاستطلاع في البحر والبر والجو قد جعل من المحال تحقيق المباغته، وبالتالي فانه لم تعد هناك حاجة، أو ضرورة، لتنظيم قتال الصدمة. غير أن المانيا النازية استطاعت تنظيم (وحدات العاصفة) كما طورت الاساليب التعبوية - التكتيكية لقتال الصدمة (SHOCK - TACTICS) وعن المانيا أخذت فرنسا وانكلترا وأمريكا هذا الاسلوب وطورته بالقوات المحمولة جواً، ثم بالقوات المنقولة بالطائرات العمودية - الهليكوبتر.

قوتين بدنيتين .

إن عملية الاقتحام لا تنجح بسبب أن القوة المادية التي له قد تجاوزت الحد الذي يمكن للعدو احتماله . بل ينجح الاقتحام ويحقق أهدافه ضد عدو يتراجع أو يتفتت تبعاً لصلابة الجانب الآخر وتماسكه ، وتتقرر نتيجة المعركة قبل أن يصل الجانبان المتضادان إلى التماسك فيما نسميه (قتال الالتحام) . ويوضح هذا سبب انتصار جيوش غير جيدة التسليح على جيوش أقوى تسليحاً وأفضل عتاداً ، كما يوضح هذا أيضاً سبب كثرة ما نلقاه من أنباء استسلام حاميات التحصينات القوية ، واستسلام الجنود الذين يقومون بأعمال الدفاع في الخنادق ، والواقع أنك «عندما تضع الثقة في أفضلية العوامل المادية ، فإن هذه الثقة لا تلبث أن تضعف بتأثير عمليات العدو ، فإذا ما أطبق العدو عليك بالرغم من الأفضلية التي تتوافر لك ، فإن معنوياته تزداد تبعاً لتناقص الثقة التي كانت لك من قبل في أفضلية عواملك المادية ، ثم تسود معنوياته معنوياتك ، وبذلك فانك لا تلبث أن تولي الأدبار منهزماً» ويقول (دوبيك) أيضاً : «ولا تتقابل إطلاقاً في المعركة عزيمتان متساويتان ، فلا يكون الاصطدام متعادلاً قط . والعدو لا يبقى ثابتاً في موقعه ، لأنه لو بقي فيه ، استطعت أنت النجاة والافلات منه . فإذا ما اضطرب القتال ، حدثت عملية استئصال متبادلة ، وعمل كل من الطرفين لافناء الآخر ، ولكن مع هذا لا يكون هناك من يعتبر منتصراً . إن الانسان يفضل بالغريزة القتال مع وجود مسافة تفصله عن عدوه ، لا القتال القريب المتلاحم» وهذا هو التفسير للخلاف والتباين في عدد الخسائر بين الجانبين المتصارعين . فليست الخسائر نتيجة اصطدام خطي المعركة للخصمين المتصارعين ، بل تحدث عندما يقوم أحد الجيشين بالهجوم وتختل أوضاع الجيش الآخر ، ثم تكون المذبحة ، ويتكبد العدو الخسائر الكثيرة لا أثناء الاصطدام ، بل أثناء المطاردة .

وأخذ (دوبيك) في البرهان على أن (الخوف) هو الحافز الأقوى للصدام ، لا (البطولة) ولا (الفضائل الحربية) فقال : «إن الروماني المخادع ، والمعدوم الايمان ، هو الذي وضع موضع التقدير الضعف

البشري . ثم اخترع الليجيون وتشكيله كقوة للصدام . وقد يمكن للجندي التغلب على مخاوفه لفترة قصيرة ، بواسطة الانضباط ، وقد تكون هذه الفترة القصيرة هي الوقت اللازم لينتصر ، ولقد أثار القادة الرومان معنويات جنودهم لا بالتشجيع بل بثورات الغضب . وجعل القائد الروماني حياة جنوده تعسة بالعمل المرهق الذي يقومون به ، وبسبب افتقارهم الى الضروريات ، ثم مد من قوة الانضباط وتأثيره الى الحد الذي عنده يجب - في اللحظة الحرجة - أن تتفتت هذه القوة أو أن تتمكن من القضاء على العدو . وهناك مدى لا يمكن للانسان بعده أن يحتمل القتال في الخطوط الأمامية دون أن يشتبك تماماً بعدوه» وقد وافق (دوبيك) على الحديث التصويري الذي قدمه الجنرال (بورباكي)^(١٣) من أن «المهجوم أساساً - وفي أعماق حقيقته - لا شيء غير الفكاك والتخلص بواسطة التقدم» . كانت تلك هي أهم الدروس التي استخلصها (دوبيك) من دراسة المعارك القديمة . أما من حيث المادة والتجارب المعاصرة التي جمعها ، فانها لم تكن متناقضة مع صورة الحرب الحديثة ، غير أنه كانت هناك مجموعة كبيرة من الخرافات والاساطير التي انتشرت عن عمليات اقتحام ناجحة وعن أعمال شجاعة حربية ، الأمر الذي أبقى كل فرد - كما قال دوبيك - مغمض العينين ، بداية من القادة وحتى المواطنين العاديين ، وكانت هذه الاساطير هي السبب الدائم لتكرار وإعادة هذه العمليات ثانية ، في ذات الصورة من الفوضى والاضطراب . وقال دوبيك : «لم يتم الاستيلاء على - قنطرة أركول -^(١٤) الشهيرة بهجوم أمامي ، جبهي ، ولم

(١٣) بورباكي : (BOURBAKI - CHARLES) قائد فرنسي ، من أصل يوناني ، ومن مواليد بو-PAU .
(١٨١٦ - ١٨٩٧) . اشتهر في حرب القرم حيث قاد لواء سنة ١٨٥٤ . كما اشتهر في الحرب الإيطالية ضد النمساويين سنة ١٨٥٩ وكان قائد الحرس الامامي في جيش الراين سنة ١٨٧٠ ، ثم تولى قيادة جيش الشرق ضد بلفورت (١٨٧٠) وتولى سنة ١٨٧٣ قيادة الفيلق (١٤) مع قيامه بأعمال الحاكم العسكري لمنطقة ليون . ومات في مدينة بايون (BAYONNE) .

(١٤) قنطرة أركول : (PONT D'DARCOLE) هي القنطرة التي وقعت بالقرب منها معركة يوم ١٧ تشرين الثاني - نوفمبر ١٧٩٦ م . والتي قادها نابليون بشجاعة ، معرضاً نفسه للخطر عندما حمل الراية - العلم - بيده ، واندفع على رأس قوات الرماة (غروناديه) للاستيلاء على القنطرة الموصلة إلى مدينة (أركول) الإيطالية ، والواقعة على نهر البون (ALPONE) الذي يرفد نهر اديج (ADIGE) .

يكسب الفرنسيون معركة - سولفرينو - كذلك بهذه الصورة، بل باستخدام الحراب بعزيمة وقوة فجددوا بذلك عصر الالتحام بالسلاح الأبيض». ولقد تذكر النمساويون - على التخصيص - اسلوبهم القديم الطابع لاساليب الاصطدام التعبوية - التكتيكية - ووضعوها كل اصلاحات جيشهم على أساس الفكرة التعبوية - التكتيكية - الحاسمة للاقتحام بالحراب. ولكنهم غفلوا تماماً عن حقيقة أن الفرنسيين لم يستخدموا حراهم إلا عندما انهارت الخطوط النمساوية. وكان (مولتكه) مراقباً جيد التقدير، دقيق الملاحظة، وقد وصل إلى الحقائق الصحيحة، واستطاع أن يستنبط من هذه المعركة درساً، هو أنه، يجب أن تصل دقة نيران البروسيين الى غاية ما يمكن من اطراد التحسين، وكانت معركة (سادوفا) لسنة ١٨٦٦ نتيجة للدراسة الصحيحة التي وصل إليها هو والنمساويون من بحث معركة (سولفرينو). ولم يكن بالمستطاع اعادة، أو تكرار، أساليب الاصطدام التعبوية - التكتيكية - والتي لم تتوافر لها عادة هذه الكفاية التي تعزى إليها، بدرجة اكبر تأثيراً في ضوء الظروف الحديثة. ويقول (اردان دوبيك) في ذلك: «... ومن الغريب - وان كان هذا الغريب حقيقة - أننا كلما اقتربنا من العدو كلما كنا أقل تجمعاً، ولم يعد من مكان لنظرية الضغط بوساطة الصفوف الخلفية، فانه إذا أوقف الصف الأمامي، توقفت الصفوف الخلفية بدلاً من تتابع الاندفاع للأمام، واليوم، واكثر من أي وقت مضى، يبدأ الفرار من الصفوف الخلفية، والتي تواجه ذات المؤثرات التي تواجه الصفوف الأمامية، وهذا يوضح خطأ نظرية الدافع البدني، أي عامل المحرض الجسماني في داخل الفرد ذاته». وهكذا فان الواجب الأساسي لجندي العصر الحديث هو أن يتخلص من مثل هذه المشاعر القديمة وأن يعمل هادفاً إلى تطور الاساليب التعبوية - التكتيكية - التي تمكن الأفراد من القتال إلى غاية ما لهم من جهد، وبالطبيعة يجب أن تتغير الاساليب التعبوية - التكتيكية - من وقت الى آخر. وكما أشار (نابليون) محقاً فان الجيش لا يكون في حال طيبة الا إذا كان يغير نظم اساليبه التعبوية التي يستخدمها في القتال كل عشر سنوات. ولقد اهتم (اردان دوبيك) بالانضباط، قدر اهتمامه بقتال الصدمة، ذلك أن الانضباط

والثقة هما وحدهما الاسس الثابتة التي لا تتغير. ويتوقف الانضباط كما تتوقف (الثقة) جزئياً على التنظيم العسكري وعلى صفات القادة أنفسهم. كما يتوقفان - إلى حد ما - على ما يمكن أن يطلق عليه اسم (علم الاجتماع العسكري). ومن الضروري أن يدرّب الضباط بقدر كاف ليستطيعوا أن يقدروا من البداية، ما يمكن أن يقوم به العدو، ولكن الأكثر أهمية من هذا عامل التصميم أو العزيمة، وهكذا تتكون المعادلة القائلة: «بأن العزيمة، ودائماً العزيمة، ثم العزيمة، هي أكبر من سرعة السير في أي مكان من العالم». ولا يكفي أن تتوافر هذه العزيمة لكبار الضباط وحدهم، إذ لا بد من توافرها أيضاً لكل درجات السلم العسكري، وخاصة أولئك الضباط الذين يقودون جنودهم فعلاً في المعارك. وعارض (دوبيك) بقوة فكرة ممارسة الضغط على القادة التابعين، أو قيام الرؤساء بفرض افكارهم ووجهات نظرهم فرضاً على مرؤوسيه، كما عارض فكرة غرس الشعور لدى كافة المستويات العسكرية، بأن هناك سلطة واحدة ذات منعة، سلطة واحدة معصومة من الخطأ، محصنة ضد النقد، وإن العقيد - الكولونيل - مثلاً، عندما ينظر إلى نفسه وحده، وكأنه هو السلطة الوحيدة التي يتوافر لها الذكاء ودقة الحكم، وعندما يغتصب من الضباط التابعين القدرة على الابتكار، انما يهبط بمستواهم الى درجة منحلة من (القصور الذاتي) إذ يفقدون الثقة بأنفسهم، وخوفهم من التقريع بعنف وقسوة. ثم ماذا سيحدث لو أن هذه اليد القوية التي توجه الأشياء، قد غابت للحظة من اللحظات؟ إنهم سيعملون ولا شك عمل الجواد الذي بقي طويلاً يحكمه عنان قوي ثم ترك له الزمام فجأة، إن هؤلاء الضباط التابعين لن يستطيعوا في هذه اللحظة التي جاءت فجأة أن يستعيدوا الثقة في أنفسهم، هذه الثقة التي أخذت منهم قسراً ودون أية رغبة. واخيراً! لا يكفي أن تتوافر (العزيمة) للضباط فقط، بل لا بد لها وأن تتوافر في كل سرية من سرايا الجنود، وعلى الأخص ضباط الصف، الذين هم الهيكل المعنوي للوحدة، والذين يلجأ اليهم الجنود عادة في اللحظات الحرجة، فيستطيعون عندها أن يمدّوا الجنود الذين تضعف روحهم المعنوية، بفيض معنوي جديد. ثم لا بد من أن تتجمع كل هذه

الصور المختلفة للعزيمة. وهذا التجمع وحده هو الذي يربط بين الافراد ممن تتوافر لهم ارادة القتال، وعلى كافة المستويات بداية من الجندي وحتى القائد الأعلى. وهذا الرباط هو الذي لا يسمح لأحد من هؤلاء واولئك بالفكاك والتخلص من القتال، هذا العامل الأصيل هو (الانضباط) العنيف والصارم. ويمضي (أردان دوبيك) في حديثه عن التجربة التاريخية، فيقول: «لقد كان الانضباط عند الرومان أكثر عنفاً وأشد صلابة، لا سيما عند مواجهة العدو. وكان الجنود هم الذين يفرضونه فرضاً على أنفسهم. فلماذا لا يحرص جنودنا اليوم على توافر الانضباط بينهم على ذات الصورة؟ ولماذا لا يعاقبون أنفسهم عند ارتكابهم للخطأ؟ إن هذه الوسيلة هي وحدها التي تمكن من الاحتفاظ بالانضباط عندما تشتد الحاجة إليه في اللحظات الحرجة وتتضح من الاتجاهات المختلفة أنه سيتفتت وينهار».

لقد وضع الرومان الانضباط - على نحو ما سبق ذكره - على أساس الغضب والخوف والعقاب. ولكن هذا الانضباط (الدراكوني)^(١٥) لا يتمشى مع ما صارت اليه المجتمعات من تطور. وعلى هذا فما هي إذن عناصر الانضباط في الجيش الحديث؟ ويجيب (دوبيك) على هذا السؤال بأنه: يجب أن تتوافر في الضباط أولاً الثقة بأنفسهم، ثم أن يدربوا على الخضوع للقواعد الأساسية - التي استصوبها فيما بعد - ألا وهي:

- * - التحقق من كل شيء: أي دقة وحسن الملاحظة.
- * - اقامة الحجة والبرهان: باستخدام الجهد وحسن الوصف.
- * - التنظيم: أي حسن التوزيع.

على أن يضع الضباط نصب أعينهم أن (التماسك أو التلاحم) معناه (الانضباط). وبذلك يكون (دوبيك) قد استبدل (الغضب) عند الرومان باصطلاح (التماسك). ويرجع هذا إلى حقيقة أنه في العصور القديمة كان

(١٥) دراكوني: (DRACONIAN) نسبة إلى المشرع الاثيني (دراكون: DRACON) عاش في أواخر القرن السابع ق.م. اشتهر بتشريعاته الشديدة القسوة والتي قيل في وصفها انها كتبت بقطرات الدم.

التراجع عن القتال عملية مخفوفة بالمخاطر بالنسبة للجندي ، على حين أن الميل إلى هذا التراجع أقوى اليوم عند الجندي الحديث ، ثم إن عملية التراجع أسير وقوعاً اليوم وأقل خطراً ، ولهذا فإن القتال الحديث يتطلب المزيد من التماسك المعنوي ، كما يتطلب رابطة أقوى مما كان يتطلب فيما مضى . ومن سوء الطالع أن عدداً قليلاً من الضباط هم وحدهم الذين يعتبرون جنوداً ممتازين تتوافر فيهم القدرة على الابتكار والابداع في أساليب قتال المعركة ، والتي تختلف تبعاً لاختلاف العدو ، وتبعاً لكل حالة فردية «وهكذا جاءت الحاجة الى اساليب تعبوية - تكتيكية - متجددة ومعدة من قبل ، وتصلح لتوجيه الضابط العادي ، مثلها كمثل الاساليب التعبوية التي كانت محددة بوضوح ، والتي كانت توضع لمعاونة قائد الليجيون الروماني ، بحيث لا يمكن للضابط أن يتجاهلها أو يغفلها من غير أن يعرض نفسه للفشل في أداء واجبه . غير أن هذه الاساليب التعبوية - التكتيكية - وإن كانت عاجزة دونما ريب عن أن تجعل من الضابط قائداً ممتازاً ، إلا أنها تحميه من الفشل بالحيلولة بينه وبين الخطأ ، اللهم الا اذا كان هو أصلاً مجرداً من الامكانيات ولا تتوافر له القدرة على العمل» .

ويتوقف النجاح في الحرب الحديثة على اقدام الجندي وجرأته وعلى معنويات أفراد الوحدات المقاتلة الصغيرة ، ويتوقف الأمران بدورهما على التأثير المعنوي المتبادل بين الأفراد - الذين يعرفون بعضهم البعض . على أن (دوبيك) لم يقل بالتأكيد بتعادل الشجاعة والقوة الجسمانية ومساواة كل منهما للأخرى ، وعنده أن الاقدام - أساساً - هو مستوى معنوي ، وأنه يشبه إلى حد كبير (التصميم) أو (العزيمة) في كونه صورة من الصور المعنوية ، والأكثر من هذا ، فهو يرى أن (العزيمة) أو (الرغبة الجماعية) للوحدة - لا صفات الجندي الفرد وحده وفضائله - هي التي لها الأثر الحاسم . ومن الضروري أن يقوم الجنود ، كما تقوم الوحدات المقاتلة ، بتدريب طويل ، يعنى بوضع برامج ورسم أهدافه ، وعلى ألا يكون هذا بقصد الوصول إلى المهارة في استخدام الأسلحة وتوافر المعرفة بصناعة القتال وحسب ، بل أن يستهدف - هذا التدريب - أول ما يستهدف (توافر الارتباط التعاوني القوي بين الافراد) . وهذا الارتباط هو الذي يخلق بينهم الشعور المتبادل

بالفخر (فخر حب الوحدة) كما يتوافر نوع من التماسك والاتحاد والزمالة والألفة والصدقة، بين كل أفراد الوحدة، إلى الحد الذي تغيب معه المشاعر الانفرادية أو الانعزالية، وتوجد بدلها في كل جندي عاطفة جماعية وتعصب ديني وفخر قومي وتطلع إلى المجد والتعلق بالتملك والكسب للبلاد، فإذا ما توافرت روح حب الوحدة بين الأفراد أمكن أن يتوافر بينهم الشعور القوي المليء بالثقة القائمة على المودة والألفة، والتي لا يمكن أن تضيق في خضم المعركة، وهي وحدها التي تصنع المقاتلين ذوي العزم. فإذا ما توافر جيش كهذا، فليس من الصعب التأكيد بأن الجنود الأقوياء في مواجهة الموت، والذين يندفعون بجرأة كبيرة، وعاطفة قوية، والذين يواجهون الموت بتصميم وشجاعة، من غير أن تصفر وجوههم أو تهتز جفونهم، يمكن - إذا لم يتوافر لهم التنظيم والانضباط الجيدان - أن يهزمهم جنود أقل منهم جرأة إذا ما ارتبطوا معاً متماسكين في وحدة مقاتلة، وحدة جيدة التنظيم موفورة الانضباط. وعلى هذا، فقد حان الوقت لفهم نقص القوة في جيوش الغوغاء.

ولقد كان رفض (دوبيك) لفكرة التجنيد، يعتمد على تفضيله (للنوع) على (العدد) أو (الكم) وقال في ذلك: «... توافرت للجنود في هذه الأيام أسلحة تدميرية دقيقة وبعيدة المدى. حتى بات باستطاعة قوة صغيرة ومتماسكة وذات روح معنوية عالية، أن تكسب نصراً مليئاً بالبطولة على قوة أكبر منها عدداً، ومسلحة بذات الأسلحة التي تحملها... ثم أي نفع من جيش تعداده مائتا ألف جندي، إذا كان نصف هؤلاء هم الذين يقاتلون حقاً، على حين يتفرق ويختفي المائة الألف الآخرون بمائة طريقة مختلفة للفكاك». «إن النوع يسبق العدد في الحرب، فالخصائص والفضائل الحربية أهم وأكبر قيمة من العدد. وليس للأسلحة الحديثة قيمة في أيدي الجنود الضعاف العزيمة مهما كان عددهم». لقد أوضح (دوبيك) في الواقع، كل ما هو ضروري لاصلاح حالة الجيش الفرنسي، ولم تقف أبحاثه وتوصياته عند ما سبق ذكره، بل تعرض لأهمية التدريب وبذل الجهد الطويل والمستمر لتطوير القوات، كما هاجم (الروح الرأسمالية) المسيطرة على الضباط والذين تجعلهم أشحاء بأرواحهم،

يخشون فقد مراكزهم السامية التي يشغلونها، وأشار في الوقت ذاته إلى ضرورة رفع مستوى الضباط المعيشي - أو الحياتي - وأكد: بأن النبلاء العسكريين يحبون خوض غمار الحرب، في حين أن المقاتلين من الطبقات الصغيرة أو المنبوذة، كانوا يدفعون إلى الحرب على غير رغبة منهم في خوضها، ويدفعون إليها بوساطة الجموع الديمقراطية المشاغبة المحبة للحرب. والمهم في ذلك هو (عدالة القضية التي يحارب الجيش من أجلها). وطالب بتطوير الروح الهجومية للجيش (لأن الذي يهاجم دائماً هو الذي يكسب الحرب) (الهجوم في كل مكان وفي كل وقت، ومهما كانت الوسائل، فإن الهجوم يؤدي إلى النصر) ويتطلب ذلك: «إعطاء الأفضلية للمناورة سواء في الهجوم أو في الدفاع».

٣ - فوش - وتطور الفكر العسكري الفرنسي .

هزت هزيمة الفرنسيين في الحرب البروسية - الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١م) المجتمع الفرنسي هزاً عنيفاً. غير أن صدمة الجهاز العسكري كانت اكبر، فاستيقظ الضباط الفرنسيون من أحلام أمجادهم الخادعة. ولم تعد ظاهرة القصور في التنظيمات العسكرية مجرد حالة من الشك، وإنما أصبحت قناعة عامة لدى جميع القادة والضباط الفرنسيين، على اختلاف مراتبهم، وعلى كافة مستويات مسؤوليتهم. إذ لم يكن بين أسباب هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ما هو أكثر وضوحاً من قلة كفاية القيادة العليا. فقد مارس قادة فرنسا - جنرالاتهم - دورهم في غباء وحماقة ونزق وطيش، وظهر هذا القصور بصورته الفاضحة عند إجراء المقارنة مع قادة بروسيا الذين تفوقوا بتدريبهم واعدادهم، وتميزوا بدور ضباط هيئة الأركان التي أعدت للحرب كل متطلباتها. ولم تتمكن - بداهة - شجاعة الجنود الفرنسيين وحماسهم من تعويض القصور الكبير في كفاية قيادتهم. وظهر بجلاء تام للفرنسيين أنه لا بد لهم من إصلاح الجيش إذا ما أرادوا استعادة مكانتهم كقوة عسكرية لها دورها في أوروبا، ولها ثقلها في العالم، وكان لا بد لهذا الإصلاح من أن يبدأ (بإصلاح هيئة القيادة العليا ذاتها). وعلى هذا تم تنظيم هيئة أركان الحرب الفرنسية في سنة ١٨٧٤ على طراز أو

نموذج هيئة الاركان البروسية. غير أن هذا الاصلاح استتبع بالضرورة انشاء معاهد دراسية عليا توضع القادة على مستوى ما تتطلبه مدرسة الحرب الحديثة. ولا بد من الاشارة هنا إلى أن هيئة أركان الحرب الفرنسية كانت تغفل قبل سنة ١٨٧٠ قيمة المعرفة والدراسة، مكتفية بتأهيل الضباط عملياً، فكانت المهارة في ركوب الخيل - مثلاً - هي المقياس الحاسم لاختبار كفاءة الضباط واختيارهم لاشغال المناصب الهامة، وتكليفهم بالاعمال الخطيرة. وتحول الموقف بعد سنة ١٨٧٤م. فباتت معرفة الضباط بالنظريات العسكرية، وكفاءتهم في الادارة والقيادة، هي أساس اختيارهم، وهي قاعدة اختيارهم لوظائف أركان الحرب. وفي سنة (١٨٧٨) انشئت (الكلية العسكرية العليا) (*) ثم عدل اسمها بعد سنة (١٨٨٠م) الى (كلية الحرب العليا) (*) (*) التي أضحت المركز الثقافي للجيش، ومهد تدريب كبار الضباط. وكان لا بد لكلية الحرب العليا من اعتماد (نظرية) للتعليم، فتم الرجوع الى دراسات (أردان دوبيك) ونظرياته، بالإضافة الى اعتماد نظريات (كلاوزفيتز) في (الحرب). وفي سنة ١٨٨٥، دخل الكلية ضابط صغير اسمه (فرديناند فوش) وفي سنة ١٨٩٤، كان هذا الضابط قد عين مدرساً في الكلية. وكان هذا الضابط، بمزجه تقاليد الماضي إلى المكتشفات العسكرية الحديثة، وقيامه بهذا المزج في اسلوب حديث له أصالته هو الموجه الجديد للفكر العسكري الفرنسي، وكان هو الأكثر أهمية والاكثر تأثيراً في تصوير النظريات الثقافية للضباط الفرنسيين قبل الحرب العالمية الاولى. ولقد انطلق (فوش) في ابحاثه ودراساته من تجربة الحرب البروسية - الفرنسية، حيث أكدت له هذه التجربة أهمية التدريب الاكاديمي النظري في خوض الحرب

(*) الكلية العسكرية العليا (ÉCOLE MILITAIRE SUPÉRIEURE)

(**) كلية الحرب العليا: (ÉCOLE SUPÉRIEURE DE GUERRE) وتجدر الاشارة إلى أن قضية تغيير التسمية، هي تعبير عن تغيير المضمون، إذ أن التسمية الاولى انما تعني أن الدراسة في الكلية العسكرية العليا هي مجرد دراسة متقدمة للضباط الذين يتخرجون من الكلية العسكرية (سانت سير). أما التسمية الثانية فتعني اعداد الضباط القادة للحرب ضمن شروط معينة ليس أقلها توافر الكفاءة والمعرفة - نظرياً وعملياً.

وادارتها. ويتضح من الكتابين اللذين كتبهما (فوش) قبل حرب سنة ١٩١٤م. أنه كان متأثراً الى حد كبير بنظريات (كلاوزفيتز). وكنتيجة لهذا فان كل الامثلة التاريخية التي قدمها، قد خرج بها من حروب نابليون، أو من حروب سنة ١٨٧٠. وظهرت أصالة (فوش) في ايضاحه للقواعد الاستراتيجية الجديدة والتي تبرز عدداً قليلاً من الحكم والأقوال البسيطة جداً، وهي ترمز بطبيعتها الى تعاليمه، ودعامة لها، وتعكس هذه الرموز الازدواج في طبيعة تفكيره، الازدواج بين العامل الثقافي والفلسفة السببية، وبين العامل الروحي والسمو والتفاخر بمضاء العزيمة. والحقيقة أنها يظهران غالباً في صورة أكثر قليلاً من مجرد آراء واضحة لا تستحق الذكر، ولكن من الضروري أن يعترف من يدرس تطور الفكر العسكري بأن أقوى مبادئ الاستراتيجية وأعرقها لم تجيء إلا من مثل هذه الحقائق والآراء.

أوضحت تعاليم (فوش) مدى الحاجة الى البحث المستمر والتفكير الدائم بتعديل النظريات وتكييفها تبعاً لمتطلبات العمليات، واستخدم (فوش) بطلاقة إحدى حكم (نابليون) القائلة: «الحرب فن بسيط، يكمن جوهره وكنهه في اتمامه وانجازه». ولم يحاول (فوش) الانتقاص من قيمة الاعداد المسبق للحرب، فقد تتوقف نتائج هذه الحرب كلها على الاسلوب الذي حدث به الاشتباك في المعركة الاولى. ولكنه آمن بأنه من غير المستطاع اعداد التخطيط بدقة لأية معركة تالية للمعركة الاولى، وينقل فوش هنا مرة أخرى إحدى حكم نابليون، فلقد أوضح الامبراطور: «بأنه لم تكن لديه خطة للعمليات. ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن يعرف إلى أين يسير، إذ كان يعد تخطيطه للحرب، ويحدد الهدف النهائي الذي يجب بلوغه، ويتابع بعد ذلك مسيرته، وهو يتخير في طريقه تبعاً للظروف، الوسائل التي تمكنه من الوصول الى الهدف». ومع أن (مولتكه) قد أدرك حقيقة: أنه من المحال الابقاء على خطة جاهزة ومعدة من قبل. فان ضعف حملة سنة ١٨٧٠ - على ما لاحظته فوش - كان هو جمود القيادة العليا عن العمل تبعاً لترك خطة العمليات لابتكار قادة الجيوش ذاتهم. وكانت الخطة البروسية تعتمد على متابعة مسيرة الاحداث بصورة مستمرة،

وكانت أعمال العدو بدورها تقوم أيضاً على اسس اعتبارات لها منطقها، وتتفق مع مصالحه الخاصة، وفي مواجهة مثل هذا العدو، أعد الألمان خططهم للهجوم من قبل. وهنا تظهر بداية المشكلة، إذ أن القادة لم يعملوا تبعاً للخطة الموضوعة، فكان لا بد من انهيار هذه الخطة، إلا إذا كان القائد العام على مقربة من الموقف، وعلى استعداد كامل لاتخاذ قراراته واصدار أوامره لمجابهة المواقف المتغيرة والظروف المتحولة. غير أن ادارة المعارك وتوجيهها بواسطة القيادة الألمانية العليا كانت إدارة غير مباشرة، وكان توجيهها أعمى غير صحيح، وقد كان النصر لا بسبب الجمع والتنسيق للعوامل المختلفة بوساطة (مولتكه)، ولا بسبب دقة تنفيذ الجنود للتدابير التي أمر بها، إلى غاية ما لهذه الكلمات من معنى، بل الواقع أن الجنود قد كسبوا هذه الانتصارات حينما وحيثما كان القادة ذاتهم لا يتوقعونها(?) . ويقول (فوش) في جده، مع أنه كان مسرفاً في مديحه لمولتكه: «من أن الجيش الفرنسي لم يهزم باستراتيجية غير خاطئة، بل لأن القيادة الفرنسية لم تستطع الانتفاع من أخطاء البروسيين. هذه الأخطاء التي كان أهمها صلابة تخطيطهم للعمليات وجمودهم، ثم انعدام التوجيه المستمر للعمليات من جانب القيادة الألمانية العليا». وقد اكتسبت ملاحظة (فوش) هذه أهمية خاصة، إذ أنها أوضحت فيما بعد أسباب هزيمة الألمان عند المارن في سنة ١٩١٤، ألا وهو: عزلة القيادة الألمانية العليا وبعدها عن ميدان المعركة. وان النقد الدراسي للعمليات الحربية ليتسع لكل عوامل النقص التي تبدو شاذة وغريبة من وجهة نظر التاريخ الافتراضي الذي يقوم على أساس النقاش القائل بأنه: «ولو أن النصر - كما لاحظ فوش بعد الحرب - منع الألمان من تفهم وادراك الاخطاء التي وقعوا فيها، وهذا ما جعلهم بالتالي يثابرون على متابعة هذا الخطأ وارتكابه من جديد. فلقد كانت خطة شليفن (للحرب العالمية الاولى) خطة ممتازة، ولكنها نفذت تنفيذاً رديئاً. ولو كان (نابليون) هو الذي تولى قيادة الجيوش الألمانية التي قامت بغزو فرنسا، فلا شك أنه لم يكن ليبقي على مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ميل من الخطوط الأمامية، ولا شك أيضاً أنه لم يكن ليرك لقادته التابعين مهمة ادارة المعارك واتخاذ القرارات. لقد كان نابليون يسيطر على

الحوادث، بدلاً من أن يتركها تحدث وتقع. ولم يتبع (مولتكه) هذه الصورة المثالية. ولكن (جوفر)^(١٦) فعل هذا، مما جعله ينتصر في معركة المارن (١٩١٤). وعلى هذا فان آراء (فوش) في ادارة الحرب، وافكاره، انما تمثل موازنة جميلة بين (المذهب المنطقي) وبين (المذهب التجريبي) ومما لا ريب فيه، هو أن إعادة تطبيق المبادئ العامة، وتكييف الحلول على ضوء المواقف القائمة هي سر الاستراتيجية الناجحة.

ولكن ماذا كانت هي المبادئ العامة هذه؟ بل وقبل كل شيء، أي نوع من الحرب هو الذي تطبق فيه المبادئ؟ إن الاجابة على السؤالين تتطلب قبل الخوض في (المبادئ التي حددها فوش) التعرض ولو بصورة وجيزة لنظريته العامة للحرب.

لقد سبقت الاشارة إلى أن (فوش) قد اتبع نظريات (كلاوزفيتز) الذي أوجز ما جاءت به حروب الثورة الفرنسية من تغيير وتبديل، كان من أبرز مظاهره ذلك التحول عن (الحروب الأهلية المحدودة) الى (الحروب المطلقة - أو الشاملة). وهو تحول لم يكن شيئاً جديداً - على الأقل - بالنسبة للفرنسيين. وكان اغفال حقيقة هذا التحول هو سبب هزيمة الفرنسيين في سنة ١٨٧٠م. وفي ذلك قال فوش: «وبسبب اهمالنا هذا التحول الأساسي الذي قام به جيراننا، وبسبب النتائج التي كانت له، كنا نحن ضحية هذه الحرب الأهلية التي كنا نحن واضعي أصولها. ونقف اليوم ونحن مرغمون على العودة ثانية الى - نظرية الحرب المطلقة - وذلك على ضوء ما نستطيع أن نصل إليه منها عبر دراستنا للتاريخ، يحفزنا إلى ذلك عودة أوروبا كلها الى (نظرية الحرب الاهلية) أو نظرية الامم المسلحة المقاتلة». ولهذا السبب - بالذات - اختار فوش كل مراجعه التاريخية من احداث ودراسات فترة معينة ومحددة، هي فترة العصر الحديث لحروب

(١٦) جوفر: (JOFFRE - JOSEPH, JACQUES, CÉSAIRE) ماريشال فرنسا (١٨٥٢ - ١٩٣١م) اقترن اسمه بالانتصارات التي حققها في (تونكين) و(السودان) و(مدغشقر) وتولى القيادة العليا للجيش الفرنسية (١٩١٤ - ١٩١٦م) وانتصر في معركة المارن الاولى (ايلول - سبتمبر ١٩١٤) ضد (مولتكه الصغير).

الشعوب . ومع أن فوش قد استخدم اصطلاح (الحرب المطلقة) غير أنه لم يدرك في الواقع كل ما تتضمنه هذه الحرب من صور لم تظهر بشكلها الواضح إلا في الحرب العالمية الاولى ، كما أنه لم يدرك بعمق ما تعنيه هذه الحرب أيضاً من متطلبات تأتي في طليعتها (التعبئة الاقتصادية الشاملة) والاستعداد لخوض الصراع المسلح في البر كما في البحر . ومقابل ذلك ، فقد حددت نظرية فوش ، وبدقة رائعة ، تلك العلاقة الثابتة بين (المعركة والحرب) وكذلك العلاقة بين (الاستراتيجية والتكتيك) وهو ما عبر عنه فوش بقوله : «لا نصر بغير معركة . . . ولا تعلق استراتيجية على تلك التي تهدف الى ضمان النتائج التعبوية - التكتيكية - أي التي تهدف الى اكتساب النصر بالقتال» .

ويظهر بعد ذلك درس من جملة الدروس التي أبرزتها الحروب النابوليونية ، وهو درس جدير بالتقدير ، تعلمته بروسيا وأغفلته فرنسا في حكم الامبراطورية الثانية (حكم نابليون الثالث) ذلك لأن قادة فرنسا كانوا متأثرين بأهمية المواقع الجيدة (المواقع الجيوستراتيجية) والتي يظن بأن احتلالها يساعد على تأمين المتطلبات والاحتياجات عند الاشتباك النهائي مع العدو ، أو يجعل الدفاع ، على الأقل ، قوياً الى الحد الذي يمكن من اقلال الفرص التي تكون إلى جانب المهاجم «وقد جادل (فوش) على أساس أن الحرب الحديثة تتطور لتكون أكثر اتجاهًا نحو الطابع الأعمى في أصولها وأهدافها ، كما أنها تتجه لتكون أقوى في الوسائل التي تستخدمها ، وكما أنها تتحول لتكون أكثر تباعداً عن العوامل ذات الطابع الكمي بتقدير قيم الأرض والمواقع والتسليح والامدادات والتموين . فانها حرب تغفل تماماً عن تملك الأرض ، والاستيلاء على المدن ، وغزو واحتلال المواقع القوية» .

لقد كان من (الطفولة) قبول المعركة ضد قوات أكثر عدداً بالاستناد إلى الفوائد التي تقدمها الأرض . ولكنها (طفولة) لا تقل عن هذا القفز نحو الطرف الآخر وذلك على نحو ما فعلته القيادة الفرنسية العليا في الأيام الاولى من الحرب العالمية الاولى اعتماداً منها فقط على (الروح المعنوية) .

وكانت نتيجة هذه العودة - كما قال فوش بعد الحرب العالمية الاولى - هي الرجوع من جديد الى (بربرية) المعارك النابليونية، والوصول بهذه البربرية الى ذروتها العليا من الوحشية تبعاً لاستخدام التطورات الفنية الحديثة في هذا القتال العنيف. لقد آمن (فوش) بأن هذه الحرب المطلقة يمكن اخضاعها لمبادئ ثابتة وقواعد محددة. وتعرض لهذه المبادئ فذكر منها ما يلي:

- * - مبدأ الاقتصاد في القوى.
- * - مبدأ حرية العمل.
- * - مبدأ حرية استخدام القوات.
- * - مبدأ الأمن . . . (الخ).

لقد أراد (فوش) بكلمة (الخ) الإشارة الى مجموعة غير محدودة من القواعد المتعلقة بمبادئ الحرب عامة. وفي ذلك يقول: «يبدو لي أن فن نابليون يتكون من عدد غير قليل من الأصول الواضحة المبسطة الى حد غير عادي، وقد استخدمها بمهارة الرجل المدرب العارف بصناعته ليووجه جنوده ويزجهم في القتال بمهارة حتى يتمكن من مهاجمة العدو في أضعف نقطة بقوات اكبر. وأن يسيطر على جنوده حتى في توزيعهم، كما يسيطر قائد العربّة على جياد عربته باحكام الأعنة، ويستطيع تبعاً لهذه السيطرة أن يحشد جنوده في لحظة واحدة. وأن يعين قطاع العدو الذي يهدف إلى تدميره، وأن يميز ويدرك النقطة الحاسمة التي تنقلب عندها هزيمة العدو إلى فوزى. ثم أن يستطيع مباغته العدو بسرعة تخطيطه لعملياته. وكان هذا هو القليل من العوامل الضرورية لعبقرية نابليون العسكرية». فاذا ما بحثت (مبادئ فوش) بعد ذلك، وبصورة تفصيلية، فسيظهر فوراً أنه ليس هناك فارق مميز بين (مبدأ حرية العمل) و(مبدأ حرية استخدام القوات). مما يحمل على الاعتقاد بأن (فوش) قد استخدم التسميتين - او الاصطلاحين - على التبادل ليوحي إلى طلابه بالأهمية الكبرى التي لقوة المبادأة والابتكار، وأهمية التحرر من رغبة العدو، على أن الأمر الأكثر أهمية من هذا - في الواقع - هو ما قدمه بعدهما في حديثه عن (مبادئ الحرب).

فمبدأ (الاقتصاد في القوى) هو نتيجة لمبدأ (حرية العمل) الذي يبشر به، ثم (مبدأ الأمن) الذي هو أصل تطبيق مبدأ (الاقتصاد في القوى). وكان من رأي فوش، أن مبدأ (الاقتصاد في القوى) هو الذي مكن من بقاء (فن الحرب) واستمراره، على الرغم من الفوضى أو الاضطراب الناجمين عن أحوال الحرب الحديثة وظروفها. وفي ذلك يقول: «من الأمثال الصحيحة مثل يذكر صاحبه: بانك لا تستطيع إصابة أرنيين في وقت واحد، ولكنك تستطيع أن تمسك بأحدهما فقط. والفكرة في هذا هي أنه لزاماً على المرء أن يحشد قصادى جهده لبلوغ الهدف. وان اولئك الذين يقولون: بأن الاقتصاد في القوى انما يعني ادخارها، وأنه يجب على المرء أن يكون حذراً فلا يوزع جهوده، انما يقدرّون جزءاً من الحقيقة وليس كلها. ولكن الأقرب إلى الحقيقة هم اولئك الذين يحولون الأمر إلى ضرورة معرفة الأسلوب الصحيح للتوزع والانتشار، على أن يكون في هذا ما يهدفون إليه من نفع، وبذلك يستطيعون أن يصلوا إلى أحسن الوسائل المستطاعة لاستخدام كل الموارد المتوافرة لهم». وقد يكون (التقدير) أو (الحساب المنطقي) الذي يقبله العقل، هو تعادل جيد لمبدأ (الاقتصاد بالقوى). هذا المبدأ المعروف جيداً بين أسس النظريات الاقتصادية، والذي يطبق تطبيقاً عاماً في السلوك البشري المثالي وليس في (فن الحرب) وحده. وواضح أن هذا المبدأ الواسع المدى، لا يقدم القواعد التي يمكن تطبيقها في عدد كبير من الفرص المحتملة، أو بمعنى آخر، لا يقدم الأصول التي يستطيع القائد أن يختار منها ما يطبقه لكل حالة تعرض له، نظراً لتعدد هذه الحالات وتباينها. كما أنه لا يمكن القول - على ضوء هذا المبدأ - بأنه يجب مثلاً حشد كل القوات دائماً للقيام بالهجوم الحاسم. ولكن الدرس الذي يمكن استخلاصه من هذا هو أنه من غير المستطاع عملياً بأن يتأكد المرء من أن العدو ليس هو الأقوى في كل نقطة من مواقعه، مما يضطر معه إلى المجازفة أو المخاطرة كضرورة لا قبل له بتجنبها. والفكرة أن العدو إذا كان هو الأقوى في قطاع ما من ميدان المعركة، فهناك قطاعات أخرى لا تتوافر فيها هذه الأفضلية وإلى هذه القطاعات يوجه الخصم حشد قواته. وتابع فوش حديثه فقال:

« . . . هناك عدد كبير من القادة المدربين المهرة، إلا أنهم يفكرون في أشياء كثيرة جداً. انهم يحاولون رؤية كل شيء والاحتفاظ بكل شيء والدفاع عن كل شيء: عن المستودعات وخطوط المواصلات، عن المؤخرات والمواقع، الى غير هذا مما يمكن التفكير فيه وتوجيه النظر إليه. إن مثل هذا العمل منهم معناه في النهاية توزيع الجهد. هذا التوزيع الذي يحول دون حشدهم لجهودهم كلها تجاه غرض واحد، وتوجيه الضربات إليه بقوة. وهكذا فانهم في النهاية لا يعملون شيئاً ولا يصلون إلى شيء». ولكن، ألا تكون نتيجة هذا الحشد خطر التعرض لمباغطة العدو في المكان الذي لا نتوقعه فيه؟ إن مبدأ (الأمن) يمكن من تجنب مثل هذه المخاطرة، واغفال هذا المبدأ في الأيام الأولى سنة ١٨٧٠ كان من أهم العوامل الرئيسية للنكبة التي حلت بالجيش الفرنسي. ومن جهة أخرى فقد أجهد (فوش) نفسه ليثبت في كتابه (مبادئ الحرب) أو (إدارة الحرب) أن مثل هذا الاغفال للمبدأ ذاته كان شائعاً بين القادة البروسيين. ولكن ربما كان البروسيون يعرفون كيف ينتفعون من أخطاء أعدائهم، فان هذه الدراية والقدرة على الانتفاع من أخطاء الخصم لم تتوافر للقادة الفرنسيين. وقد وقف (فوش) نصف كتابه (المبادئ) تقريباً لدراسة مبدأ (الأمن) ولعل من المفيد تلخيص ذلك، بكلمات فوش ذاته: «وهذه الفكرة الإضافية - للأمن - والتي نعبر عنها بكلمة واحدة، تنقسم في الواقع إلى : ١ - الأمن المادي: أي طابع الأمن الذي يمكن من تجنب ضربات العدو، عندما لا نرغب في مقابلة ضرباته بمثله. والأمن المادي هو صورة الشعور بالأمن في خضم الخطر كما تكون الحال عند التوقف أو السير وراء ساتر قوي. ٢ - الأمن التعبوي - التكتيكي: «وهو طابع الأمن الذي يمكن من القيام بتنفيذ برنامج، أو أوامر صادرة من قيادة أعلى، برغم الظروف غير الطيبة التي تسببها الحرب، وبرغم البقاء في خضم المجهول. وأيضاً برغم التدابير التي يقوم بها العدو برغبته الخالصة الطليقة، وعلى أن تتوافر لنا برغم كل ما يمكن أن يقوم به العدو، حرية تامة للعمل». وقد كتب (فوش) ما يلي: «إن هذا - المجهول - الغامض، هو الذي يحكم الحرب وأحوالها، ولهذا كان العامل الأول للأمن هو اختراق سجف المجهول مع الوصول إلى غاية

ما يمكن من المعلومات، ولما كانت - القوة الاساسية - تتوزع بالضرورة، فان واجب الحصول على المعلومات يلقي على عاتق - الحرس المتقدم - او المقدمة». وتتوقف حرية العمل للجيش على درجة نجاح - المقدمة - في اتمام الواجب الموكول إليها، ولهذا كان واجب المقدمة ثلاثي الاركان - وفقاً لما يلي:

١ - التبليغ: أي الحصول على المعلومات وارسالها للخلف، وذلك بالقيام بالاستطلاع المستمر حتى اللحظة التي تشترك عندها القوة الأساسية في المعركة.

٢ - الوقاية - أو الحماية والتغطية: باخفاء كل تحركات القوة الأساسية حتى تتم احتشادها وتأهبها للاشتراك في المعركة.

٣ - التثبيت: بابقاء قوة العدو المعتزم مهاجمتها في الأوضاع التي تم استطلاعها فيها، وشغلها بالنيران، ودوام مراقبتها، لمعرفة كل تحركاتها بدقة حتى لحظة بدء الهجوم.

من الواضح أن (فوش) في تأكيده لأهمية - الحرس المتقدم - لم يفكر في التطور الذي جاءت به الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) عندما قصر جيشان كبيران في عددهما قويان في تسليحهما وعتادهما، كل نشاطهما في فترات الهدوء من الاشتباكات الدامية، على أعمال المراقبة، أو بمعنى آخر، على القيام بتدابير الأمن، وذلك تبعاً للجمود الذي هيمن على الجبهتين المتصارعتين من الخنادق بين الحدود السويسرية وبحر الشمال. وكان هذا الاصرار على التفكير في (مبدأ الحرب) وحده تسليماً بالفردية في ضوء اخطاء حرب سنة (١٨٧٠م) ثم في ضوء التحول الذي اتجهت إليه الحرب العالمية التي تلتها. وكان (فوش) من دعاة الحرب الهجومية، وفي ذلك يقول: «إن الصورة الهجومية وحدها هي التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج جيدة، سواء استخدمت منذ البداية، أم بعد القيام بالتنظيم الدفاعي. ولهذا فمن الضروري القيام بالهجوم على الأقل عندما تقترب المعركة من نهايتها. وإن العمل الهجومي، هو القاعدة السائدة في الحرب، من الناحية التعبوية - التكتيكية - . . . ومن الناحية المعنوية، يجب أن توجه

الجهود كلها إلى التخطيط للهجوم حتى يصبح بالامكان تنفيذ هذا الهجوم في أفضل الظروف المناسبة». وظن فوش أن المعركة قد تتخذ في الظروف الحديثة إحدى الصورتين المحددتين: «فاما صورة - معركة المناورة - وهي الصورة التي يمكن فيها تحقيق المباغته، واحراز النصر، عن طريق جهد متكامل لهجوم حاسم». واما صورة «- معركة المتوازيات - أو - معركة الخطوط - وفيها تشتبك كل المواقع على امتداد جبهتي القتال، ويتوقع القائد العام توافر الظروف والتوجيهات الحسنة التي تمكن من معرفة المكان والوقت الذي يجب أن يبدأ عنده العمل. فاذا ما ترك القائد العام تقدير الوقت والمكان - لقادته التابعين، تركه هؤلاء بدورهم الى مرؤوسيه، وهكذا يصل الأمر في النهاية الى معركة يكسبها الأفراد - أي إلى معركة مجهولة المؤلف - لا يعرف على وجه الدقة والتحديد من هو صاحب الحق في أن ينسب إليه هذا النصر؟...» ولا ريب أن هذه الصورة تمثل (توقعاً مسبقاً) عن شكل (الحرب العالمية الاولى) وطبيعتها، مع ما تميزت به هذه الحرب من (انعدام للحركة). وقد يكون بالمستطاع تقديم وصف أكمل للمعركة وفقاً لما ذكره - فوش - ذاته: «وتشارك الوحدات في القتال حيثما وجهت، ثم يصلها كل ما تحتاجه من القوى والوسائل. كما تستخدم الوحدات فرادى في أقسام تبعاً لتطور مراحل القتال، وتستبدل هذه الوحدات بالطريقة ذاتها، حيث تزج وحدات جديدة تعمل مكان الوحدات القديمة. إن مثل هذه المعركة تتكون من سلسلة متتابعة من الجهود التي تستمر، الى أن تتأكد النتائج بسبب النجاح الذي يجيء من غير توقع أو انتظار. ويكون هذا النجاح نتيجة جهد وحدة ما، أو نتيجة لعمل أي من القادة التابعين، دون أن يعرف على التحقيق من هو صاحب الحق في هذا النجاح». وقد وضع (فوش) باعتباره وتقديره تأثير التطورات التقنية الحديثة على (مبادئ الحرب) مثل المدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة، فكتب ما يلي:

«... توافر للأسلحة المدى الأكبر، وأضحت نيرانها أكثر غزارة، وستجد القوات تبعاً لذلك بأنها باتت مرغمة على اتخاذ تشكيلها الهجومي من مسافة أكثر بعداً من قبل، وأن تفعل هذا وراء سواتر أصلح

وأقوى مما كانت تستخدم فيما مضى» و«تزداد درجة الحاجة إلى الساتر يوماً بعد يوم» ولهذا «... يجب أن تستخدم التحركات على الأجناب، وأن تفعل هذا لأطول وقت ممكن» وأدى التطور في فن استخدام المدفعية إلى تقدير الدور الهام لنيرانها في اجراءات الهجوم. وفي أثناء هذه الاجراءات يجب أن تعمل الوحدات الأمامية على ضمان - الأمن - أي المحافظة على سرية التخطيط للهجوم الحاسم. وهي تفعل هذا باجراءات مزدوجة: «الحصول على المعلومات عن العدو، وحماية القوات التي تعد للقيام بالهجوم». وقد تحتاج الوحدات الأمامية لتنفيذ هذا الى القيام بالقتال في صورة ما، وفي هذه الحال يكون للمدفعية أثرها بسبب مراميها الطويلة، وبسبب خفة حركتها ووسائلها التي تمكن من تحقيق المباغتة. وتكون الاساليب التعبوية - التكتيكية - للمشاة - في هذه العمليات مركزة لفتح طريق على امتداد الجبهة تمهيداً للاعمال الحاسمة التي تدعمها المدفعية... وهكذا، أضحت النيران صورة من صور الجدل أو النقاش الحاسم ويتعرض الجنود بتأثيرها للخسائر الفادحة، اذا لم يدعم هجومهم الجزئي بنيران هجومية. وتبقى الأفضلية للنيران التي تشكل العامل الحاسم والاساسي الذي يستند إليه تأثير القوات المقاتلة. ومع هذا، فان (فوش) لم يدرك القيمة الحقيقية التي ستمكن منها هذه الأفضلية في النيران إذا كان على المشاة أن تتغلب على النيران القاتلة التي لأسلحة المدافعين الآلية. إذ كان على المشاة أن تتقدم خلال المرحلة الاولى حتى مسافة (٦٠٠ - ٨٠٠ ياردة) من مواقع العدو، مستخدمة ما يتوافر لها من سواتر ومن خطوط اقتراب جانبية، وعلى أن تتخذ التشكيلات التي تسمح لها بأصلح صور الاستخدام لهذه السواتر، فاذا ما جاءت لحظة التنفيذ، أو لحظة الهجوم الحاسم، وجب أن يمكن التشكيل من الاستخدام الجيد لوسيلتي العمل، أولاهما: (قوة النيران) و(قوة الضرب - الصدمة). وقد تحدث (فوش) عن النيران، وتأثيرها القوي، وعن العوامل التي تصحبها، بقوله: «... لقد باتت النيران التي يستطيع المرء أن يدعم بها قدرته أمراً ثانوياً، أو بمعنى آخر: إن النيران التي يطلقها الجنود من أسلحتهم - الفردية - هي في المرتبة الثانوية بالنسبة لنيران الدعم التي تقدمها الأسلحة - الجماعية - . ولما كانت المشاة

تشكل في خطين ثانيهما هو الخط الأقوى وكان من الضروري أن تسير، وأن تسير بسرعة مسبقة بسيل منهمر من الرصاص. فان أقوى النيران لا تستطيع وحدها أن تضمن تنفيذ القرار الحاسم. . . . ويسير الجنود متجهين صوب الغرض، وكل يهدف الى جزء الغرض المحدد له، ويزيدون من سرعتهم كلما اقتربوا من هذا الغرض، وهم في سيرهم هذا يسبقهم سيل من الرصاص، بل ويستخدمون أيضاً - حراهم - للاطباق على العدو. ويعمل الجنود ليكون لهم سبق اقتحام مواقع العدو. ويلقون بثقلهم وسط قواته، لينهوا الصراع التنافسي بوساطة الصلب والبارد، والشجاعة الأكبر، والارادة الأقوى. وتسهم المدفعية في الوصول الى هذه النتيجة بكل قدرتها، تابعة المشاة في تقدمها، مع تزويدها بالمعاونة ومع سترها لعملية الهجوم».

انتقد (فوش) في محاضراته الأولية في (مدرسة الحرب) النظريات الآلية، التي انتشرت في فرنسا قبل سنة (١٨٧٠) والتي كان الناس على أساسها يظنون أن النصر يتوقف على الاتجاه الواضح للعوامل المادية، نظراً لتساوي وتعادل العوامل المعنوية في الجانبين المتصارعين. ومن هنا جاء اهتمام (فوش) بالعامل المعنوي في الحرب، وجاءت بالتبعية نظريته - ولو جزئياً - الى الحاجة للوصول الى الأفضلية المادية. ولكن لم تظهر شخصية (فوش) القوية، كما أنه لم يضع دعامة المكانة التي وصلت إليها دراساته الا على أساس بحوثه عن (العوامل المادية). وقد تأثر (فوش) بسبب تدينه وتعمقه - في مذهبه الكاثوليكي - بفلسفة (جوزيف دوميستر)^(١٧) المخيفة عن الحرب، فقد اعتبر - دوميستر - الحرب شيئاً مقدساً. ورأى أن الحرب قد جاءت في القانون السماوي لتطهر الانسان من خطاياها. وأنها وسيلة

(١٧) جوزيف دوميستر: سياسي وكاتب وفيلسوف فرنسي، ولد سنة ١٧٥٣، ومات في (تورينو) سنة ١٨٢١. تخرج في مدرسة الآباء اليسوعيين، كان من خصوم الثورة الفرنسية. ودافع عن سلطان البابا والملك، له عدة مؤلفات منها (أمسيات بيطرسبورغ) الذي نشر غداة وفاته سنة ١٨٢١. وله دراسة عن فلسفة (بيكون) وقد نشر قبيل وفاته كتابيه وهما: (البابا - DU POPE) و(الكنيسة الفرنسية - الجليكنية: DE L'EGLISE GALLICANE).

للتكفير والاستغفار عن هذه الخطايا. وفي الحوار - الديالوج - الشهير لمسرحية (امسيات بيترسبورغ) يعرض أحد المشتركين في الحوار الى أهمية هذه العوامل التي تقرر النصر أو الهزيمة حتى بالنسبة للجنود المحترفين. وقد أجاب قائد مضطرب التفكير لأول وهلة على سؤال: (ما هي المعركة المفقودة؟) بقوله: «لا أدري!» ولكن بعد وقت قصير أجاب قائد آخر: «انها المعركة التي يظن المرء أنه فقدها، لأن المعركة لا تفقد من الناحية البدنية الملموسة» ويقول فوش في نقاشه: «إن المعركة لا تفقد إلا معنوياً، ومعنوياً أيضاً يمكن أن نكسب المعركة. ولهذا فاننا نستطيع أن نزيد من مدى قاعدة هذه الحكمة بقولنا إن المعركة التي يكسبها المرء هي المعركة التي يعترف فيها لنفسه بأنه لم يهزم». وكان للمعادلة التي قدمها (فوش) في قوله: «النصر يعادل الارادة» نصيبها من الشهرة والتقدير. وكانت هي في الواقع الايضاح للجانب الروحي في خلق فوش. وقد يمكن بعد ايضاح هذا الجانب السببي، اكمال هذا التحليل الموجز لعقيدته، بتقديم صورته كرجل يؤمن بعقيدته ايماناً له قدسيته. ولقد كان مزج السبب بالارادة، وربط الثقافة الذهنية بالايان، هو مظهر عبقريته كقائد لعدة جيوش. ولم يصل أي قائد لم تتوافر له هذه الصفات الى المرتبة العليا، ولكن الذي جعل (فوش) أعظم رجال عصره قدرته على أن ينقل ايمانه القوي ونشاطه الجارف الى تلاميذه أولاً، ثم الى باقي أفراد الجيوش التي يقودها، وأن يجعل هؤلاء كلهم يؤمنون بما جاء في تعاليمه.

عاش (فوش) حياة العصر المادي الذي طغت فيه التقنية والصناعة على كل ما عداها من ظواهر الحياة ومفاهيمها وقيمها، فكان لازماً على (فوش) أن يركز جهده للتأكيد على أهمية العامل المعنوي في الحرب. وبذلك فقد ذكر طلابه ومستمعيه بأنه مهما كان مدى التغيير وأثره عظيماً في الحياة المعاصرة - تبعاً لتطور العلم والتقنية - فانه لا يمكن لهذا التغيير أن يعدل أو ينقص من قيمة (قوانين القلب البشري). وفي الحرب، كما في كل الاوضاع الاجتماعية، يظل (الرجل) المخلوق البشري، هو العامل الأول والاخير. واعترف فوش - فيما بعد - بأنه قد آمن منذ بداية الحرب العالمية الاولى: «بأن العوامل المعنوية وحدها هي التي يجب أن يحسب حسابها»

وكان هذا هو خاتمة التعاليم التي أوصى بها قرار إعادة تنظيم القيادة العليا الفرنسية في سنة ١٨٧٠. وكان جمود الحوادث وتزمتها بعد ذلك هو الذي أدى (بفوش) إلى وضع ظهر فيه ضعفه المعنوي والعقلي - على ما وصف به من قبل المحللين والكتاب. ولا بد لمثل هذا الوصف من أن يستثير سؤالاً، وهو: هل استطاع فوش عندما جاءت الحرب العالمية الأولى - ١٩١٤ - أن يطبق هذه المبادئ التي طالما بشر بها؟ أم أنه قد عمل على اغفالها والتنكر لها؟.

لقد أثار المؤرخون والكتاب جدلاً طويلاً بشأن ما اذا كانت الانتصارات التي حققها فوش قد جاءت بسبب مبادئه أو أنها جاءت منفصلة عنها؟ ولا ريب أن أثر الدروس التي ألقاها في (مدرسة الحرب) قد ظهر واضحاً في الخطة الفرنسية للعمليات والتي اتجهت الى الهجوم في سنة (١٩١٣). وكان (غراند ميزون) الذي تولى قيادة الجيش العثماني الحديث في وقت ما، وأحد الذين نجحوا في تقبل الحكومة الفرنسية للخطة الهجومية، من طلبة (فوش). ولكن فوش ذاته لم يقيم بدور مباشر في هذا التخطيط للحرب. ويمكن القول أيضاً بأن عقيدته بالنسبة (لمبدأ الأمن) لم توضع موضع التقدير الكافي قبل بدء الحرب مباشرة. وعلى أية حال، فإن خطة الحرب كما وضعت، قد انتهت الى المذابح التي حدثت في (مورهانج) و(أرلون) و(شارلروا). وقد أفسح إيمان فوش (بحرب المناورة) السبيل للصورة الجديدة (صورة حرب الخنادق). فعندما توجه الى الشمال - بعد معركة المارن - لينسق العمل بين الجيوش الفرنسية والانكليزية والبلجيكية، قال: «لقد أرسلوني إلى هنا متأخرين لأقوم بالمناورة، ولكن الأحوال لا تبشر بالضوء. فإن هذا الامتداد الذي لا نهاية له لخطة الخنادق يؤثر في أعصابي». وهكذا فإن المناورة والتي آمن بأنها أعظم صور الحرب كانت تفسح الطريق لمعركة الخطوط. ولكن، مهما كانت الحرب قد غيرت من (مبادئ فوش) الأولية، فإن نسيجه المعنوي هو الذي احتمل هذا المد والجزر، وليس قوة ابتكاره العقلية هي التي احتملت هذا. ولقد استطاعت كلمات أحد الكتاب - المؤرخين - رسم صورة (فوش) في

المعركة بقوله: «كان يندفع كالعاصفة، يقتحم باب كل مركز من مراكز القيادة، وقد جمد وجهه وتيبس جسمه، فيلقى قائداً قد تملكه الفزع، ويقول هذا القائد: يواجه جنودي ضغطاً كبيراً من قوات تفوقهم عدداً، وليس باستطاعتي القيام بعمل ايجابي ما لم تصلني امدادات وقوات للدعم. وعندها يجيب (فوش) بغضب وعنف: اهجم! اهجم! اهجم!. ثم يندفع (فوش) الى الخارج كبطارية كهربية مليئة بالنشاط، وقد تملكه شعور لا واع، ليحاول من جديد في مكان آخر، اشعال جهد يكاد أن يخبو. وليقوي عزيمة تكاد أن تنهار».

ولقد لخص (فوش) دوره في معركة (المارن) بقوله: «لقد هزمت في اليوم الأول، وفي اليوم الأخير كانت المسألة هي مسألة الصمود للقتال، لقد تقدمت ستة كيلومترات، ولكني لا أعرف لماذا حدث هذا، انه يرجع الى حد بعيد للجنود أنفسهم، ويرجع القليل فقط الى أنني كنت مليئاً بالعزيمة لأن أفعل هذا، ثم ان الله كان هناك».

وكانت الأقدار ذاتها تؤكد اصراره السابق على الأهمية الكبرى التي



معركة المارن التي انتصر فيها فوش في تموز - يوليو ١٩١٨.



حفر الجنود خنادقهم عميقاً في الأرض لاتقاء النار الكثيفة والمركزة والصورة لخنق في (نوتردام دولوريت) حيث تمركز الجنود الفرنسيون ليشهدوا أقسى المعارك في سنتي ١٩١٤ - ١٩١٥ .
وحيث اشتدت قسوة الحرب بقسوة الطبيعة .



جنود فرنسا في الخنادق. من ذكريات الحرب العالمية الاولى عندما انتصرت النار على الحركة، فتحولت الحرب الى (حرب خنادق).

للقيادة، بأن جعلته القائد الأعلى لقوات الحلفاء. وفي (دولنز)^(١٨) حيث كان الجيش الانكليزي الخامس يتراجع تحت وقع ضربات لودندورف (في ٢٦ آذار - مارس ١٩١٨) وكان (هيغ) و(بيتان) يفكران في اضطرارهما للتقهقر، أنقذت صلابة فوش الموقف، حيث قال: «... والرأي السليم هو أنه عندما يبدأ العدو محاولته لفتح ثغرة، لا ينبغي أن تتوافر لك الرغبة، وسيكون كل شيء بعد هذا سهلاً وميسوراً». وعندما اجتمع مجلس القيادة الأعلى للحلفاء، صاح فيهم فوش: «انكم تقاتلون، ولكني أريد أن أقاتل، وسأقاتل، أمام أميان، ووراء أميان، سأقاتل في كل وقت، وكل مكان». وقد يبدو التفاؤل للناس سهلاً ميسوراً، وعلى الأخص عندما يصل إلى حد الاستهتار واللامبالاة، وعندما يساق كعذر للتعطل عن العمل. على أن هذا التفاؤل يكون نادراً غالي الثمن في غمرة الخوف من النكبة المتوقعة، وتحت إجهاد المسؤولية. ان اولئك الذين مروا بمثل هذه اللحظات الحرجة هم وحدهم الذين يدركون القيمة التي للتفاؤل، وهكذا كان (فوش) عندما اقترب هذا الايمان الفريد النادر الذي توافر له من أن يتبدد ويضيع، وكان للتفاؤل قيمته بالنسبة إليه عندما وكل اليه

(١٨) دولنز: مدينة فرنسية في مقاطعة السوم شمال اميان.

تنظيم وتنسيق عمل جيوش الحلفاء في الجبهة الغربية. ولقد كان عمله في البداية ذا طابع سياسي، ثم لم يلبث أن حصل على سلطات بدأت تتزايد تدريجياً. لقد رويت قصة أعمال وظيفته هذه وما احتوته من مخاطر، رويت أكثر من مرة، ولكنها لم تصل الى مرتبة القيادة المنظمة، وكان (فوش) في السنوات الأخيرة يفخر بالصورة التي استخدم فيها الاقناع السياسي أكثر مما استخدم السلطة العسكرية.

كانت جميع العمليات في الجبهة الغربية من آذار - مارس سنة ١٩١٨ وحتى نهاية الحرب تحت اشراف (فوش) وتوجيهه، وكانت استراتيجيته في البداية بسيطة لا تزيد عن كلمة واحدة هي (الثبات). وقد تمسكت الجيوش بالأرض التي تحتلها بعد أن قضت أسبوعاً واحداً في تقهقر واضطراب، ولكنها لم تلبث أن استعادت تنظيمها. وعرف (فوش) أنه عندما يجيء الأمريكيون الى الغرب، فإن كل ما يجب عليه عمله هو أن يثبت الى غاية ما يستطيع، وسيمكنه هذا من استعادة قوة الهجوم. غير أن الأمريكيين لم يصلوا. وأثناء ذلك، وجه الألمان ضربة أخرى في قطاع (شومان دودام)^(١٩) - في ٢٧ أيار، مايو، ١٩١٨ - فقد بوغت الجيش الفرنسي تماماً، وفتحت ثغرة واسعة في خطوط الفرنسيين وذلك للمرة الاولى منذ سنة ١٩١٤.. واستطاعت الجيوش الألمانية أن تسير بسرعة عشرة أميال في اليوم الواحد، ووصل الألمان إلى (المارن) يوم ٣٠ - أيار، مايو. ولكن إذا كان الجيش الفرنسي قد بوغت مرة، فما ينبغي أن يباغت مرة ثانية، ولهذا فعندما وجه الألمان ضربتهم من جديد في يوم ١٥ تموز - يوليو كان (فوش) ينتظر هذه الضربة ويتوقعها، وقد أعد لمواجهة كل ما توافر له من قوات احتياطية، وبعد ثلاثة أيام وجه هجومه المضاد الأول، وهنا عاون الابتكار التعبوي - التكتيكي - للمرة الاولى - على نجاح المعركة في

(١٩) شومان دودام: (CHEMIN DES DAMES) أو - طريق السيدات، وهو طريق يمر من فوق خط الذرى في اقليم الايسن (AISNE) بين الايسن وآليت (AILETTE) وقد كان هذا الطريق مسرحاً لصراع دموي رهيب بين الفرنسيين والألمان في ايلول - سبتمبر ١٩١٤ وتشرين الأول - اكتوبر ١٩١٨.

مرحلتها الدفاعية ثم الهجومية. ففي المرحلة الدفاعية، تركت - المناورة - التي فقدتها جيش (الجنرال غورو)^(٢٠) فراغاً بين خط الدفاع الأمامي الرقيق، وبين خط المقاومة الأساسي، واستطاع الألمان أن يندفعوا في هذا الفراغ دون معاونة المدفعية، وكان من الضروري القيام (بتراجع استراتيجي) بسبب هجوم العدو المتوقع. على أن الأمر قد تطلب شهوراً عدة حتى استطاع فوش أن يتفهم تأثير أي انشاء في الخط على الحاجة للتشبث بكل شبر من الأرض. وكانت هذه الطريقة الدفاعية على بساطتها هي الظاهرة الأساسية للتنظيم الدفاعي للجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠).

كانت الطريقة التي استخدمها (فوش) في الهجوم كبيرة في قيمتها بسبب ما توافر فيها من الجرأة، فقد كانت (ترتيبات نيران المدفعية - او نظام رمي المدفعية) لدعم المشاة، امراً ضرورياً في كل مراحل المعركة، إذ كانت هذه النيران هي التي تفتح الطريق أمام المشاة في وسط مواقع المدافعين ونيرانهم القاتلة، ولكن هذه (الترتيبات) مع تمهيدها لهجوم المشاة تقلل الى حد كبير من تأثير عامل المباغتة، فلما قلل المشاة من فترة اطلاق هذه النيران التي تسبق عملية هجوم المشاة، واكتفوا بأن تطلق المدفعية نيران التمهيد لمدة عشرين دقيقة، استطاعوا أن يستعيدوا عامل المباغتة. وجاء (فوش) بجديد. فقد قرر ألا تطلق المدفعية طلقة واحدة، حتى تخرج دبابات (ديجو)^(٢١) و(مانجين)^(٢٢) من غابة

(٢٠) الجنرال غورو: (GOURAUD, HENRI - JOSEPH - EUGÉNE) جنرال فرنسي من مواليد

باريس (١٨٦٧ - ١٩٤٦) تولى خلال الحرب العالمية الاولى قيادة فيلق الدردنيل، ثم الجيش الرابع،

ثم القوات الفرنسية في سوريا، ثم عمل حاكماً عسكرياً لمدينة باريس في الفترة (١٩٢٣ - ١٩٣٧).

(٢١) ديجو: (جان ماري جوزيف) (١٨٦٦ - ١٩٣٨) جنرال فرنسي، تخرج في كلية المعلمين العليا، غير

أنه بدلاً من العمل في التدريس اتجه إلى الكلية الحربية - سانت سير - ليتخرج ضابطاً وليعمل في

الجيش، ودرس خلال خدمته اللغات والقانون، برز اسمه اثناء قيادته للجيش الفرنسي السادس،

أثناء تقهقر الألمان من المارن الثانية (في تموز - يوليو) و(آب - أغسطس) ١٩١٨ وتولى قيادة قوات

الاحتلال الفرنسية في أرض (الراين) من سنة ١٩١٩ - الى سنة ١٩٢٤، وعمل بعد ذلك - وحتى

وفاته - عضواً في المجلس الأعلى للجيش الفرنسي.

(٢٢) مانجين، شارل ماري امانويل: (MANGIN - CHARLES) جنرال فرنسي، من مواليد ساربورغ

(فيلير كوتريت) (٢٣).

كان فوش قد تنبأ بالهجوم الألماني، وأعد عدته للقيام بالهجوم المضاد، وفي مذكرته المؤرخة بتاريخ ٢٧ تموز - يوليو ذكر بأن: «المد قد تحول، ولقد جاءت اللحظة لتنفض أيدينا من الوضع الدفاعي الذي أرغمنا عليه حتى الآن، بسبب النقص العددي في قواتنا، وقد أضحي من الضروري أن نتحول إلى الهجوم». وفي تعليقه على الدروس المستفادة من العمليات الأخيرة، ذكر قاداته بأن: «العامل الأول والأهم هو المفاجأة، وقد أوضحت العمليات الأخيرة أن هذه الحال لازمة وضرورية للنجاح». وفي الشهور الثلاثة التالية، عمل (فوش) على عدم اعطاء الألمان أية فرصة للراحة. كانت عمليات الهجوم تتلاحق باستمرار وفي كل مكان. وقد استطاع (فوش) أن يحقق ذلك في الواقع بفضل الامكانيات التي توافرت له، حيث تدفقت عليه الامدادات وقوى الدعم والوسائط القتالية دونما توقف. فهل بالامكان بعد ذلك القول بأن انتصاره النهائي قد جاء ثمرة اسلوبه الخاص؟ أو بفضل ادارته الناجحة للحرب؟

لقد أوضح (فوش) في تعليقاته: «كيف مكنته الاستراتيجية العليا من الانتصار على خصمه الألماني لودندورف» فقال معلقاً على العمليات الهجومية لسنة ١٩١٨: «لقد وضع لودندورف تخطيطه لعملياته الهجومية

(١٨٦٦ - ١٩٢٥) كان أبوه من قادة فرق المشاة، بدأ حياته العسكرية برتبة ملازم في مشاة البحرية، وخدم في السودان (١٨٩٣ - ١٨٩٩) ثم تولى قيادة الفرقة الخامسة في بداية الحرب العالمية الاولى، ثم قاد على التابع الفيالق (١١ و٦٩) ثم تولى في سنة ١٩١٨ قيادة الجيش الثاني عشر، واشترك في معارك المارن الثانية قائداً للقوات الامريكية - الفرنسية التي هاجمت (الجيب) الألماني في غرب سواسون قرب (شاتوتيري) واخترق بجيشه خط (هندنبرغ) بين (الواز - والين) في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨ أي قبل الهدنة مباشرة. وله مؤلفات عسكرية منها (القوة السوداء ١٩١٠) و(كيف انتهت الحرب - ١٩٢١) ثم كتب الجزء الخاص بالتاريخ العسكري البحري ضمن مؤلفه (تاريخ الأمة الفرنسية -) الذي نشر عام وفاته سنة ١٩٢٥.

(٢٣) فيلير كوتريت: (VILLERS - COTTERÉTS) من اقليم (الين AISNE) الفرنسي تقع على مسافة ٢٧ كيلومتراً جنوب غرب سواسون (SOISSONS) بها قلعة بناها فرانسوا الأول. وقد تعددت فيها المعارك طوال الحرب العالمية الاولى، منذ التقهقر من مونز وحتى معركة المارن الثانية.

بمهارة تستحق الاعجاب، كان تخطيطه دقيقاً، وما من قائد يستطيع أن يوفق إلى أحسن مما وفق إليه هو، ولكن لم تكن هناك خطة احتياطية لتخطيطه. . . . فلماذا لم يتمكن لودندورف بعد كل من ضرباته القوية الوصول الى نجاح حاسم برغم النتائج غير العادية التي حققها؟» ويجب (فوش) على سؤاله بقوله: «والاجابة الوحيدة على هذا السؤال، إن العنصر النهائي لا يتوقف على الكسب الذي يمكن ادراكه من معركة واحدة مهما كانت درجة هذا الكسب، إن كل عملية من عمليات الهجوم يجب أن ترتبط بعدد آخر من العمليات الهجومية، أي يجب أن تكون جزءاً من كل، لا أن تكون كلاً وحدها، ولقد كان هذا هو ما نسيه لودندورف» وهكذا، يصل (فوش) بحديثه الى اعطاء الاهمية - كل الأهمية - (لقيمة التخطيط الجماعي للعمليات) والذي أدى الى الاستسلام الألماني. وكان كل ما يحتاجه الحلفاء هو القيام بسلسلة من عمليات الهجوم (منتظمة، متداخلة معاً، لتحتضن الجبهة كلها). وكثيراً ما كرر (فوش) في مناقشاته اصطلاح (متداخلة معاً) حتى ظهر هذا الاصطلاح وكأنه الصورة الاساسية في استراتيجية (فوش) لهجوم سنة ١٩١٨. وكان (فوش) قبل الحرب العالمية الأولى، يصف استراتيجية الهجوم على أنها أشبه ما تكون (بسير الببغاء) أي أنها تتبع نفس الأسلوب الذي تتسلك به الببغاء قضبان القفص مستخدمة على التوالي (منقارها وأظافرها) وعلى أن تقبض قبضاً جيداً باثنتين من هذه الثلاث قبل أن تخطو الخطوة التالية، والتي تعتبر دائماً مليئة بالمخاطرة، وكانت كلمات (فوش) في هذا الحديث من الجمل الاستعارية التي يحذف منها ما هو معلوم أصلاً، وقد ختم بها (فوش) مرة أحد مؤتمراته قائلاً: «سادتي! إن الببغاء طائر ماجد رفيع الشأن». ويتفق رأيه في هذا مع مبدأ (الاقتصاد في القوى) أي (فن حشد كل القوى المتوافرة لتعمل ضد المقاومة التي يمكن أن تصطدم بها تلك القوى، وبذلك فانه يعتبر تنظيمياً لهذه القوى «بطريقة ما». ولم يكن ذلك إلا صرخة بعيدة عن «المعركة = الهجوم الحاسم».

خرج (فوش) من الحرب العالمية الاولى منتصراً. وقد توافرت له كل الحجج ليؤمن بأن انتصاره في ميدان القتال كان كاملاً، إذ وصلت ألمانيا

إلى النهاية - وإن لم تكن كذلك عندما بدأ المندوبون يجتمعون حول طاولة مؤتمر الصلح. ومع أن المندوبين الألمان لم يحضروا اعداد معاهدة الصلح، فان مبادئ برنامج ويلسون التي قبلها الحلفاء ذاتهم، قد حررت كل ما يمكن للحلفاء أن يطلبوه تحديداً لم يتصوره (فوش) وهو يعد شروط الهدنة. كان دوره قد انتهى ولم يعد له مكان في المباراة القائمة، وعندما حاول التدخل أعاده (كليمانصو) الى مكانه غاضباً أشد الغضب لمحاولة (جندي) اقتحام الميدان الذي لا يخصه (ميدان السياسة). على أن (فوش) في غمرة اقتناعه بواجبه الوطني، أصر على رفع صوته عالياً، لايضاح سياسته في مذكراته العديدة التي قدمها، وخطبه التي ألقاها في المجلس الأعلى للحلفاء خلال الفترة بين توقيع الهدنة وتوقيع معاهدة الصلح، ومع أن هذه كلها معروفة ومسجلة، إلا أنه من الضروري الإشارة إليها هنا حتى تكتمل صورة نظريته للأمن العسكري. ولقد كانت الفكرة بسيطة وواضحة، فقد جادل على أساس أن الأمن الأوروبي لا يمكن ضمانه، لا بوساطة نزع سلاح ألمانيا، الأمر الذي لا يمكن ارغامها عليه باستمرار، ولا بوساطة المعاهدات والمحالقات التي تعتبر صورية لا قيمة مادية لها. إن الضمان المادي هو وحده الذي يعتبر كافياً ومرضياً، وهذا الضمان المادي هو: احتلال رؤوس جسور على الراين: «فان النهر هو العامل الحاسم، والذي لا يسيطر على الراين هو الذي يحتمل الخسارة». لقد كان لهذا الحل عدة فوائد، فان احتلال بعض نقاط مختارة يكون اكثر اقتصاداً، لأنه سيتم بوحدات صغيرة العدد من الجنود. ولما كان (فوش) قد اقترح أن تشكل هذه الوحدات من قوات دولية، فانه لم ير في هذا ما قد يخشاه حلفاء فرنسا من محاولتها فرض سيادتها على أوروبا. ويظهر أن فوش قد أراد ان يكون هذا الاحتلال دائماً. وأن يدعمه بتشكيل ولاية مستقلة على الضفة اليسرى لنهر الراين. فلما رفضت خطته، وضاعت مع الزمن هذه الضمانات التي منحتها فرنسا من حليفاتها، لم يفشل (فوش) في اتهام السياسيين، وفي مقدمتهم (كليمانصو) بأنهم قد تسببوا في تدمير النصر العسكري الذي حصل عليه هو. وكان من الطبيعي أنه قد رأى بالاتفاق مع كل مواطنيه، أن المواد التي وضعت لضمان (أمن فرنسا) غير كافية.

«لقد كان فوش واحداً من الجنود الكبار
والعظام الذين أنجبهم القرن العشرون».

الفصل الثاني

- ١ - فوش والحرب العالمية الاولى .
- ٢ - مخططات الحرب ، ومصيرها .
- ٣ - تطور الحرب (سنة ١٩١٥) .
- ٤ - الحرب في فردان والسوم (سنة ١٩١٦) .
- ٥ - الطريق نحو الحسم (كامبري ١٩١٧) .
- ٦ - فوش - ونهاية الحرب (١٩١٨) .
- ٧ - لماذا فوش؟

١ - فوش والحرب العالمية الأولى .

أحرز فوش انتصاره الكبير في معركة فرنسا سنة ١٩١٨ ، غير أن هذا الانتصار، وما رافقه من شهرة وأضواء، لا يحجب دور فوش الذي بقي فعالاً، ومؤثراً، في كافة المعارك المتتالية التي عرفتھا الجبهة الغربية منذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ ، وحتى نهايتها. ولعل ذلك هو الذي حمل للماريشال فوش في سنة ١٩١٨ ، تلك الهالة من التمجيد، مع ما رافقها من ألقاب: القائد الأعلى لجيوش الحلفاء، وماريشال فرنسا وبولونيا، وفيلدمارشال بريطانيا، علاوة على ما أعلنه البرلمان الفرنسي في اقتراع عام من أن فوش «يستحق عن جدارة تمجيد بلاده له».

تعرضت مكانة فوش بعدئذ للاهتزاز، وشهرته للتجريح والنقد، واطيحت ادارته للحرب بهالة ضبابية، ولم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لمجموعة من العوامل: أولها، محاولة اسدال ستار كثيف على الذكريات المربعة للحرب العالمية الأولى. وثانيها، ما أحاط بادارة الحرب من تناقضات، سواء في وسط

القيادة الفرنسية العليا، أو في وسط قيادة الحلفاء، وثالثها، طبيعة ما تم احرازه من نصر في سنة ١٩١٨ بنتيجة تضافر عوامل لم يكن للماريشال فوش دور حاسم فيها (الثورة الروسية) (الثورة الألمانية) (انهيار حلفاء ألمانيا وخاصة تركيا وبلغاريا) الخ... واليوم وقد مضت فترة تزيد على الستين عاماً على نهاية الحرب العالمية الاولى (أو المأساة العظمى) فانه بالامكان اجراء تقويم اكثر موضوعية واكثر عدالة لمسيرة الاحداث التي لم تقرر مصير اوروبا وحدها، وانما تحكمت بمصير كثير من أقطار العالم، قدر تحكمها بالرجال الذين تولوا ادارة ذلك الصراع الكبير.

لقد اشتهر (الماريشال فوش) من خلال قيادته لجيوش الحلفاء (اعتباراً من ٢٦ آذار - مارس ١٩١٨) بهدف تنسيق عمل الجيوش الحليفة على الجبهة الغربية. وشمل هذا التنسيق كل الجيوش الحليفة في الأول من تموز - يوليو. غير أن سلطات فوش كانت محدودة جداً إلى درجة لم يستطع معها أن يأمل من القادة العاملين التابعين له (مثل السير دوغلاس هيغ، والجنرال بيتان، وويرشينغ، ودياز) إلا تنفيذاً اختيارياً لتعليماته. ويعود السبب الاساسي في ذلك إلى اختلاف اهداف الحلفاء من الحرب. وقد يكون من المناسب استعراض تلك الاهداف، وما ضمته من تناقضات. عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى، كان العالم الغربي منقسماً إلى جبهتين متصارعتين(*) الجبهة الاولى وتضم المانيا والنمسا - هنغاريا، وقد انضمت اليها الدولة العثمانية بعد ذلك (في ٩ تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٤) وتقابلها الجبهة التي حملت اسم (دول الاتفاق - او التفاهم) وضمت روسيا وفرنسا ثم انكلترا، ثم اليابان (في ١٥ - آب - اغسطس ١٩١٤). غير أن الصراع تركز حول قطبين اساسيين هما المانيا وتقابلها فرنسا. ولو اقتضت الحرب على الدولتين المذكورتين (بمثل ما كان قد حدث في الحرب البروسية - الفرنسية لسنة ١٨٧٠) لكانت مشاكلها المتبادلة بسيطة جداً. ولكن

(*) يمكن العودة للكتاب السابق (لودندورف) من أجل مطالعة مراحل تشكل الاحلاف واستعداداتها للحرب، وما كانت تملكه من القوى والوسائل لخوض القتال. وما أعدته مدرسة الحرب البروسية من خططات.

هذه المشكلات بلغت درجة كبيرة من التعقيد في سنة ١٩١٤ . لأن الصراع نشب بين حليفتين، تضم حدودهما كل أراضي القارة الأوروبية. وكان هذا الموقف يعني أن الحرب ستشمل كل أراضي القارة. وأن خاتمة هذه الحرب، أي السلم الذي سيتبع الحرب، ينبغي أن يكون مفيداً للمتضررين. ولهذا كان من واجب أعضاء كل حلف من الأحلاف أن يقرروا سياسة مشتركة توجههم الى هذا الهدف. وإذا لم يخطط للحرب بهذا الشكل، فانها ستكون بالضرورة حرباً فوضوية. وسيكون السلم الذي ينتج عنها سلماً مزعزاعاً. كان حلف دول الاتفاق أشد تعقيداً من حلف الدولتين المركزيتين (ألمانيا والنمسا - هنغاريا). إذ أن دول الحلف المركزي كانت مرغمة على العمل على خطوط خارجية، ولهذا فقد كان من الطبيعي وجود سياسة مشتركة تكون مقبولة من كل أعضائه. غير أن الوضع لم يكن كذلك بالنسبة للدولتين الرئيسيتين في حلف دول الاتفاق (انكلترا وفرنسا)، على الرغم من توافر الوقت الكافي منذ سنة ١٩٠٤ لتبني سياسة مشتركة تعتمد على هدف سياسي ايجابي وهو طبيعة السلم الذي تفيدان منه بصورة أفضل عند اقامته في عالم ما بعد الحرب. وهكذا فعندما اندلعت الحرب في آب - اغسطس ١٩١٤، لم تكن هناك وجهة نظر سياسية فرنسية - انكليزية مشتركة. فبقيت وجهة النظر العسكرية مدعوة بالتالي لملاءمة الفراغ السياسي. الأمر الذي أدى الى أن تتحكم الوسيلة بالغاية. ونتج عن هذا الوضع ظهور صراع متناوب ومتواتر استمر طوال الحرب من أجل وحدة القيادة. وكان صراعاً عقيماً. ذلك أنه من المحال إقامة وحدة قيادية عسكرية ما لم تتوافر وحدة في القيادة السياسية. وهذا ما عبر عنه رئيس هيئة الأركان العامة في الامبراطورية البريطانية - وليم روبرتسون - عندما قال: «من الضروري قبل إقامة وحدة القيادة العسكرية، أن تتفاهم الحكومات الحليفة بعضها مع بعض حول السياسة العامة الواجب اتباعها، وأن تكون واثقة بأن تفاهمها ثابت وغير معرض للاضطراب. وان عدم وجود وحدة سياسية يؤدي إلى أن تعمل وحدة القيادة في خدمة حليف من الحلفاء فقط - احياناً - بدلاً من أن تقاد لمصلحة المجموع، ويحدث التناقض بين الاهداف الخاصة لدول الحلف».

ولم يكن من الغريب يعد ذلك أن يكتب وزير الحرب البريطاني في سنة

١٩١٤ (اللورد كتشنر)^(٢٤) الى القائد العام البريطاني (السير جون فرينش)^(٢٥) ما يلي: «أريد أن تعرف بوضوح بأن قيادتك مستقلة كل الاستقلال، وإنك لن تخضع لأوامر القائد الحليف بأي حال من الأحوال». ولقد كانت الاسباب التي دفعته للتعبير عن رأيه بهذا الشكل، تشكل خطيئة كبرى. لأن هذه الاسباب في نظر السير وليم روبرتسون تتلخص بأنه «من واجب بريطانيا العظمى بأن تملك أقوى جيش في أوروبا عندما تنتهي الحرب، لكي تضمن لنفسها بهذا الشكل أفضل شروط للسلم تطالب بها وتفرضها». فقد أهمل روبرتسون ذاته قراءة مقولة كلوزوفيتز القائلة: «إن تبعية وجهة النظر السياسية لوجهة النظر العسكرية، أمر مخالف للاحساس السليم، لأن السياسة هي الذكاء - والحرب هي الأداة». ولو أن روبرتسون قرأ هذه المقولة لما وضع العربة، أمام الحصان. فالسلم المفروض وفقاً لما كانت تطالب به بريطانيا، لا يمكن أن يتجاوز بأي حال من الأحوال حدود الهدنة. وهذا ما حدث فعلاً.

لقد كان في وسع الحلفين المتصارعين تنسيق سياستهما المتبادلة مع الوسائل الموضوعية تحت تصرفهما ومع الشروط الاستراتيجية والشروط الاخرى لبلوغ الاهداف، وكان باستطاعتهم تحديد هذه الاهداف بالاستناد الى الحوافز والدوافع التي أدت إلى قيام الحلفين. فقد كان هدف فرنسا هو القضاء على المانيا واستعادة اقليمي (اللزاس واللورين) اللذين انتزعتها ألمانيا من فرنسا في حرب (١٨٧٠). وهذا مما يضمن لفرنسا استعادة تفوقها وسيادتها على القارة الاوروبية، وهو ما فقدته بعد معركتي سادوفا وسيدان. أما أهداف روسيا فكانت ابتلاع البلقان، والاستعانة بعدئذ بدول البلقان للاستيلاء على القسطنطينية ذاتها والحصول على منفذ نحو المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط. وكانت هذه

(٢٤) اللورد كتشنر: (LORD HERBERT KITCHENER) قائد بريطاني من مواليد بالي لونغفورد (BALLY - LONGFORD) (١٨٥٠ - ١٩١٦) برز اسمه في مصر وحرب الترانسفال - جنوب أفريقيا. وعين سنة ١٩٠٢ قائداً أعلى لجيش الهند. ثم حاكماً مقيماً في مصر. ثم وزيراً للحرب. وقام بتنظيم الجيش البريطاني سنة ١٩١٤.

(٢٥) جون فرينش: (FRENCH - JOHN) كونت الايبر، فيلد مارشال بريطاني من مواليد ريبيل فال (RIPPLE VALE) (١٨٥٢ - ١٩٢٥) تولى قيادة الجيش البريطاني على جبهة فرنسا (١٩١٤ - ١٩١٥).

الاهداف تعني تمزيق الامبراطورية النمساوية - الهنغارية وشل قدرتها . ومقابل ذلك ، كانت أهداف ألمانيا هي العمل لمنع تنفيذ هذين الاحتمالين ، والمحافظة على سيادتها وتفوقها . وكان هدف بريطانيا هو القضاء على ألمانيا ، وما تمثله من منافسة تجارية لها ، وهو هدف لا تستطيع تحقيقه إلا بمعونة من فرنسا وروسيا . وكان موقفها هذا يشكل وضعاً شاذاً ، على نحو ما كان وضعها في حروب التحالف التي اشتركت فيها . ذلك أنه إذا ما انهزمت الدول المركزية بصورة حاسمة ، فان سيادة فرنسا في اوروبا الغربية والتي ستبرز على اثر هذه الهزيمة ، وكذلك توسع روسيا في جنوب شرقي اوروبا ، سيؤثران على التوازن الدولي فوق القارة ، ويدمران هذا التوازن الذي كانت المحافظة عليه هدف السياسة التقليدية التي سارت عليها بريطانيا . وقد انتصرت بريطانيا في الماضي ، اكثر من مرة ، وتغلبت على صعوبات مماثلة بمحاولتها المفاوضة على السلم عندما ضعف خصمها إلى درجة كافية ، وقبل أن يتمكن حليفها القوي من خلافته في القارة . ولا يرتبط أملها في تجديد مثل هذا الوضع بسياستها فحسب ، بل يرتبط أيضاً بسياسة خصمها الأقوى ، ألا وهو ألمانيا .

ذلك هو الموقف الذي كان لا بد للمارشال فوش من أن يتأثر به ويؤثر فيه . وهو موقف يرتبط برجال الدول - السياسيين - قدر ارتباطه برجال الحرب - العسكريين . وهنا لا بد من القول بأن هؤلاء الرجال من سياسيين وعسكريين قد عجزوا عن التنبؤ بالمصير الذي كانت تدفعهم اليه مشاحناتهم وخلافاتهم ودسائسهم وأحلافهم . وقد توقع فوش الملامح العامة للحرب العالمية الاولى عندما قال : « سيكون نموذج هذه الحرب هو النموذج النابليوني ، وعلى هذا فسترتبط الحرب ارتباطاً تاماً بنظرية الحسم بالسلح ، ولن تستطيع أن تطبق أية وسائل اخرى » . غير أنه ما من قائد استطاع تقدير ما تحتاجه هذه الحرب من قوات . أو معرفة مدى العنف الذي ستتسم به الحرب ؟ وهكذا ، وبدلاً من أن يدين فوش حروب نابليون وحملاته ، لبربريتها ووحشيتها ، فانه وجد فيها الوسائل الوحيدة والفعالة لبلوغ هدف لم يتمكن لا هو ، ولا سواه ، من تحديده بدقة ، أو تقويم الثمن الحقيقي لبلوغ هذا الهدف .

ترى هل كان الرجال المعنيون بتوجيه شؤون السياسة والحرب ، يتعجلون

النزاع؟ وهل كانت المشكلات التي يجب حلها قد بلغت درجة من التعقيد حتى بات من المحال عليهم حل (العقدة الغوردية)^(٢٦) إلا بواسطة السيف؟ ألم يتمكنوا من التعلم من صفحات التاريخ كيف يحلون بها شيء من المهارة؟ فقبل ما يقارب من ٧٠ جيلاً كتب بوليب: «هل يمكن أن نعترف بأن التاريخ هو المدرسة الحافلة بالدروس الأخلاقية، لأنه هو وحده الذي يسمح لنا، بدون قلق أو مخاطر، بالحكم على أفضل ما ينبغي عمله؟». ولو أنهم - رجال السياسة والحرب - قرأوا كلاوزفيتز، لعرفوا أن الحرب ترتبط بالسياسة، منها تأخذ طابعها، فإذا كانت السياسة عظيمة كانت الحرب كذلك!.

كانت القيادات العامة في كل البلدان قد صاغت خططها الاستراتيجية قبل بدء الحرب بفترة طويلة. ولم يتمكن واضعو هذه الخطط من استثمار تجارب الحروب التي سبقت الحرب العالمية الأولى، أو الاستفادة من خبراتها. كما أنهم لم يلاحظوا أن ظروف خوض الحرب قد تبدلت بشكل جذري كما أهملوا الدور المتزايد للعوامل الاقتصادية والمعنوية. وسيطرت على معظم الأركان فكرة مفادها أن الحرب ستكون قصيرة الأجل. وأن النصر سيأتي عن طريق موقعة أو موقعتين رئيسيتين. ولم تقتنع هذه الأركان بأن حياة الجيوش المعاصرة تكمن في توفير الاحتياجات الكبيرة وفي الانتاج الكثيف للأسلحة والمعدات. وقد عكست الخطط الاستراتيجية لكل البلدان نوايا الامبريالية واهدافها العدوانية والتوسعية. ويمكن استخدام تلك الخطط في الواقع كنقطة انطلاق لدراسة العمليات الحربية التي نفذت على مسرح الجبهة الغربية. لقد كان طول الجبهة الفرنسية - الألمانية

(٢٦) العقدة الغوردية: (LE NOEUD GORDIEN) نسبة الى غوردIOS وهو عامل فريجي (PHRYGIEN) أصبح ملكاً لأنه استجاب لنداء سماوي وعده بأن يصبح ملكاً للملكة الفريجية - في آسيا الوسطى - إذا ما أمكن له الوصول على عربته. وقد أمكن لغوردIOS الوصول بعربته ونودي به ملكاً. وقد وهب عربته التي أحرز النصر بها هدية للإله. وكانت العقدة التي ثبتت. نير العربة بمجرها قد عقدت بطريقة فنية جداً حتى أنه كان من الصعب العثور على نهايتها. وقد تردد نداء سماوي آخر في هذه الفترة يعد من يتمكن من فك العقدة بامبراطورية آسيا. وقد قام كثيرون بمحاولات عقيمة كان نصيبها الفشل، حتى جاء الاسكندر فقطع العقدة الغربية بحد سيفه. متجنباً بذلك النداء السماوي الذي لم يحدد طريقة فك العقدة. وأصبح اصطلاح (حل العقدة الغوردية) يعني إيجاد الحل الحاسم لمشكلة معقدة.

٢٥٤ كيلومتراً فقط. ولم تكن هذه المسافة الصغيرة لتسمح للجيش الكبيرة التي عبثت واعدت للحرب باجراء مناورات. وكانت نهاية الجبهة الجنوبية الغربية تستند الى سويسرا. فاذا ما سرنا نحو الشمال، واجتزنا مسافة صغيرة في المناطق المستوية قرب (بلفورت) وجدناها تسير على امتداد ١٢٠ كيلومتراً مع طول جبال الفوج. ومنها تمتد من الناحية الفرنسية وراء سلسلة من التحصينات المستندة الى مواقع (ايينال) و(تول) و(فيردان) لتصل الى حدود اللوكسمبورغ وبلجيكا. وكان المخطط الفرنسي الذي تم وضعه بعد كارثة سنة ١٨٧٠م مصمماً على اساس دفاع رئيسي يعتمد على تحصينات الحدود ويتحول في النهاية الى ضربة حاسمة ضد العدو. ووفقاً لهذا المخطط اقام الفرنسيون جهاز تحصينات كبيراً على امتداد حدود الألزاس واللورين وتركوا فيه ثغرات لجذب اندفاع تيار الهجوم الألماني في اتجاه معين.

٢ - مخططات الحرب - ومصيرها.

ظهرت في فرنسا خلال السنوات العشر التي سبقت اندلاع نار الحرب العالمية الاولى مدرسة جديدة تزعمها عقيد (دوغران ميزون) وشرعت بمناقشة المخطط الذي سبقت الاشارة اليه، ومهاجمته، بحجة أنه لا يتلاءم مع العقلية الفرنسية، وانه يتضمن تجاهلاً تاماً للفكرة الهجومية. ووجد الانصار الذين اشبعوا حماسة لفكرة الهجوم في شخص الجنرال (جوفر) قائداً يحمل فكرتهم التي بات بالمستطاع تطويرها عملياً بعد أن أصبح جوفر رئيساً لهيئة الاركان الفرنسية سنة ١٩١٢، وبعد أن احتل انصار فكرة الهجوم مراكز القيادة في الجيش الفرنسي، فعملوا على اهمال المخطط القديم، ووضعوا المخطط المشهور باسم مخطط رقم ١٧، والذي يعتمد على القيام بهجوم عميق تنفذه كل القوى التي يمكن حشدتها ضد القوات الألمانية. وكان القيام بهذا الهجوم الجبهي على امتداد الجبهة يتطلب وفقاً لما افترضه الفرنسيون وجود تعادل في ميزان القوى ضد عدو يعتمد على منطقة حدوده الحصينة. بينما يحرم التوغل في العمق الفرنسيين من مزايا حدودهم وحصونهم. ويظهر بوضوح أن الخطة رقم ١٧ كانت تفتقر افتقاراً تاماً للحسم وتتلخص بالتالي: حشد الجيشين الأول والثاني في القلاع (بلفورت وايينال ونانسي) بمهمة الهجوم على الألزاس واللورين. وحشد الجيش الثالث الى



تجمعات القوات في الغرب ١٩١٤

الشمال في منطقة فردان. كما خطط لدفع الجيش الخامس الى حدود بلجيكا واللوكسمبرغ. وكان يجب على الجيش الرابع أن يتركز في النسق الثاني، وفي الفرجة بين الجيشين الثاني والثالث. ولم تكن مهمة الجيوش الثالث والرابع والخامس حسب الخطة واضحة، بل كانت تتعلق بتصرف العدو وسلوكه، وبمكان توجيه الضربة الرئيسة. لذلك لم يكن لهذه الجيوش خطة واضحة

وحاسمة. ولعل الناحية الوحيدة التي كانت متوافقة مع دروس التاريخ في هذا المخطط هي عدم مهاجمة حصن ميتر، والاكتفاء بتثبيته، على أن يتم الهجوم في اللورين إلى شماله وجنوبه. وكان على الجناح الأيسر تطوير امتداد الهجوم ضمن اقليم اللوكسمبرغ البلجيكي اذا ما اخترق الألمان حياد هذا الاقليم.

لم يكن اشتراك الوحدات البريطانية في المخطط الفرنسي ناجماً عن الدراسة السابقة، بقدر ما كان نتيجة للفكرة الأوروبية التي كونتها القيادة البريطانية خلال السنوات العشر التي سبقت الحرب ودفعتهم إلى قبول القيام بدور (حلقة إضافية) لجناح الفرنسيين، الأمر الذي أبعدهم عن انتهاج الطريقة التي مارستها بريطانيا خلال تاريخها كله. وهي الطريقة التي تعتمد على سرعة الحركة التي توفرها لها السيطرة البحرية. وفي الاجتماع الذي عقد يوم اعلان الحرب، أظهر قائد الحملة البريطانية - جون فرينش - شكوكه في المخطط. وطلب الذهاب إلى (أنغرس) لدعم مقاومة البلجيكيين وتهديد مؤخرة الجناح الأيمن للجيش الألمانية إذا دخلت فرنسا عبر بلجيكا. ولكن رئيس العمليات الحربية - الجنرال هنري ويلسون - تعهد بأن تعمل القيادة البريطانية العامة دائماً بالتعاون المباشر مع الفرنسيين. وهكذا أدت الاتفاقات العسكرية التي عقدت في الفترة من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٤، إلى فتح الطريق أمام سياسة عسكرية تختلف تماماً عن السياسة البريطانية التقليدية والتي استمر العمل بها قروناً عديدة. ولقد اضطر الجميع أمام الأمر الواقع إلى رفض فكرة - فرينش - وتجاهل رغبة هيغ، الذي كان يرغب في تأخير انزال القوات البريطانية من السفن حتى يصبح الموقف أكثر وضوحاً. كما لم يؤخذ في الاعتبار اقتراح كيتشنر بعدم تجمع القوات البريطانية في مكان قريب من الجبهة.

قام رئيس هيئة الأركان الألمانية - الكونت شليغن - بوضع الخطة الألمانية التي تلخصت بتدمير الجيشين الفرنسي والروسي على التوالي وبسرعة كبيرة حتى لا يطول أمد الحرب على الجبهتين. وقد خطط حشد القوات الرئيسة بادية الأمر في قطاع ممتد من الحدود الهولندية حتى قلعة ميتر. ثم توجيه ضربة مباغته عبر أراضي بلجيكا واللوكسمبرغ، والالتفاف من الشمال لتدمير الجيش الفرنسي هناك واحتلال باريس وارغام فرنسا على الاستسلام. ووفقاً لهذه الخطة، كان من

المفروض إقامة الدفاع على الحدود الفرنسية الألمانية جنوب ميتر وبقوى ألمانية قليلة.

لقد استخدم مصرع ولي عهد النمسا وزوجته بتاريخ ٢٨ حزيران - يونيو ١٩١٤ من قبل أحد الوطنيين الصربيين كحجة مباشرة لاشعال نار الحرب العالمية الاولى.

وقد سبق اعلان الحرب وبدء الأعمال القتالية المكشوفة فترة زمنية حرجة تقدر بحوالى الشهر عبأت خلاله جميع دول الحلف الألماني والحلف البريطاني كل الطاقات والموارد من أجل الحرب. ومن هذه التدابير المتخذة ما يلي: اختبار حالة أجهزة التعبئة، تكديس الاحتياطات من الوقود والذخيرة والمواد التموينية في القواعد البحرية العسكرية وفي المناطق المحددة لحشد القوات، تقوية حراسة الحدود والجسور وغير ذلك من الأهداف الهامة، الغاء الاجازات، دفع قوات التغطية والهجوم الى مناطق الحشد الخ. وفي ٢٨ تموز - يوليو ١٩١٤ أعلنت الحرب. وبدأت بذلك المرحلة الاولى التي استمرت عشرين يوماً والتي تمت فيها الاعمال القتالية بين قوات التغطية وقوات الهجوم، وفي تنفيذ اعمال الاستطلاع البعيد وحشد القوات الاستراتيجية الرئيسة للبلدان المتحاربة. فقد حشدت ألمانيا في المسرح الغربي ٧ جيوش ميدانية مؤلفة من ٨٦ فرقة مشاة و١٠ فرق خيالة. يقابلها في الجانب الفرنسي ٥ جيوش فرنسية وجيش بريطاني واحد وآخر بلجيكي ضمت جميعها ٨٥ فرقة مشاة و١٢ فرقة خيالة. وبدأت الاعمال القتالية النشطة نحو الغرب بتاريخ ٤ آب - أغسطس ١٩١٤ عندما اخترقت القوات الألمانية الحدود البلجيكية. واستطاعت خمسة جيوش ألمانية في الفترة بين ٢١ و٢٥ آب - أغسطس أن تدحر أربعة جيوش فرنسية وجيشاً انكليزياً واحداً في موقعة قرب الحدود، وأرغمتهم على الانسحاب.

كانت القيمة الحقيقية للمخطط الألماني مبنية على القيام بهجوم غير مباشر لا يعتمد على الحركة الجغرافية قدر اعتماده على فكرة توزيع القوى. ولقد تم تأمين المباغته الاساسية باضافة وحدات احتياطية الى التشكيلات الفعلية لانشاء الكتلة الهجومية الرئيسة. وكان لدى الألمان ٨٦ فرقة، حشدت منها ٥٣ فرقة في اتجاه الجهد الرئيسي للصدمة بينما وضع ١٠ فرق في مركز الحركة أمام فيردان و٩

فرق فقط على الجناح الأيسر أمام الجبهة الفرنسية . ولقد تم اضعاف الجناح الأيمن الألماني بهدف تشجيع الفرنسيين على دفع الجناح الأيسر الألماني بعنف في اللورين ، في اتجاه نهر الراين بحيث يتعذر عليهم التدخل لمنع تقدم الهجوم الألماني في بلجيكا عند وقوعه ، وتزداد صعوبة التدخل بازدياد التقدم ، حتى يصبح الوضع كباب يدور حول محور ، إذا دفع الفرنسيون جناحاً دار الجناح الآخر وضربهم في ظهرهم . وتزداد شدة الضربة كلما زادت قوة الدفع .

تري ماذا حدث للخطط التي تم الاعداد لها طويلاً من قبل القيادات في كافة الدول؟ لقد كانت ألمانيا والنمسا - هنغاريا تجدان نفسيهما عندما بدأت اللعبة القاتلة ، في الوسط بين روسيا شرقاً وفرنسا وبلجيكا ومن ورائهما بريطانيا غرباً ، وصرى جنوباً . وقد توقعت القيادة الألمانية مجابهة هذا الموقف ، وأعدت له عدته ، ولو أن أحد الفضوليين قام في ٤ آب - أغسطس ١٩١٤ بجولة حول مائدة لعبة الحرب ، وألقى نظرة سريعة على أيدي اللاعبين ، لراهن بعشرة ضد واحد بأن ألمانيا ستربح . وعلى الرغم من ذلك ، فانه لم تمض سوى خمسة اسابيع على وضع أوراق اللعب على المائدة ، حتى ظهر افلاس جميع اللاعبين من الناحية الاستراتيجية . وتبين بشكل فاضح أن خطط الحرب كانت تفتقر للكثير من الواقعية ، فكيف حدث ذلك؟ . . .

ظهرت الخطة الفرنسية على ضوء هب الحرب باعتبارها نموذجاً من دسائس المكاتب المغلقة والمكائد . ففي العام ١٩١١ ، كان الجنرال ميشيل الذي كلف بممارسة أعباء القائد العام في حالة الحرب ، يرى أن الألمان سيخترقون بلجيكا ، ولهذا فان الواجب يقضي بحشد اقوى القوات الفرنسية على الجناح الأيسر . غير أن لجنة (حدادي أو سباكي فرنسا) لم تكن من أنصار هذا الرأي ، لأن هذا الترتيب لن يحمي مناجم الحديد في اللورين بصورة كافية . ودعمت هيئة الاركان العامة اللجنة ، وأقنعت وزير الحرب بتعيين الجنرال جوفر بدلاً عن ميشيل بمناورات غريبة . وكانت نظرية (الكتلة + السرعة) التي تدعو اليها في ذلك الوقت هيئة الأركان العامة الألمانية تلائم مزاج جوفر العنيف ملائمة تامة . فقد كان هدفاً لمعلمه

السياسي (الرئيس فالير) (٢٧) الذي أكد في العام ١٩١٢ ما يلي: «نحن مصممون على السير نحو العدو بخط مستقيم، ومن غير نوايا مسبقة... فالهجوم وحده هو الذي يلائم مزاج جنودنا». وعلى هذا الأساس اتسمت الخطة ١٧ «باعتقادها كلياً على الفكرة الاسطورية للهجوم» واعتمدت على فرضيتين اساسيتين وهما: «أن الالمان لن يحشدوا في بداية الأمر تشكيلاتهم الاحتياطية بذات المستوى الذي يتم فيه زج تشكيلات الجيش العامل» على حين كان الجنرال ميشيل يتبنى عكس هذه الفرضية، وهي «أن القوات الالمانية لن تكون قوية بدرجة كافية حتى تستطيع التقدم في بلجيكا واللورين في آن واحد». ولما كان الجندي الفرنسي جندياً لا يقاوم في الهجوم، فان الشيء الوحيد الذي يترتب عمله هو نشر الجيوش الفرنسية بين ميزير - وايبينال، والاندفاع الى الأمام. وسحق مركز الخصم، أو سحق ما يفترض بانه مركز الخصم، وشل المواصلات الألمانية في اللورين فيما بعد...». ومن الممكن بعدئذ عرض الخطط الاخرى للمتنازعين بصورة موجزة. فقد كان يترتب على بريطانيا العظمى مساعدة فرنسا بارسال فيلق غزو مؤلف من أربع فرق مشاة وفرقة خيالة، غير أن بريطانيا لم تهبط حصاراً ضد ألمانيا يتجاوز الاستيلاء على البضائع المهربة والتي يسمح القانون البحري بتهريبها طبقاً لتصريح لندن. وأعدت النمسا ستة جيوش: ثلاثة منها ذات أعداد ضخمة، لتقطع بولونيا الروسية، بالتعاون مع القوات الألمانية، وثلاثة جيوش بأعداد صغيرة مخففة للعمل ضد صربيا. وجندت روسيا ثمانية جيوش بقيادة الدوق الكبير نيقولاي: اثنان على الجبهة الشمالية - الغربية يسيران الى بروسيا الشرقية. وأربعة على الجبهة الجنوبية - الغربية تتقدم ضد النمساويين. أما الجيشان الأخيران فكانا مخصصين بأفضلية اولى لحماية الاجناب والشواطىء، ومقرات قيادتهما العامة في (سانت - بيترسبورغ) و(اوديسا) أما الخطتان البلجيكية والصربية فكانتا تقتصران على الدفاع. وقد بدأت الحملات الخمس بآن واحد، وكان مصير خططها كالتالي:

(٢٧) فالير: (FALLIÈRES - ARMAND) رجل سياسي فرنسي (١٨٤١ - ١٩٣١) تولى رئاسة مجلس الشيوخ سنة ١٨٩٩ ورئيساً للجمهورية (١٩٠٦ - ١٩١٣).

انهارت الخطة الفرنسية في الصدام الأول، ومع ذلك حدث هذا الواقع الغريب الذي لا بد من عرضه. وهو أن خطة ثانية انبثقت من أنقاض هذه المعركة، فوضعت اللزمة النهائية لدمار الخطة الغربية الألمانية. على حين انتهت الخطة الألمانية الشرقية التي بدت عند بدء انطلاقها مخوفة بالمخاطر، بانتصار تعبوي - تكتيكي - ساحق (بفضل كفاءة لودندورف). وانتهت الخطة النمساوية ضد صربيا باخفاق ذريع محفوف بالفوضى. كما كانت خطة روسيا ضد النمسا غير حاسمة، ولو أنها بالنتيجة جعلت النمسا عاجزة تماماً طوال ما تبقى من سنوات الحرب. وبقيت مأساة خطة (شليفن - مولتكه) بنجاحاتها واخفاقاتها، العامل الذي مارس اكبر الاثر على ادارة الحرب فيما بعد. ففي ١٤ آب - أغسطس وبينما كان الجيش الألماني الأول بقيادة الجنرال (فون كلوك)^(٢٨) ما يزال يشق طريقه بالقوة عبر تحصينات ليبج، كانت معركة الاختراق الهائلة للجنرال جوفر (والتي يسميها الفرنسيون معركة الحدود) قد بدأت، ثم تطورت حتى ٢٥ آب - أغسطس. وهزم الفرنسيون في كل مكان، وتعرضوا لخسائر فادحة وصلت إلى (٣٠٠) ألف ما بين قتيل وجريح ومفقود. وألقت هذه الهزيمة بيسار القوات الفرنسية ووسطها - مركزها - الى غرب فردان^(٢٩).

عندما انطلق الهجوم الفرنسي في آب - أغسطس فكر مولتكه في الرد على التحدي بشكل مباشر، والبحث عن النصر في اللورين، مؤخراً بذلك حركة التفاف جناحه الأيمن. ولم تعط هذه المحاولة نتيجة على الرغم من زج ست فرق مشكلة حديثاً ومعدة لدعم الجناح الأيمن وتقويته. وأدت

(٢٨) فون كلوك: (VON KLUCK - ALEXANDRE) قائد ألماني - جنرال (١٨٤٦ - ١٩٣٤) تولى قيادة الجيش الألماني الأول في معركة المارن الأولى. ثم اعتزل القيادة سنة ١٩١٥.

(٢٩) فردان: (VERDUN) أو (VERDUN - SUR - MEUSE) مدينة تقع على نهر الموز، اشتهرت سنة ٨٤٣م بالمعاهدة التي وقعها فيها الابناء الثلاثة للملك لويس الثقي والتي تم بموجبها اقتسام المملكة الكارولنجية فيما بينهم. وفي سنة ١٥٥٢م ضم الملك هنري الثاني (فردان) الى اقليم اللورين. ودافع الفرنسيون عن فردان بشجاعة في الحرب البروسية - الفرنسية سنة ١٨٧٠. ونجح الفرنسيون طوال عشرة شهور من سنة ١٩١٦ بدفع الهجمات الألمانية واحباطها (بقيادة الجنرال بيتان) وقد أثارت معارك فردان الهجومية منها والدفاعية اهتمام العالم واعجابه.

هذه القوى الجديدة إلى دفع القادة الألمان في اللورين إلى الشعور بالغرور وتجاهل مهمتهم الأساسية. وبدلاً من أن ينسحب الجناح الأيسر ليجتذب الفرنسيين إلى مدى أبعد، فانه توقف واستعد للاشتباك في المعركة. ولما رأى تأخر الهجوم الفرنسي اتفق مع القوات المجاورة له على المبادأة بالهجوم. وكان الجيشان الألمانيان يضمنان ٢٥ فرقة مقابل ١٩ فرقة فرنسية. وأضعف من قيمة هذا التفوق العددي وضع الألمان الاستراتيجي السيء، فلم يؤد رد الفعل إلى نصر حاسم. واقتصر على دفع الفرنسيين إلى مواقعهم المحصنة، مما زاد مقاومتهم، وجعلهم قادرين على إرسال وحدات إلى الغرب للاشتراك في معركة المارن. وهكذا أفسد نشاط الألمان في اللورين مخطط شليفن باكثر مما أفسده الاقلال المستمر لدور الجناح الأيمن وتعداده. ولقد جاء الانهيار على هذا الجناح بسبب اضعافه بمختلف السبل: مثل نقل ست فرق الى اللورين، وسحب سبع فرق أخرى لاحتلال بعض المدن، ثم سحب أربع فرق لدعم الجبهة في بروسيا الشرقية. وعندما تقدم جيش - فون كلوك - في أقصى اليمين قبل الوقت المحدد بناء على طلب جاره، وبعد موافقة مولتكه، وجدت حامية باريس في هذه الحركة فرصة ملائمة لضربه من مجنبته. ولم يستطع الألمان على هذا الجناح تخصيص أكثر من ١٣ فرقة مقابل ٢٦ فرقة انكلوفرنسية، وهذا يدل بوضوح على مدى اضعاف هذا الجناح الذي كان شليفن قد اعتمد عليه لحسم المعركة. وهكذا زال التفوق الألماني بعد تخفيض الوحدات في جناحهم الأيمن وازداد التفوق الفرنسي، بسبب سوء تصرف الجناح الألماني الأيسر. ولو أن الجناح الفرنسي استطاع التوغل بعمق في اللورين، لتعذر نقل الفرق الفرنسية من اليمين الى اليسار. ولكن هل كان الجناح الألماني الأيمن قادراً على المحافظة على اندفاعه لو لم تسحب منه كل هذه الفرق؟ والجواب مشكوك فيه، لأن تدمير البلجيكيين لجسور نهر الموز عرقل مواصلات الألمان، ولم تستطع قطاراتهم العبور إلى ما وراء لياج إلا بعد ٢٤ آب - أغسطس وكان مسيرها يتخذ شكل استدارة واسعة، الأمر الذي منع الألمان من تقوية جناحهم الأيمن كما كان متوقعاً. كما كان تموين جيوشهم الثلاثة على هذا الجناح يتطلب المرور عبر هذا الشريان المقطوع

تقريباً، خصوصاً وأن تدمير الفرنسيين والبريطانيين المنسحبين لطرق
المواصلات عرقل عملية التموين بشكل كبير.

عندما وصل الالمان الى (المارن)^(٣٠) كان شكلهم اشبه ما يكون
بشكل وحدات منهزمة، نظراً لقيامهم بزحف صعب وبطونهم خاوية.
ولو لم يقيم مولتكه بعملية سحب بعض القوات من جناحه الأيمن، وهي
العملية التي طالما تعرضت للنقد والتجريح، لضم هذا الجناح وحدات
أكبر، ولأصبحت حالة الوحدات بعد هذا الزحف أسوأ، نظراً لحاجتها
المتزايدة من الامداد والتموين. وتقود معركة المارن التي غيرت مجرى
الحرب الى خط تحديد غير واضح بين الاستراتيجية والتكتيك، الى دراسة
جادة نظراً لأنها تلقي الضوء على مشكلة الهجوم.

كان الجناح الأيمن للقوات الفرنسية قد صد في اللورين كما صدت
قواتها المركزية - في الوسط - عندما اصطدمت في الاردين بالقوات الالمانية
في معركة تصادمية. كما انسحب الجناح الأيسر الفرنسي الذي انتشر
مؤخراً، وتملص من تطويق خطير كان يتهدهه بين نهري السامير والموز.
وعندها استنبط الجنرال جوفر من المخطط ١٧ المحطم مخططاً جديداً،
وقرر سحب جناحه الأيسر وقلبه - وسطه - مرة أخرى الى الخلف معتمداً
على فردان كنقطة تفصل - دوران - على أن يسحب من ميمنته الصامدة
بشدة وحدات تشكل الجيش السادس الذي وضعه على مجنبته اليسرى.
وكان هذا الجيش السادس قد نظم حديثاً على مقربة من أميان واسندت
قيادته الى (الجنرال مونوري)^(٣١).

(٣٠) المارن : (MARNE) نهر في فرنسا ينبع في سهل لانجر (Langres) ويخترق شومونت وفيتري وشالون
وايبيري وشاتوتيري ومو، ثم يصب رافداً لنهر السين وطوله ٥٢٥ كيلومتراً. وتصل القناة الجانبية
الموازية للمارن ما بين نهر ديزي ومدينة فيتري لوفرانسوا، وتمتد هذه القناة لتصل الراين من جهة ونهر
السون من جهة ثانية. وقد انتصر على ضفاف المارن الجيش الفرنسي الذي كان يقوده جوفر على
الجيش الالمانى الذي كان يقوده فون مولتكه في ايلول - سبتمبر ١٩١٤. كما حقق الجيش الفرنسي
بقيادة فوش انتصاراً كبيراً ضد الالمان في تموز - يوليو ١٩١٨.

(٣١) الجنرال مونوري : (MAUNOURY - MICHEL - JOSEPH) قائد فرنسي (١٨٤٧ - ١٩٢٣م)
تولى قيادة الجيش السادس، وانتصر به على الالمان في معركة اورك (OURCQ) في ايلول ١٩١٤.

جاءت التقارير الاولى لقادة الجيوش الألمانية عن معارك الحدود وهي تحمل بعض المبالغة. واعتقدت القيادة الألمانية العليا أنها على أبواب انتصار حاسم. غير أن قلة عدد الأسرى أثار شكوك مولتكه ودفعه الى دراسة الموقف بشكل أوضح. وأدى تشاؤم المتشائمين وتفاؤل المتفائلين في الجيش الألماني إلى احداث تغيير جديد في خطة القيادة، وكان هذا التغيير يحمل في جوفه بذور الهزيمة. ذلك أنه عندما هزم الجناح الأيسر البريطاني في ٢٦ آب - أغسطس وانسحب من (كانو) نحو الجنوب، انحرف الجيش الألماني بقيادة (فون كلوك)^(٣٢) من جديد نحو الجنوب الغربي. ولقد جاء اختيار هذا الاتجاه نتيجة خطأ في تقدير خطر انسحاب البريطانيين. ولكنه توافق صدفة مع الخط المعطى أصلاً للجنرال فون كلوك الذي كان عليه أن يقوم باستدارة واسعة. وقادته هذه الحركة إلى منطقة أميان وبيرون فوصلها مع وصول العناصر المتقدمة من الجيش الفرنسي السادس، وقابلها عند نزولها من القطارات القادمة من اللورين. فاضطرت للانسحاب بسرعة، وفشلت خطة جوفر للقيام بهجوم ضد الألمان. ولكن ما إن انحرف - فون كلوك - نحو الجنوب الغربي حتى اضطر إلى تعديل خط سيره من جديد، لأن جوفر أصدر أمره إلى جيش (لانروزاك)^(٣٣) الفرنسي بمهاجمة الجيش الألماني الثاني الذي كان يقوده (بولوف) لتخفيف الضغط الذي كان يتعرض له البريطانيون، مما اضطر بولوف إلى طلب الدعم أيضاً من فون كلوك. وتمكن الجيش الألماني الثاني من ايقاف هجوم (لانروزاك) في ٢٩ آب - أغسطس قبل تدخل نجدات كلوك. ومع ذلك، أصر بولوف على طلب المساعدة من جاره لقطع طريق الانسحاب على الجيش الفرنسي.

(٣٢) فون كلوك: (VON - KLUCK - ALEXANDER) قائد الماني (١٨٤٦ - ١٩٣٤م) تولى قيادة

الجيش الألماني الأول في معركة المارن الأولى وهو من مواليد مونستر (MUNSTER).

(٣٣) لانروزاك: (LANREZAC - CHARLES) قائد فرنسي من مواليد لابوانت - آبيتر (غوادلوب)

(GUADELOUPE) (١٨٥٢ - ١٩٢٥) تولى قيادة الجيش الفرنسي الخامس في بداية الحرب العالمية

الأولى، وانتصر به في معركة غيز (GUIXE) في اقليم الايسن في شهر آب - أغسطس ١٩١٤.

ويذكر أن (غيز) شهدت انتصاراً فرنسياً كاملاً بعد ذلك بقيادة (ديبني: DEBENEY) في شهر

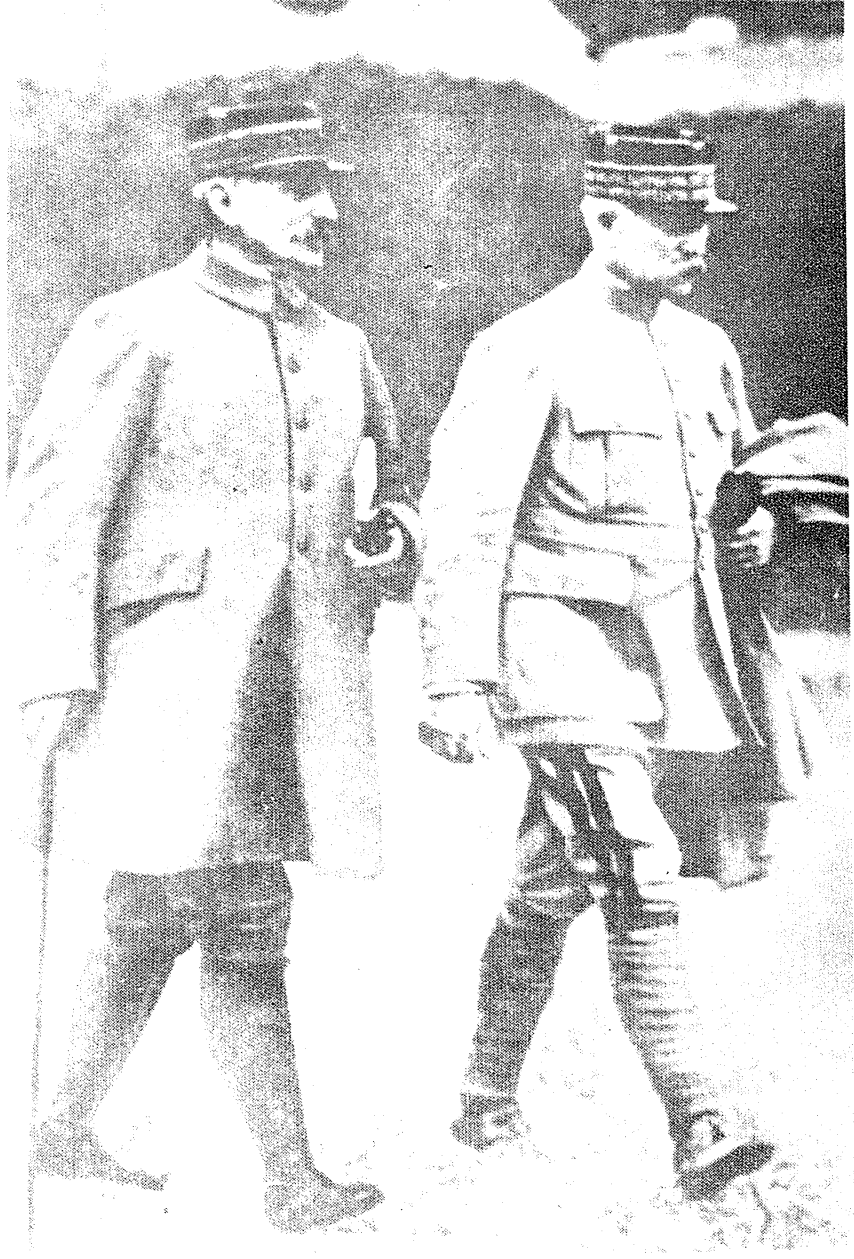
تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨.

ولكن كلوك طلب موافقة مولتكه على ذلك، وجاء الطلب في الوقت الذي كان مولتكه يشعر فيه بقلق غامض من طريقة الفرنسيين في التخلص من قبضته. كما كان مشغول الفكر بسبب الثغرة التي فتحت بين الجيشين الأول والثاني. فوافق على تبديل الاتجاه الذي اقترحه كلوك مما أدى إلى إهمال حركة الالتفاف الواسعة المقررة حول باريس. ومرت مجنبه الجناح الألماني المتقدم قرب العاصمة ودفاعاتها. وهكذا تقلصت الجبهة، وغدا العمل مباشراً، وضحي مولتكه لتأمين الحيطه بأوسع الآمال والامكانات التي تضمنتها خطة شليفن الالتفافية الواسعة. ولكن هذا العمل لم يؤمن الحيطه أو يقلل من الخطر، بل كان سبباً لقيام الفرنسيين بهجوم مضاد ساحق.

كان الجنرال جوفر قد أصدر أمره الى الجنرال مونوري بالانسحاب إلى باريس في اليوم الأول من ايلول - سبتمبر ١٩١٤. وفي يوم ١٤ ايلول - سبتمبر اتخذ مولتكه قراره بالتخلي عن المخطط الاساسي نهائياً، واستبداله بحركة التفاف محدودة ضيقة نحو الجناح الايمن للفرنسيين والوسط - القلب - مع اندفاع القلب الألماني المؤلف من الجيشين الرابع والخامس نحو الجنوب - الشرقي، وقيام جناحه الايسر المؤلف من الجيشين السادس والسابع بمتابعة الهجوم على الاتجاه الجنوبي - الغربي، ومع محاولة اختراق الخط المحصن بين (تول) و(إيبينال) بحيث يتم إغلاق فكي الكماشة من طرفي فردان. وفي هذا الوقت كان على الجناح الأيمن المؤلف من الجيشين الاول والثاني الوقوف في اتجاه الغرب، ومنع كل مناورة هجومية مضادة يقوم بها الفرنسيون من مواضعهم الأمامية قرب باريس. في هذا اليوم ذاته، الرابع من ايلول - سبتمبر - عاد الجنرال جوفر فأصدر أمره إلى الجنرال مونوري باجتياز نهر الاورسك، والهجوم على الجناح الأيمن المكشوف لجيش فون كلوك الذي كان يمسكه الفيالق الرابع بقيادة الجنرال فون غرونو. وفي اليوم التالي بدأت معركة الاورسك وهي مقدمة معركة المارن. وفي الواقع، فان الأمر الأخير الذي اصدره الجنرال جوفر إلى مونوري بالهجوم على الجناح الأيمن لجيش فون كلوك، قد جاء متناقضاً مع الأمر الذي كان جوفر قد اصدره الى مونوري قبل ثلاثة ايام بالانسحاب

إلى باريس، والسبب في ذلك هو تدخل الجنرال حاكم باريس (غالييني)^(٣٤) الذي تابع في يوم ٣ ايلول - سبتمبر تحرك فون كلوك نحو مركز الجبهة، فأدرك ما يقصده الألمان من تحركهم. وأعطى الأمر لجيش مونوري بالاستعداد لضرب مجنبة الألمان المكشوفة. واستمرت المناقشات طوال النهار التالي في القيادة العامة للجنرال جوفر. وكان قائد مكتبه العسكري (الرائد غاملان) يعمل بحماسة للقيام بهجوم مضاد مباشر، وعارضه بعض القادة، ولم تؤد المناقشة إلى نتيجة. ولم يتخذ جوفر قراره إلا عندما عاد (غالييني) فتدخل مباشرة، واتصل هاتفياً في المساء بالجنرال جوفر، وعندها تحرك جوفر بحماسة، وأمر الجناح الفرنسي الأيسر بايقاف الانسحاب، والقيام بالهجوم العام في يوم ٦ ايلول - سبتمبر. وتحرك مونوري في يوم ٥ ايلول - سبتمبر وتزايد ضغطه على القوات الألمانية، وبقيت نتيجة المعركة غير واضحة حتى يوم ٧ ايلول - سبتمبر مما أرغم فون كلوك على سحب فيلقه الثالث والتاسع من يساره ليساعد (فون غرونو) دون أن يستشير فون بولوف - قائد الجيش الثاني - الذي كان يعمل على جناحه الايسر مباشرة. وقد احدث هذا النقل ثغرة بين الجيشين الأول والثاني، عرضها ٣٢ كيلومتراً. ولم يعد أمام هذه الثغرة سوى ستارة من الفرسان - الخيالة - لحمايتها. وتشجع فون كلوك بنتيجة انسحاب البريطانيين الذي كانوا في مواجهة هذه الثغرة. وأدى هذا الانسحاب - مصادفة - الى خلق سبب غير مباشر، وغير متوقع، إلى النصر. إذ أن القوات البريطانية ما لبثت أن عادت لتتسلل عبر الثغرة، بقيادة جون فرينش. وأمكن لها ارغام بولوف على الانسحاب بجيشه الثاني في يوم ٩ ايلول - سبتمبر واضطر فون كلوك إلى الانسحاب في اليوم ذاته. وانعزل الجيش الأول وضاعت مكاسبه التي حققها ضد جيش مونوري الذي جابه

(٣٤) الجنرال غالييني : (GALLIENI, JOSEPH - SIMON) قائد فرنسي واداري من مواليد سانت بيات SAINT - BÉAT (١٨٤٩ - ١٩١٦) برز اسمه في السودان والسنغال وطونكين. ونظم مدغشقر خلال عمله حاكماً عاماً. وأصبح حاكماً عسكرياً عاماً لمدينة باريس في سنة ١٩١٤. ومارس دوراً كبيراً فيما تم احرازه من نصر خلال معركة المارن. وأصبح وزيراً للدفاع في سنة ١٩١٥ - ١٩١٦. ومنح رتبة مارشال (شرف) بعد وفاته (سنة ١٩٢١).

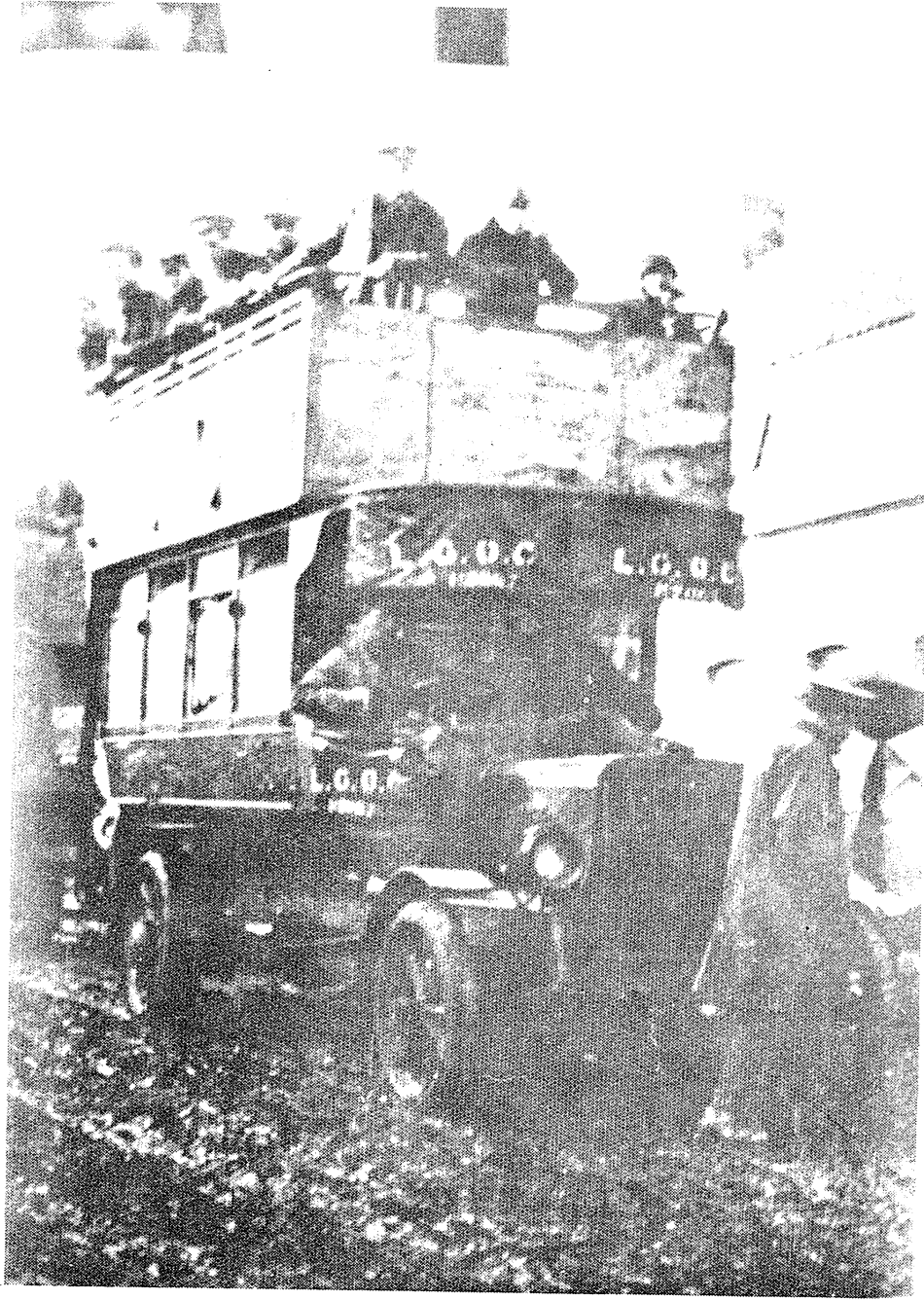


المارشال فوش خطوات ثابتة وتصميم عنيـد

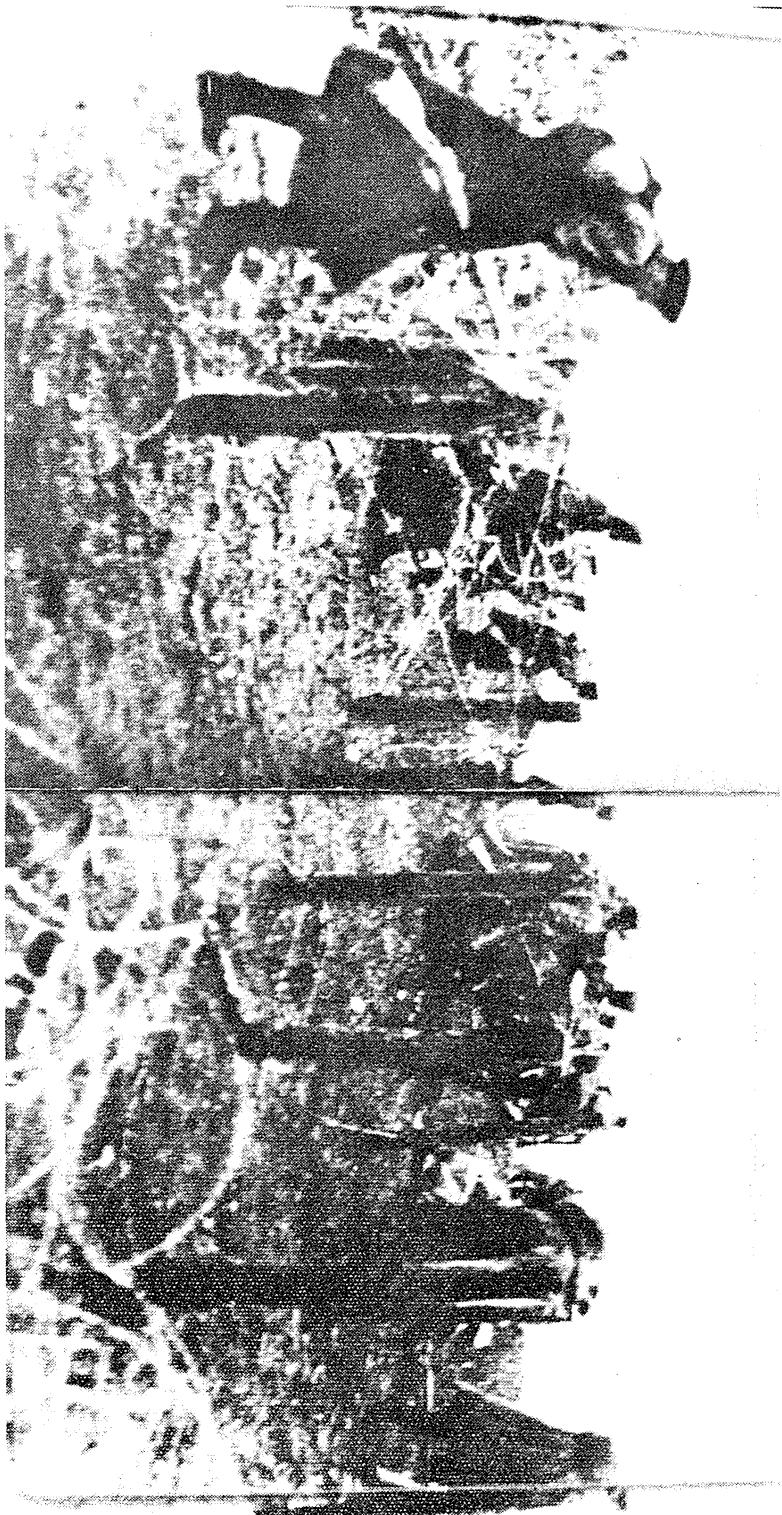
مأزقاً صعباً، وذلك بالرغم من جهود (الجنرال غالييني) لدعمه، إذ دفع لمساعدته بالوحدات الاحتياطية الاخيرة التي كان يملكها في باريس (في الاوتوبيسات وسيارات الاجرة - التاكسي) لانقاذ الموقف. وتم انسحاب جميع الجيوش الالمانية الى (سواسون) في يوم ١١ ايلول - سبتمبر وفشلت محاولة تطويق فردان، كما تحطمت كمامشة الجيش السادس والسابع على دفاع الجبهة الفرنسية الصلب.

قد يكون من الصعب تصور الشكل الذي كانت القيادة الالمانية قادرة به على انتزاع النصر بهجوم جبهي غير محضر، مع العلم أن نجاحها في حالة تطبيق مخطط العمليات الرئيسي المحضر كانت قليلة أصلاً. لقد كان أمام الألمان حل واحد قبل الحرب للحصول على نتائج أفضل وهو اجتياح بلجيكا. ويمكن القول بإيجاز بأن نتيجة معركة المارن جاءت بعد حدوث صدمة وثغرة. أما الصدمة فكانت نتيجة هجوم مونوري على مجنبه الجبهة الالمانية اليمنى، الأمر الذي أدى إلى احداث ثغرة في نقطة اتصال ضعيفة. ثم نجم عن هذه الثغرة المادية ثغرة معنوية في القيادة الالمانية.

كانت حركة فون كلوك غير المباشرة والمتمثلة في التفافه خارج الجبهة بعد كانو، حركة مفيدة جداً للألمان. غير أن حركته التالية نحو داخل الجبهة في اتجاه العدو مباشرة كانت حركة ضارة، ولقد قلبت الحركة الاولى مخطط جوفر الذي كان قد اتخذ قراراً بالعودة بسرعة إلى الهجوم، وعملت على تعجيل الانسحاب الانكلو - فرنسي. وجدير بالذكر هنا - مرة ثانية - أن هجوم مولتكه الاستراتيجي غداً هجوماً مباشراً بشكل متزايد، كما أن هجوم الجناح الأيسر الألماني جبهياً كان فشلاً غالي الثمن دون أي كسب استراتيجي. وقد يكون من الخطأ اعتبار انسحاب جوفر بمثابة حركة غير مباشرة. لأن فرصة المارن ظهرت صدفة من غير سابق دراسة أو توقع. ونجح (غالييني) في توجيه صدمته في الوقت المناسب وقبل أن يتمكن الجيشان الالمانيان الاول والثاني من احتلال مواضعهما الجديدة على المجنبه، ولكنها كانت صدمة مباشرة فلم تعط نتائج حاسمة. ولو هاجم (غالييني) جنوب المارن وفقاً لتعليمات جوفر لكان هجومه اكثر مباشرة



استخدمت كل الوسائل لتأمين القدرة الحركية للقوات - بما في ذلك العربات الصغيرة - التاكسي
- وعربات النقل الكبيرة .



الموقف على الجبهة الشرقية (١٩١٤ - ١٩١٧) (حرب خنادق واستراتيجية احياء واستنزاف)



جهد كبير لتحريك المدفع فوق ميدان المعركة

وأقل نجاحاً. ولقد جاء النصر الحقيقي من الحركة التي أرغمت الألمان على الانسحاب، وهي حركة غير مباشرة، ولكنها لا ارادية بشكل يجعلها فصلاً من مهازل التاريخ. والمقصود من هذه الحركة انسحاب القوات البريطانية واختفاؤها ثم ظهورها في الوقت المناسب - صدفة - أمام نقطة الاتصال الضعيفة في الجناح الألماني الأيمن. ولقد انتقد الفرنسيون ببطء حركة القوات البريطانية في العودة، ولو عادت هذه القوات بسرعة أكبر كما كان يرغب الفرنسيون لما وجدت نقطة اتصال ضعيفة لهذه الدرجة، ولما نجح مونوري بهجومه لتحقيق النصر. وكان من حسن حظ هذه القوات أنها تأخرت فوصلت أمام الثغرة بعد سحب فيلقين ألمانين منها. وكان وصولها متوافقاً مع حركتهما فلم يستطيعا التدخل بشكل فعال.

قد يكون لزاماً عند تحليل أسباب الانسحاب الألماني الأخذ بعامل طالما تم اهماله، وهو تأثير القيادة الألمانية باستمرار من التقارير المؤكدة لاحتمال القيام بعمليات انزال بريطانية على الشاطئ البلجيكي، تشكل خطراً على مؤخرات ومواصلات جيوشها، لدرجة أنها أعدت عملية تراجعية قبل بدء معركة المارن. وفي ٩ ايلول - سبتمبر تلقى الجيش الأول من القيادة العليا أوامر وتعليمات تقول بأن: (المعلومات سيئة، والجيشين السادس والسابع متوقفان أمام نانسي^(٣٥) وايبينال، كما يصطدم الجيشان الرابع والخامس بمقاومة شديدة. وهناك قوات فرنسية يتم نقلها بالخطوط الحديدية من جناح الفرنسيين الأيمن إلى باريس. على حين يقوم الانكليز بانزال قوات جديدة على الشاطئ البلجيكي، وينتظر وصول قوات روسية الى المنطقة ذاتها. وخلاصة الموقف: ان الانسحاب غداً أمراً محتوماً).

لقد تأثرت القيادة الألمانية بفكرة الانزال البريطاني إلى درجة تصورت معها انزال قوة تضم ٤٠ ألف رجل، بينما كانت القوات الحقيقية

(٣٥) نانسي: (NANCY) العاصمة القديمة لاقليم اللورين. وهي المدينة الرئيسية لاقليم المورث والموزل. وتقع على نهر المورث (MEURTHE) والقناة التي تصل المارن بنهر الراين. وهي على بعد ٣٠٧ كيلومترات شرق باريس. وتشتهر نانسي بجامعاتها ومعاهدها وصناعاتها النسيجية والجلدية والكهربائية.

القادمة ثلاث كتائب بحرية نزلت في (اوستند)^(٣٦) وبقيت فيها ٤٨ ساعة فقط. وقد ذكر أن فكرة قدوم الروس لم تكن الا من نتاج تخيلات مهووس انكليزي يعمل في الخطوط الحديدية، ويستحق أن يقام له نصب تذكاري. وقد أكد المؤرخون فيما بعد أن زيارة الكتائب الثلاثة لاوستند، وشائعة الغزو الروسي كانتا من الاسباب الأساسية للنصر في المارن. ويظهر عند مقارنة التأثير المعنوي الذي سببته هذه القوات الوهمية، مع بقاء القوات الالمانية في بلجيكا خوفاً من انطلاق البلجيكيين من حصن (انفرس)^(٣٧) (وهو الأمر الذي حدث في ٩ ايلول - سبتمبر) يظهر أهمية الاستراتيجية التي طالب جون فرينش بتطبيقها من غير جدوى. ولو طبقت هذه الاستراتيجية لكان للحملة البريطانية تأثير ايجابي حاسم على الصراع، بدل اقتصارها على التأثير السلبي.

تولى (فون مولتكه)^(٣٨) ادارة الحرب حتى إذا ما فشل في احراز النصر الحاسم حل محله في رئاسة هيئة الاركان الالمانية (فالكنهاين)^(٣٩) وبقي هذا كما كان سلفه واقعاً تحت كابوس التهديد الدائم القادم من الشاطئ البلجيكي ضد مؤخرات الجيش الألماني: فقام بمحاصرة انفرس، ومن هنا ظهرت أول عملية فيها بعض الهجوم غير المباشر. ولكن التنفيذ لم يتلاءم مع الفكرة، فانقلب الى هجوم مباشر، غير أنه بقي كافياً لدفع الحلفاء إلى حافة الهزيمة. وتوقفت ملاحقة الحلفاء الجبهية نهائياً عند

(٣٦) اوستند (OSTENDE) وباللغة الفلامنكية: (OOSTENDE) مدينة بلجيكية في اقليم الفلاندر الغربي، تقع على بحر الشمال.

(٣٧) انفرس: (ANVERS) وباللغة الفلامنكية انتويرب (ANTWERPEN) مدينة بلجيكية تقع على مصب نهر الاسكوت ولها ميناء نشط جداً يعتبر واحداً من اضخم موانئ العالم. وقد عرفت المدينة عبر التاريخ كثيراً من المعارك الحاسمة بحكم موقعها، لم يكن اقلها حصار الالمان لها سنة ١٩١٤ وقصف الالمان لها سنة ١٩٤٥ بقنابل ف ٢. (V.2).

(٣٨) فون مولتكه: (MOLTKE, HELMUTH - JOHANNES - LUDWIG) قائد الماني وقد لقب بالصغير تمييزاً له عن عمه فون مولتكه الكبير (١٨٤٨ - ١٩١٦) وقد تولى منصب رئيس هيئة الاركان الالمانية، منذ سنة ١٩٠٤ وحتى بداية الحرب العالمية الاولى. وهزم في معركة المارن.

(٣٩) فالنكهين: (VON FALKENHAYN, REICH) قائد ألماني (١٨٦١ - ١٩٢٢م) عمل خلال الحرب العالمية الاولى رئيساً لهيئة الاركان العامة، ثم قائداً أعلى في رومانيا وفلسطين.

نهر إين. وفي ١٧ ايلول - سبتمبر لاحظ جوفر فشل محاولة مونوري في الالتفاف حول المجنبة الألمانية. فقرر تشكيل جيش جديد بقيادة (كاستلنو)^(٤٠) بغية محاولة القيام بالتحفاف في الشرق. ولكن الجيوش الألمانية تماسكت في ذلك الوقت. ووجدت القيادة الألمانية العليا أنها قادرة على مجابهة مناورة صغيرة كهذه تتم ضمن خط الانتظار المتوقع.

قام الطرفان المتصارعان في الشهر التالي بمحاولات عديدة للالتفاف كل حول الجناح الغربي لخصمه غير أن هذه المحاولات التي أطلق عليها اسم (السباق نحو البحر) باءت جميعها بالفشل. وتعب (فالكنهاين) في هذه المرحلة من قبل أن يتعب جوفر. وفي ١٤ تشرين الاول - اكتوبر جهز (فالكنهاين) فخاً استراتيجياً ضد محاولات الحلفاء المتوقعة. وأعطى الأوامر للمجنبة المشكلة مؤخراً بتجنب الصدام مع العدو. على أن يقوم جيش مؤلف من الوحدات التي انتهت مهمتها بعد سقوط أنفرس، مع ٤ فيالق حديثة بالهجوم بسرعة على امتداد الشاطئ البلجيكي، واختراق مجنبة قوات الحلفاء المهاجمة، والالتفاف حولها وضربها من الخلف. كما أوقف مؤقتاً حركة الوحدات المكلفة بمتابعة الجيش البلجيكي المنسحب من أنفرس حتى لا يعطي قيادة الحلفاء تحذيراً مسبقاً. وكان الماريشال فوش يريد اشتراك البلجيكين بحركة الالتفاف، وطلب ذلك من (الملك البيرت)^(٤١) غير أن الملك اتخذ جانب الحذر، إذ لم يكن يرغب في الابتعاد عن منطقة الشاطئ. لذا كان الجيش البلجيكي جاهزاً لصده الهجوم الألماني القادم من الشمال أو تعطيله على الأقل باغراق الأراضي المنخفضة.

(٤٠) كاستلنو: (CASTELNAU, ÉDOUARDE) قائد فرنسي وسياسي، من مواليد سانت افريك - أفريقيا المقدسة (SAINT - AFERIQUE) (١٨٥١ - ١٩٤٤) عمل مساعداً للجنرال جوفر (١٩١٥ - ١٩١٦) ثم قائداً لمجموعة جيوش (١٩١٧ - ١٩١٨) ثم نائباً عن افرون (١٩١٩ - ١٩٢٤).

(٤١) الملك البيرت: (ALBERT - 1) ملك بلجيكا، من مواليد بلجيكا ١٨٧٥. وقد قتل في حادث جبلي عند مضيق عمر السيدات (مارش ديدام) سنة ١٩٣٤. وقد تولى الملك خلفاً لعمه الملك ليوبولد الثاني سنة ١٩٠٩. وقد رفض السماح للامان باختراق حدود بلاده سنة ١٩١٤ وخاض الصراع بشجاعة مع الجيوش البلجيكية طوال الحرب العالمية الاولى.

وجد فالكنهاين ذاته مضطراً للقيام بهجوم مباشر على مجنبة الحلفاء .
وتقدم قلب القوات البريطانية وجناحها الأيمن فوصلا قبل الأوان مما أدى
إلى توقفهما . ولكن (جون فرينش) أعطى الأوامر لجناحه الأيسر بقيادة هيغ
للقيام بحركة التفاف - كان جوفر قد فكر بها - وخدم الحظ في هذه المرة
قوات الحلفاء، إذ اتفق موعد هجومهم مع الهجوم الألماني الذي انطلق قبل
أوانه . وفشل هجوم الحلفاء، فانتقلوا إلى الدفاع . ولما فقد فالكنهاين كل
أمل في طرد الحلفاء من الشاطئ البلجيكي حاول انتزاع النصر بهجوم
مباشر . وانتصر دفاع الحلفاء رغم ضعفه، كما هي الحالة في كل هجوم
مباشر . وهكذا امتد سد الخنادق من الحدود السويسرية حتى البحر .
وتوقفت بذلك مختلف العمليات والمناورات . وظهرت الجبهات الثابتة مع
ما يرافقها من جمود وانعدام في الحركة .

لقد أبرزت معارك سنة ١٩١٤ البدايات الأولى للأعمال القتالية
الكبيرة (مثل عملية المارن) . ولم تكن القيادات وهيئات الأركان العامة
تمتلك الخبرة الكافية لتنظيم إدارة الحرب وخوض العمليات ذات المستوى
الكبير، الأمر الذي سبب فقدان التعاون بين الجيوش داخل الجبهة
الواحدة . وأكدت تجربة الحرب أنه يجب تركيز القوى والوسائل على
الاتجاهات الحاسمة لتحقيق الهجوم الناجح إلى عمق كبير . وكذلك تنظيم
عدد من الانساق المتتالية على مستوى العمليات لتأمين دعم الانساق
الأولية، وتوفير القدرة لتطوير المعركة، والمحافظة على التفوق، الذي كان
متوافراً في بدء العملية . وأدى غياب الانساق الثانية الاستراتيجية عند
جميع الأطراف المتحاربة إلى تلاشي الأعمال الهجومية واضمحلالها . وقد
تكبدت كل الجيوش خسائر فادحة في الأشهر الأولى للحرب . الأمر الذي
أكد عدم التوافق بين الأساليب التعبوية - التكتيكية - لهذه الجيوش وبين
الظروف الجديدة، وبشكل خاص وسائل الصراع الحديثة . فقد ظلت
المشاة هي الصنف الأساسي للقوات، ووقع على عاتقها حل جميع المهام
الأساسية في القتال . ولم يتم تقدير الدور المتعاظم لقوة نيران أسلحة المشاة
والمدفعية . وكانت تراتيب قتال الوحدات والتشكيلات مقسمة إلى قطاعات
قتالية واحتياطية . أما الوحدات، فكانت تأخذ بترتيب سلسلة المشاة

المتراصة جداً والتي يبعد فيها كل محارب عن الآخر من خطوة الى خطوتين. وكان الهجوم يتم بشكل خطي وجبهي دون استخدام المناورة. وكان حقل المعركة مزدحماً بالمشاة، أما الكثافة بالمدفعية فكانت قليلة وتراوح بين ٢٠ و ٢٥ مدفعاً في الكيلومتر الواحد. وكان التعاون ضعيفاً بين المشاة والمدفعية. ولم تستطع وحدات المشاة استخدام الرشاشات خلال الهجوم بل استخدمتها من أجل تعزيز المكان المحتل، وكانت المشاة ممنوعة من القيام بأعمال الحفر خلال الهجوم. وكانت نيران المدفعية والرشاشات والبنادق فعالة جداً ضد المشاة المهاجمة المكشوفة والتي كانت تتكبد خسائر فادحة جداً خلال الهجوم. وقد تطور الدفاع الميداني الثابت تطوراً كبيراً في حروب سنة ١٩١٤، واتصف بالطابع الخطي والبؤري في بداية الأمر. إذ تكون الدفاع من خط واحد من الحفر الفردية او الجماعية للرماة. واتصلت هذه الحفر فيما بعد لتشكيل خندقاً متصلاً. تمت حمايته بسياج الاسلاك الشائكة، ثم بني خندق ثانٍ وحياناً ثالث خلف الخندق الاول، وعلى مسافة من ١٠٠ - ١٥٠ م. وحفرت خطوط المواصلات من الخندق الاول الى الخلف. كما بنيت الملاجيء والمسائر للاحتياطات الموجودة في العمق.

٣ - تطور الحرب (سنة ١٩١٥).

عندما بلغ الالمان والحلفاء في خريف سنة ١٩١٤، المانش في (نيوبورت)^(٤٢) كان للجبهة الغربية شكل نتوء ضخم يتحدب نحو الغرب بين البحر وجبال الفوج، وقمته على مقربة من (كومبيين)^(٤٣) وكانت خطة

(٤٢) نيوبورت: (NEWPORT) مدينة انكليزية ولها ميناء كبير في ناحية (مونماوث).

(٤٣) كومبيين: (COMPIÉGNE) المدينة الرئيسية في ناحية الواز (OISE) وهي تقع على نهر الواز، تحيط بها الغابات وتشتهر بصناعاتها قدر شهرتها بالقصر الذي شيده الملك لويس الخامس عشر وأكماله نابليون بونابرت. وشهدت كومبيين احداثاً تاريخية هامة. ليس أقلها سجن البورغونيين لبطله فرنسا جان دارك سنة ١٤٣٠ م. وزواج نابليون ماري لويز، وكذلك زواج ملك بلجيكا ليوبولد من ابنة لويس فيليب. وعقدت فيها معاهدات اهمها معاهدة سنة ١٧٦٨ والتي باعت فيها جنوه جزيرة كورسيكا لفرنسا. وقد اقام الالمان فيها معسكراً للاعتقال في الحرب العالمية الثانية.

جوفر في العام ١٩١٥ هي قطع هذا التتوء (البروز) بهجوم مزدوج: فقد كان يترتب على البريطانيين أن يهاجموا باتجاه الشرق في (آرتوا)^(٤٤). ويترتب على الفرنسيين أن يهاجموا باتجاه الشمال في (شامباني)^(٤٥) وقد بقيت هذه الخطة، من أول الحرب وحتى نهايتها معياراً للاستراتيجية الفرنسية. وشنت مجموعة من المعارك في سنة ١٩١٥ تقيدت بها، وكان أكثرها طموحاً المعركة الثالثة في (آرتوا) والتي عرف الجزء البريطاني منها تحت اسم (معركة لوس)^(٤٦) (في ٢٥ ايلول - سبتمبر حتى ١٥ تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٥) وكذلك معركة شامباني (من ٢٥ ايلول - سبتمبر وحتى ٦ تشرين الأول - اكتوبر) وفي كل هذه المعارك التي لم تكن لها أية نتيجة سوى فتح ثغرة في التتوء، برز واقعان: الأول - هو عدم تناسب الخسائر مع الارباح، فمثلاً خسر الفرنسيون في معركة (آرتوا - لوس) أكثر من ٤٨ ألف جندي بالاضافة الى عدد مماثل من البريطانيين. وبلغت خسائر الفرنسيين في معركة شامباني الثانية أكثر من (١٤٣) ألف جندي. وفي كل مرة لم يحتلوا الا شبكة خنادق خط النار الألماني في بعض المواقع، بعمق ٩٠٠ م. والثاني - هو أن القصف الرهيب للمدفعية قد سمح للمشاة باحتلال كل خنادق خط النار المعادي أو جزء منه في كل الهجمات منذ بداية هذه السنة (١٩١٥) ويثبت هذا الأمر أنه لو كان هناك ما يكفي من المدفعية خلال المرحلة الحركية من الحرب، لكان بالمستطاع خرق الجبهة التي لم تكن متخذقة، أو كانت قد تحندقت بصورة خفيفة في هذه الفترة. وكان هذا الدرس هو أحد الدروس التي أعطاها نابليون لعصره عندما

(٤٤) آرتوا: (ARTOIS) اقليم قديم في شمال فرنسا، وانضم الى التاج الفرنسي في عهد فيليب اوغست (١١٦٥ - ١٢٢٣م) وانتقلت عن طريق الزواج لحكم البورغونيين سنة ١٣٨٢ وعادت الى فرنسا سنة ١٦٥٩م وهي تشكل القسم الاكبر من اقليم (بادوكاليه PAS - DE - CALAIS) وكانت آرتوا مسرحاً لقتال عنيف سنة ١٩١٥.

(٤٥) شامباني: (CHAMPAGNE) اقليم فرنسي قديم، كان دوقية ميروفنجية، ثم اماراة كارولنجية. واصبحت تحت تاج فيليب الجميل سنة ١٢٨٥، عاصمتها تروي ويضم الاقليم: اوب والمارن العليا ومارن الاردين. ووقعت في شامباني خلال الحرب العالمية الاولى أربع معارك كبيرة.

(٤٦) لوس: (LOOS) ناحية في شمال فرنسا في اقليم ليل تقع على قنال دول (DEÛLE) تشتهر بصناعاتها الكيميائية والقطنية.

قال: (لا يمكن شن الحرب إلا بواسطة المدافع). وقد أفلتت منهم الآن هذه الفرصة، وأصبحت خنادق الجبهة عميقة أكثر فأكثر. فتصورت هيئة الاركان العامة الفرنسية عند ذاك - وبسذاجة - أنها اكتشفت سر الانتصار في الحكمة التالية: (المدفعية تغزو الأرض والمشاة تحتلها). وتقهقر التكتيك وعاد مشكلة هجمات كتلوية تتم بالحربة - أو بالأحرى بطلقات القنابل!. وحل التمرين محل المناورة. وحلت المباغته والقصف محل القائد. وتراجع التكتيك فأصبح على المستوى الذي كان عليه أيام الاسبارطيين في القرن الخامس ق.م. مع فرق واضح هو أن القادة - الجنرالات - لم يعودوا في حاجة للذهاب إلى ميادين القتال. ومن المفهوم أن الأرباح الزهيدة والخسائر الضخمة لهذه المعارك قد أفقدت السياسيين صوابهم، وataحت لهم الذرائع لاتباع سياسة الحيلة والتخلص. وقد يكون بالمستطاع القول: إذا كان الاستنزاف والاعياء، كما نصح به القادة، قد قبل باعتباره اسلوباً تكتيكياً طبيعياً، وإذا كانت الدول المركزية قد رفضت الاستسلام، فإن الحرب لا يمكن أن تنتهي الا بتدمير متبادل. ومن ناحية أخرى، نظراً لأن الحرب كانت نزاعاً بين حلفين، فإن أعضاء الحلفين لا يستطيعون أن يعملوا منفردين بصورة حرة. وكان الروس قد تعرضوا لسلسلة من الهزائم المدمرة، ولم يكن باستطاعة جيوش الاتفاق أن تبقى سلبية وتترك حليفها في المأزق. وكانت الضرورة تفرض عليها أن تهرع لمعاونته. وللجهر بالحقيقة، لم تعد حرب الكتل المعتمدة على بندقية الرمي التكراري، والرشاش، هي حرب خيالية. ولو أنها استخدمت كأداة سياسية، كما أنه لم يكن في وسع أحد - في أي مكان - أن يتملص ويتوارى من الرصاص، ولا أن يدمر شبكة من الخنادق موضوعة ومنظمة بشكل جيد وبصورة حاسمة. وكان بالمستطاع الالتفاف على الجبهات مراراً، على المسرح الشرقي للحرب، نظراً لوجود أراض واسعة. ولكن الجبهات بقيت على المسرح الغربي جبهات لا يمكن خرقها. ومن الغريب مع ذلك أن العسكريين اكتشفوا بصورة بطيئة الصعوبة المتناهية لحرب الخنادق. فقد علمتهم التجربة الآن أنه مع كمية كافية من المدفعية، يستطيعون احتلال خط النار لعدوهم، واستتجوا من ذلك أن في وسعهم احتلال

خطه الثاني وخطه الثالث والرابع الخ . . . بمدفعية أقوى، إلى أن يتم الحرق تماماً. ولكن ما لم ينجحوا في فهمه هو أنهم كلما قصفوا خنادق العدو بمزيد من القنابل، كلما دمروا الأرض وأحدثوا فيها مزيداً من التخريب. وتتحول ساحة المعركة الطبيعية إلى منطقة تملؤها حفر القنابل. أي أنهم ازالوا حاجزاً من الحواجز بخلقهم حاجزاً جديداً آخر، يجعل المسير إلى الامام صعباً جداً. حتى أن المشاة لو اجتازت منطقة الحفر، فلن يكون في وسعهم تموينها. ونتج عن ذلك ضرورة انشاء طرق وسط هذا الخراب، تسمح بتقدم المدافع وآليات التموين. وحتى يتم انشاء مثل هذه الطرق، يكون العدو قد تخندق وتحصن من جديد، وينبغي عندئذ القيام بمعركة خرق جديدة.

تعرضت اساليب الصراع المسلح ووسائطه الى تبدلات هامة. فقد تطورت المدفعية بسرعة كبيرة، وأصبحت في هذه الفترة الواسطة النارية الرئيسة القادرة على زعزعة متانة الدفاع الثابت، وتأمين النجاح للمشاة المهاجمة. وحصل إلى جانب الزيادة الكمية في تعداد المدفعية تبدلات في النوعية أيضاً: فقد تحسنت نوعية المدافع القذافة - الهاوتزر - وظهرت الأنواع الثقيلة منها، واستخدمت مدافع الهاون على نطاق واسع. وظهر نوع جديد من المدفعية هو: المدفعية المضادة للطائرات. وتحولت الطائرة إلى واسطة قتالية، بعد أن تم تسليحها بالأسلحة الرشاشة والقنابل. وقد استخدمت القاذفات الثقيلة في سنة ١٩١٥. واستطاعت الطائرات حمل حتى (٥٠٠) كغ من القنابل. وسلح بعضها بثلاث رشاشات لحمايتها من الطائرات المطاردة التي ظهرت في الفترة ذاتها. وهكذا ظهرت إلى جانب طائرات الاستطلاع أنواع أخرى من الطائرات: القاذفة والمطاردة. وفي هذا العام أيضاً (١٩١٥) بدأ استخدام الغازات السامة. وكانت القوات الألمانية أول من استخدمها. وكانت تتألف من غاز الكلور المضغوط في عبوات خاصة - براميل - تفتح قبل بدء الهجوم. وتطلق باتجاه العدو عندما يكون اتجاه الرياح مناسباً. وتطلب استخدام الغازات السامة تجهيز القوات بالأقنعة الواقية، وتنظيم الوقاية المضادة للغازات.

عندما تحولت الحرب إلى حرب دفاعية ثابتة، بدأت القيادات بالتفتيش عن أساليب جديدة لتحضير العمليات والمعارك الهجومية وتنفيذها. ولجأت معظم الجيوش إلى تركيز قوات كبيرة من المشاة والمدفعية والطيران على القسم المراد خرقه من دفاع العدو. فعند الهجوم على (شامباني) مثلاً، عملت فرقة المشاة المكلفة بالخرق ضمن قطاع عرضه من ١,٥ الى ٢ كم. وبلغت كثافة المدفعية من ٥٠ إلى ٦٠ مدفعاً في الكيلومتر الواحد. واستمر التمهيد المدفعي عدة أيام على كامل عمق الموضع الأول المعادي. وقد تمكن المهاجم بنتيجة التمهيد المدفعي الطويل من احتلال الموضع الأول فقط كما تمكن المدافع من دفع احتياطاته من العمق واحتلال الموضع الثاني والثالث، نظراً لفترة التمهيد المدفعي، ولعدم تأثيره على المواضع الدفاعية في العمق. ولم يتوافر للقوات المهاجمة حتى ذلك الوقت أية واسطة نارية لتدمير أو إبطال الدفاع المعادي حتى كامل عمقه. وأخذت المشاة عند هجومها على دفاع مجهز تزيد من عمق ترتيبها القتالي: فالفرقة المشاة كانت تضع فوجين في الخط الأول وفوجاً أو فوجين في الخط الثاني - إذا كان تشكيلها رباعياً -. وتكون الترتيب القتالي لافواج الخط الأول من عدد من سلاسل المشاة المتراسة والتي كانت تتحرك خلف بعضها البعض على مسافة حوالى ٥٠ متراً. وقد شكلت الاحتياطات للتعويض على الخسائر وللاحتفاظ بالقوة الضاربة للسلاسل المهاجمة وقد دعي هذا الترتيب القتالي باسم (موجات سلاسل المشاة) وذلك تمييزاً له عن (سلاسل المشاة المفردة) التي كانت تستخدم في سنة ١٩١٤. وحصل تطور كبير في الدفاع الميداني الثابت. فقد ازداد عمق الدفاع عن طريق إيجاد الموقع الثاني وأحياناً الموقع الثالث. كما ازداد تنسيق تراتيب القتال في العمق، وقد ازدادت كمية الرشاشات من مرتين إلى ثلاث مرات، الأمر الذي رفع من كثافة النار في الدفاع. ولم تستخدم الرشاشات خلال الهجوم الا في القليل النادر. وقد تطور التنظيم الهندسي للأرض وأصبحت القوات تغطي نفسها بالاسلاك الشائكة، وبمختلف الحواجز الطبيعية والاصطناعية.

٤ - الحرب في فردان والسوم (سنة ١٩١٦)

عقد قادة الحلفاء مؤتمراً لهم برئاسة الجنرال جوفر وذلك في بداية شهر كانون الاول - ديسمبر ١٩١٥ وذلك بهدف الاعداد لهجوم الربيع ، وزج الحد الأقصى من القوات على الجبهة الغربية . وعبر القادة (البريطانيون والفرنسيون) في مؤتمرهم عن قناعتهم بضرورة تنسيق القوى والوسائل لجيوش الحلفاء بعد التجارب المريرة لعامي ١٩١٤ و ١٩١٥ ، وما رافقها من خسائر فادحة . وتم وضع مخطط استراتيجي لدول الحلفاء تضمن القيام بعملية هجومية كبيرة في منطقة نهر السوم بالقوى البريطانية - الفرنسية - المشتركة . وبما أن محاولات خرق دفاع العدو في نقطة واحدة لم تنجح ، فقد خطط تنفيذ الخرق على جبهة واسعة عريضة في قطاع هجوم عدة جيوش . وقد حدد اليوم الأول من تموز - يوليو ١٩١٦ موعداً للبدء في العملية الهجومية . وكان على القوات الروسية أن تبدأ هجومها بتاريخ ١٥ حزيران - يونيو على اتجاه برلين مجتذبة نحوها اكبر قسم من القوات الألمانية ، الأمر الذي يساعد على نجاح الانكليز والفرنسيين في منطقة نهر السوم .

أعطت القيادة الألمانية أهمية كبرى لموضوع الاحتفاظ بالمبادأة الاستراتيجية . لذا قررت القيام بالاعمال الهجومية في شهر شباط - فبراير بهدف سبق دول الحلف في توجيه الضربات ، وكانت كل حسابات ألمانيا مبنية على أساس أن فرنسا لا تستطيع تحمل الصراع الطويل المجهد . وبما أن ألمانيا لم تكن تملك القوى والوسائل الكافية لشن الهجوم على جبهة واسعة فانها خططت لتوجيه ضربة قوية على قطاع ضيق . واختارت لذلك منطقة (فردان) المحصنة والتي باحتلالها يفتح طريق باريس أمام القوات الألمانية . وقد عبر (فالكنهاين) رئيس هيئة الاركان العامة الألمانية - بعد فون مولتكه - عن السبب الذي دفع القيادة الألمانية لاختيار منطقة فردان بقوله : «يجب العمل على اضعاف الضغط العنيف الذي تمارسه بريطانيا دوماً على حلفائها . وبما أن فرنسا قد وصلت إلى دفع أقصى جهدها العسكري ، فاننا نجتاز الحد في هذه الحالة . وعندئذ تحرم بريطانيا من

أفضل سيوفها. وقد اختيرت فردان لأن المحافظة عليها سيرغم هيئة
الاركان العامة الفرنسية على استخدام آخر رجل لديها. واذا ما لجأت إلى
مثل هذا العمل، فإن القطعات الفرنسية ستستنزف بخسائرها الدامية،
لانه سيكون من المحال عليها تجنب القتال، سواء حققنا هدفنا أم لم
نحققه».

أ - موقعة فردان

نظم الفرنسيون دفاعهم في منطقة فردان على اسلوب الدفاع
المحصن. فجهزوا النطاق الدفاعي الخارجي المحصن حول مدينة فردان،
وعلى بعد ٧ - ٨ كيلومترات من مركز المدينة. وكان هذا النطاق يضم
الحصون القديمة والمنشآت المحصنة طويلة الأمد والتي اقيمت على شكل
أربعة مواقع دفاعية في الفترة بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٥م. وقد مر الموقع
الاول على مسافة ٧ كيلومترات تقريباً من أمام الطوق الخارجي المحصن. كما
مر الموقع الرابع مع هذا الطوق مباشرة. وكان كل موقع يتألف من ثلاثة أو
أربعة خنادق، ومن خنادق المواصلات والملاجئ الضرورية ومحاطاً في
الأمام بشبكة جيدة من الأسلاك الشائكة. وقد بلغ العمق العام للدفاع
حول فردان (١٥) كيلومتراً تقريباً. كما بلغ طول الجبهة ١١٢ كيلومتراً.
وحشد الفرنسيون هنا قبل بداية الهجوم الألماني ٨ فرق و ٦٣٤ مدفعاً - من
أصلهم ٢٤٤ مدفعاً ثقيلًا -.

لم يقدر الألمان التنظيم الدفاعي في منطقة فردان حق قدره.
واعتقدوا أن باستطاعتهم اختراقه خلال وقت قصير، بالاعتماد على
المدفعية الألمانية الثقيلة. وعلى هذا تم تكليف الجيش الألماني الخامس
بالعملية. وكان هذا الجيش يضم ٦ فيالق (مجموع قوتها ١٢ فرقة) و ١٢٢٥
مدفعاً من بينها ٧٠٣ مدافع ثقيلة و ١٥٢ مدفع هاون. واستطاع الألمان
بنتيجة الهجوم اختراق الدفاع الفرنسي حتى عمق ١٥ كم. وقد ركز
الألمان على قطاع الخرق ثلاثة فيالق وحتى ٧٥ بالمائة من وسائل المدفعية.
وبلغت كثافة المدفعية على اتجاه الضربة الرئيسية حتى ١١٠ مدافع في
الكيلومتر الواحد.

بدأ الهجوم الألماني على فردان بتاريخ ٢١ شباط - فبراير ١٩١٦ بتمهيد مدفعي قوي استمر ٩ ساعات، وركزت النيران الأساسية خلاله على الموقع الأول. هاجمت المشاة الألمانية في تراتيب قتالية متراصة. وكانت فيالتي التجمع الضارب موضوعة على نسق واحد، أما الفرق فقد بنت ترتيبها القتالي على نسقين، إذ وضعت في النسق الأول فوجين وفي النسق الثاني فوجاً واحداً. وكانت الكتائب ضمن الفوج تهاجم على قطاع من ٤٠٠ - ٥٠٠ م منسقة سراياها بالعمق. وكانت الكتيبة تتألف من ثلاث سلاسل لسرايا المشاة منسقة بالعمق، تتراوح المسافات فيما بينها من ٨٠ الى ١٠٠ م. وكانت تندفع أمام السلسلة الاولى عناصر الاستطلاع ومجموعات الاقتحام المؤلفة من جماعتين إلى ثلاث جماعات مشاة معززة بالمهندسين العسكريين والرشاشات وقاذفي القنابل وحاملي قاذفات اللهب. اخترقت القوات الألمانية في اليوم الأول حوالي ٢ كم من الدفاع الفرنسي، واحتلت الموقع الأول. واستمر الهجوم في الأيام التالية بالطريقة ذاتها وهي: الرمي بالمدفعية طوال النهار على الموقع الذي يراد احتلاله، ثم اقتحامه ليلاً واحتلاله. وقد استغل الألمان قلة يقظة الفرنسيين الذين أهملوا دفع مراكز مراقبة ليلية متقدمة، فوجهوا قوة استطلاع في ليل ٢٥ شباط - فبراير وأمكن لهذه القوة احتلال حصن دومون، من غير اطلاق ولو طلقة واحدة. وتشكل بذلك خطر حقيقي من احتمال سقوط فردان في قبضة الألمان. فأسرعت القيادة الفرنسية باتخاذ تدابير حاسمة لابعاد هذا الخطر إذ دفعت فوراً على الطريق الوحيد الذي يصل فردان بالداخل، قوات احتياطية محمولة على ستة آلاف سيارة. كما دفعت قوات أخرى من القطاعات التي لم تكن مهتدة. وخلال الفترة من ٢٧ شباط - فبراير وحتى ٦ آذار - مارس عززت فردان بحوالي (١٩٠) ألف رجل و(٢٥) ألف طن من المؤن العسكرية، نقلوا جميعاً بالسيارات. واستطاع الفرنسيون أن يحققوا بذلك تفوقاً على الألمان بقدر مرة ونصف وأوقفوا تقدمهم.

اتخذت معركة فردان طابعاً عنيفاً للغاية عندما حاولت القيادة الألمانية تنفيذ مخططها الهادف إلى اخراج فرنسا من الحرب. وتابعت هجماتها الحاسمة، واستطاعت احتلال بعض الحصون الأخرى واجزاء

جديدة من الأرض. ولكن هذه النجاحات الجزئية تطلبت تضحيات كبيرة جداً. وقد استطاعت المشاة الفرنسية المسلحة بالرشاشات أن تلتجىء إلى الحفر المختلفة، متجنبين بذلك نيران المدفعية الألمانية، وأن تكبد السلاسل الألمانية المهاجمة بالخسائر الفادحة. كما أن المدفعية الفرنسية كبدت المشاة المهاجمة خسائر فادحة، وكذلك أسهمت الطائرات الفرنسية في تدمير تجمعات المشاة الألمانية بنيران الرشاشات وبالقنابل.

اضطر الألمان أخيراً لايقاف هجماتهم في منطقة فردان بسبب هجوم الروس الناجح في الجبهة الجنوبية - الغربية(*) وبسبب هجوم الفرنسيين والبريطانيين اللاحق على نهر السوم. وفي شهر آب - أغسطس بدأت القوات الفرنسية هجومها بهدف استعادة المواقع والتحصينات المفقودة. وقد دافع الألمان بصلافة، وظلوا متمسكين بالمواقع المحتلة حتى نهاية العام ١٩١٦، حيث استطاع الفرنسيون إعادتهم إلى مواضعهم السابقة، وبذلك تكون عملية فردان قد استمرت تسعة أشهر وانتهت بدون أية فائدة بالنسبة إلى ألمانيا. وكانت عبارة عن مذبحة رهيبة خسرت فيها ألمانيا حوالي ٦٠٠ ألف رجل، وفرنسا حوالي ٦٠٠ ألف رجل، وبريطانيا حوالي ٣٥٠ ألف رجل. وكان اتساع العملية محدوداً إذ بلغ عمقها حوالي ١٠ كم وعرض الجبهة حوالي ٣٠ كم. وبالرغم من أنه كان قد اشترك فيها ٧٠ فرقة فرنسية و ٥٠ فرقة ألمانية، وكان ايقاع الهجوم وسطياً حوالي ٤٠ م في اليوم.

ب - عملية السوم

قررت القيادة الفرنسية - البريطانية خرق دفاع الجيش الألماني في منطقة (نهر السوم)^(٤٧) على جبهة عريضة متصلة. وقد بدأت

(*) مرة أخرى، يمكن مطالعة الصراع على الجبهة الشرقية في الكتاب السابق من هذه المجموعة - لودندورف.

(٤٧) نهر السوم: (SOMME) نهر فرنسي، ينبع من سهل الايسن، ويصب في المانش (في خليج السوم) وهو يمر من سانت كوانتان وبيرون واميان وآبفيل، ويبلغ طوله ٢٤٥ كم. وقد شهدت ضفاف هذا النهر معارك ضارية في سنوات الحرب العالمية الأولى. وقد حاول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ايقاف تقدم الألمان على ضفاف نهر السوم غير أنهم فشلوا في ذلك.

الاستعدادات للهجوم منذ ربيع سنة ١٩١٦، غير أن الهجوم أجل مدة طويلة. وأخيراً تقرر تنفيذ العملية لتخفيف الضغط عن فردان. وتم تكليف الجيش الفرنسي السادس والجيش الانكليزي الرابع بخرق الدفاع الالماني. وكان الجيشان يضمنان عند بداية الهجوم ٣٦ فرقة مشاة و٦ فرق خيالة و٢١٩٠ مدفعاً و١١٦٠ مدفع هاون و٣٥٠ طائرة، ووصل طول جبهة الخرق حتى ٤٠ كم.

اعتبرت المدفعية الوسيلة الاساسية للاختراق فهي التي كانت تدمر المواقع الدفاعية المعادية، ثم تقوم المشاة باحتلالها. وتبنت القيادة الانكلو-فرنسية المبدأ التالي في الخرق: (المدفعية تدمر والمشاة تحتل). وقد وضعت خطة صارمة لتقدم المشاة حددت فيها الخطوط الواجب بلوغها مع الزمن اللازم لذلك. وقد منع المشاة من الاندفاع لمسافة تزيد على ما هو محدد لها في الخطة. وعينت لهذه الغاية خطوط تتم فيها المرافقة - أو الموازنة - للتأكد من تقدم المشاة على نسق واحد.

نظم الألمان دفاعهم في منطقة نهر السوم من ثلاثة مواقع أساسية، ومن موقع واحد وسيط. وجهزت هذه المواقع بالملاجيء والمسائر المصنوعة من الاسمنت المسلح، كما نصبت شبكات الاسلاك الشائكة أمام الموقع الأول على صفين. ولم تنتشر القوات داخل الموقع بشكل خطي، بل على شكل نقاط استناد قوية مجهزة للدفاع الدائري. وبلغ مجموع القوات الألمانية الموجودة في قطاع الخرق ثمانية فرق ألمانية و٦٧٢ مدفعاً و٣٠٠ مدفع هاون و١٤ طائرة. فكانت نسبة القوى بالمشاة تعادل ٤ إلى ١ وبالمدفعية والطيران تعادل ٣ إلى ١، لصالح القوات الانكلو-فرنسية. وقد حضر الحلفاء عملياتهم الهجومية بشكل مكشوف ودون تمويه عملياتي نظراً لثقتهم الكاملة بالنصر.

بدأ التمهيد المدفعي بتاريخ ٢٤ حزيران - يونيو ١٩١٦ م. واستمر لمدة ٧ أيام. قذفت مدفعية الحلفاء خلالها (١,٧٣٨,٠٠٠) قنبلة. وأثناء ذلك، دفعت القيادة الألمانية قواتها الاحتياطية من العمق، وعززت الدفاع من جديد. وانطلقت القوات الانكلو-فرنسية للهجوم في اليوم

الأول من تموز - يوليو ١٩١٦ ، وقد انتظمت في ترتيب السلاسل المترابطة في الهجوم، وتحت حماية نيران المدفعية التي استخدمت لأول مرة (السد الزاحف).

استطاعت المشاة احتلال الموقع الاول من التنظيم الدفاعي الألماني، ولم تنجح محاولات الحلفاء لتطوير الهجوم واحتلال الموقع الثاني بسبب المقاومة المتزايدة من القوات الألمانية التي كانت تتلقى التعزيزات المتواصلة. ولم يتمكن الحلفاء من احتلال الموقع الثاني إلا في منتصف شهر تموز - يوليو بعد أن تكبدوا خسائر فادحة. وخلال هذا الوقت استطاعت القوات الألمانية تحضير مواقع دفاعية جديدة في العمق. وهكذا استطالت المعارك على نهر السوم من غير الوصول إلى أية نتيجة حاسمة. واستطاع الحلفاء توسيع جبهة الخرق منذ مطلع ايلول - سبتمبر وذلك باضافة جيش فرنسي جديد، ومع ذلك لم يستطع الحلفاء الحصول على نجاح هام. وعندها قرر البريطانيون استخدام واسطة قتالية جديدة هي الدبابات. ففي ١٥ ايلول - سبتمبر، استخدمت القوات الانكليزية ولأول مرة الدبابات، وكان عددها ٣٢ دبابة تعطل منها ١٧ دبابة قبل دخول المعركة. وكانت هذه الدبابات ذات مواصفات فنية سيئة: وزنها ٣٨ طناً، سرعتها ٤,٤ كم في الساعة، تسليحها مؤلف من ٤ رشاشات ومن مدفعين عيار ٤٧ مم، ومجموع السدنة ٨ أشخاص. وجدير بالذكر أن استخدام الدبابات بهذه الكمية المحدودة لم يعط أية نتائج هامة، بل سبب تأثيراً معنوياً أدى إلى بعض النجاحات التكتيكية حتى عمق ٢ كم. وقد كرر البريطانيون باستخدام الدبابات باعداد محدودة، الخطيئة الألمانية في استخدام الغازات السامة عام ١٩١٥، إذ أضاع الطرفان المباغته في استخدام السلاح الجديد بسبب الكمية الضئيلة المستخدمة.

أقبل فصل الخريف من سنة ١٩١٦، وبدأت الامطار بالهطول، وتحولت الأرض في منطقة نهر السوم إلى مستنقع متصل، وتوقف الهجوم الانكلو - فرنسي. في يوم ١١ تشرين الثاني - نوفمبر واستطاعت قوات الحلفاء خلال أربعة أشهر ونصف احتلال قسيمة من الأرض طولها ٤٨ كيلومتراً، وعمقها الأقصى ١٢ كم. وخسر البريطانيون (٦٥٤,٤١٩)

مقاتلاً، كما خسر الفرنسيون (٤٥١، ١٩٤) مقاتلاً. وكانت خسائر الألمان بالمقابل تزيد على نصف مليون جندي.

كان السير (دوغلاس هايج)^(٤٨) الذي خلف (جون فرينش) في منصب القائد العام منذ ١٥ كانون الاول - ديسمبر ١٩١٥، راضياً كل الرضى عن نتيجة المعركة، وعبر عن رضاه بقوله: «انه لم يشك أبداً بكفاءة الحلفاء» وكان رئيس الاركاز العامة (وليم روبرتسون)^(٤٩) من انصار دوغلاس هايج في تأييد استراتيجية (حروب الاستنزاف) فكان ينصح الحكومة البريطانية: «بالتهيؤ والاستعداد لمعركة أقسى وأطول، وإلى بذل جهد أكبر في الوسائل من الجهد الذي اعتادوا عليه حتى ذلك الوقت. وكان الألمان بدورهم يطبقون استراتيجية (حروب الاستنزاف) وهي استراتيجية دفاعية بحتة هدفها: استنزاف دم العدو حتى يؤدي النزيف إلى موته بواسطة مجموعة كبيرة جداً من قرصات (دود العلق) المحلية. ولم يعرف الطرفان أن التبذير في استخدام الدود سيؤدي بالضرورة إلى (الافلاس) - افلاس جميع الاطراف.

أصبح استقرار الجبهات عاماً وجمودها شاملاً، على كل الجبهات وذلك بعد معركة السوم. وكان الايطاليون قد استنزفوا حتى آخر قطرة دم متوافرة لديهم في ثماني معارك على الايزونو. ومع أن الهجوم الروسي على الجبهة الشرقية - بقيادة الجنرال بروسيلوف - قد نجح في أسر عدد هائل من النمساويين، غير أنه كلف روسيا خسارة مليون جندي. وعقدت دول الحلفاء مؤتمراً في ١٥ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٦ لدراسة خطة حملة

(٤٨) دوغلاس هايج (GOUGLAS - HAIG) كونت بيمرسيد (BEMERSYDE) فيلد مارشال انكليزي (١٨٦١ - ١٩٢٨) تولى القيادة العامة للقوات البريطانية (١٩١٥ - ١٩١٨) وقد نشرت مذكراته سنة ١٩٥٢ وهي تتضمن دور البريطانيين في الحرب العالمية الاولى بدقة كبيرة.

(٤٩) وليم روبرتسون: (ROBERTSON. W. ROBERT) فيلد مارشال بريطاني تولى توجيه الجيوش الانكليزية من سنة ١٩١٦ وحتى بداية سنة ١٩١٨م. عمل في البداية رئيساً لهيئة اركان (جون فرنش) حتى ٢٣ كانون الاول - ديسمبر ١٩١٥. ثم أصبح رئيساً لهيئة اركان حرب الامبراطورية. وحل محله اللواء السير. ل. كيجل. وكان الثلاثي (هايج - وروبرتسون - كيجل) من الدعاة المتحمسين لاستراتيجية الاستنزاف.

السنة التالية (١٩١٧) وبناء على هذا تقرر القيام بسلسلة من الهجمات على كل الجبهات. وعبر روبرتسون عن وجهة نظر الحلفاء بقوله: «كلنا متفقون على أنه بالمستطاع تحقيق هدفنا بالهجوم على اهداف محدودة دون تأخير. مع استخدام مدفعيتنا إلى أقصى ما يمكن. وفي وسعنا أن نأمل، بهذا الشكل، التوصل إلى غاياتنا بالحد الأدنى من الخسائر الممكنة».

ظهرت في أوساط القيادات السياسية (في لندن وبرلين وفيينا) اتجاهات تطالب باحلال السلام محل الحرب. فقد أتعبت الحرب جميع الاطراف المتصارعة. غير أن فوز (لويد جورج) في رئاسة الحكومة البريطانية - في ٧ كانون الاول - ديسمبر - ١٩١٦، غير من الموقف. فقد تعهد بمتابعة الحرب بصورة أقوى من ذي قبل. وبات من المحتمل أن تتطور الاعمال القتالية لتكون أشد ضراوة وأثقل وطأة مما كانت عليه.

٥ - الطريق نحو الحسم (كامبري ١٩١٧)

تسلم الجنرال (نيفيل)^(٥٠) مهمة القيادة العامة للجيش الفرنسية خلفاً للجنرال جوفر وذلك في ١٣ كانون الاول - ديسمبر ١٩١٦، وأخذ على عاتقه تنفيذ مخططات العمليات وإدارة الحرب وفقاً لما تم الاتفاق عليه: وهو أن تبدأ القوات البريطانية هجومها على جبهة (آراس)^(٥١) لجذب القوات الاحتياطية الألمانية واستنزافها، مما يسمح للفرنسيين بالهجوم على جبهة (الايسن) وكان الهدف الذي يعملون على تحقيقه حاسماً بشكل خاص: وهو خرق موقع العدو وتحطيمه. لكن إذا اظهر أن الخرق غير كاف لتحقيق الهدف، فيتم إيقاف المعركة ونقل الهجوم الى جبهة الفلاندر.

(٥٠) نيفيل: (NIVELLE, ROBERT - GEORGES) قائد فرنسي، من مواليد تول TULLE (١٨٥٦ -

- ١٩٢٤) تولى القيادة العامة (١٩١٦ - ١٩١٧) ووجه الهجوم على الايسن سنة ١٩١٧.

(٥١) آراس: (ARRAS) مدينة رئيسية من مدن (بادوكاليه) وهي العاصمة القديمة للأرتوا ARTOIS

وهي إلى الشمال من باريس وتبعد عنها مسافة ١٧٥ كم. تقع على نهر سكراب. عقدت فيها

معاهدات هامة في تاريخ فرنسا، وانتصر فيها تورين على كونديه سنة ١٦٥٤ وقام فويان بتحصينها.

ودمرتها المدفعية الألمانية في الحرب العالمية الاولى. غير أن الالمان فشلوا في الاستيلاء عليها.

بدأت اولى هذه المعارك في ٩ نيسان - ابريل ١٩١٧ ، سبقها تمهيد مدفعي تم فيه قذف (٢٧٠) ألف قنبلة . واستمر الهجوم حتى ٣ أيار - مايو حيث أمكن تحقيق تقدم لمسافة ٨ كيلومترات على جبهة ٣٢ كم . وعندما وصلت المعركة نهايتها في ٢١ أيار - مايو كان البريطانيون قد خسروا (١٥٨) ألف جندي بين قتيل وجريح يقابلهم (١٥٠) ألف جندي ألماني .

بدأ الفرنسيون هجومهم على الايسن^(٥٢) غير أن هذا الهجوم مني بالفشل الذريع بعد ثمانية أيام من انطلاقته . وخسر الفرنسيون فيه (١٨٧) ألف جندي بين قتيل وجريح ومفقود . يقابلهم لدى الالمان (١٦٣) ألف جندي . واستبدل (نيفيل) بالجنرال (بيتان)^(٥٣) وكانت الروح المعنوية لدى الجيش الفرنسي قد تدهورت إلى درجة هائلة . حتى أن ٥٤ فرقة مشاة ثارت بين ٢٥ أيار - مايو و ١٠ حزيران - يونيو ١٩١٧ .

وقع في هذه الفترة حادثان بدلا تماماً من شكل الحرب . ففي الثامن من آذار - مارس انفجرت الاحداث في بتروغراد . وفي يوم ١١ منه ثار الحرس الامبراطوري ، واجتاحت الثورة في اليوم التالي المدينة ، وتنازل نيقولا الثاني وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة الاميرلفوف ، واعترفت دول الحلفاء بها رسمياً في يوم ٢٢ . وكان الحدث الثاني اعلان الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا في ٦ نيسان - ابريل ١٩١٧ بحجة اقدام امبراطور المانيا على شن حرب الغواصات دون قيد أو شرط .

كان نجاح الثورة الروسية برهاناً واضحاً لما وصلت اليه الحالة المعنوية في الجيوش المتحاربة - في ربيع سنة ١٩١٧ . وفي الواقع ، فقد أرهقت ويلات الحرب كل الفرقاء المتنازعين . ووصلت القوات إلى حالة

(٥٢) الايسن: (ESSEN) مدينة ألمانية (في الراين الشمالية - ويستفاليا) على الروهر . اقيمت فيها مصانع كروب للمدفعية - قديماً - وتشتهر بصناعاتها .

(٥٣) بيتان: (PÉTAIN - PHILIPPE) ماريشال فرنسا . من مواليد غوشي آلتور - في بادوكاليه (١٨٥٦ - ١٩٥١) استطاع تأمين الدفاع عن فردان سنة ١٩١٦ ، وأصبح في سنة ١٩١٧ قائداً أعلى لجيوش الشمال ، والشمال الشرقي . عين ماريشال فرنسا ١٩١٨ . فوزيراً للحرب سنة ١٩٣٤ . وعين سفيراً لفرنسا في مدريد سنة ١٩٣٩ . وشغل رئيساً لفرنسا المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية . وحكم بالموت سنة ١٩٤٥ . وخفف الحكم للنفي في جزيرة (يو) .

متردة، حتى أن عدوى ثورة آذار - مارس - الروسية، انتشرت نحو الغرب، مثلها كمثل سحب البارود. وكانت هذه العدوى الثورة هي السبب في التمرد الذي حصل في الجيش الفرنسي - الى حد كبير. ففي ١٦ نيسان - ابريل تمرت الألوية الروسية التي كانت قد أرسلت إلى فرنسا في سنة ١٩١٦، والتي كانت جريدتها المفضلة هي الجريدة التي ينشرها تروتسكي قبل أبعاده. وتمردت هذه الألوية في معسكر لاكورتين، ولم تستسلم إلا بعد قصف دام ثلاثة أيام. وقد انتقلت عدوى الثورة إلى القطعات الألمانية في روسيا. وقد كتب القائد الألماني لودندورف عن هذه الظاهرة ما يلي: «كان حصار المجاعة والابادة اللذين فرضا علينا، مع الدعاية المعادية الموجهة ضدنا، وكلها كانت مترابطة بشكل وثيق للكفاح ضد العرق الألماني والروح الألمانية. كانت كل هذه الأساليب تؤثر علينا بثقلها، وازداد ثقلها مع استمرار الحرب... وقد بدأ الحصار والدعاية يزعزعان معنوياتنا تدريجياً، ويهزان ثقتنا بالنصر النهائي. وقد فقد الكثيرون كل احساس ألماني صرف، ولم يعودوا يفكرون أبداً بالوطن. فقد انتقلت الانسانية الى المقام الأول... وفقدنا الثقة بأنفسنا... ووجدت العقيدة الثورية التي كانت الدعاية المعادية والبلشفية تبشر بها وتدعو إليها، بأن الروح الألمانية باتت مستعدة لاستقبالها. وحصلت هذه العقائد الزائفة على تأثير اكبر في وسط الجماهير. وتلقى الشعب الألماني سواء في الداخل أو في مواجهة العدو طلقة الموت. وكانت عيوننا مركزة على الدعاية المعادية، كعيون الأرنب عندما تتركز على الحية الرقطاء. وكانت الدعاية ماهرة في استخدام الوسائل الهائلة التي تملكها. وكانت تعمل معتمدة على أفكار مدهشة تؤثر على الجماهير، وذات علاقة وثيقة بالوضع العسكري. وكانت تستخدم كل الوسائل دون أن يحاسبها ضميرها على ذلك... وأخيراً، وابتداء من مطلع سنة ١٩١٨، راحت تبشر بفكرة ثورة اجتماعية، بالاضافة إلى فكرة ثورة سياسية. وصورت الدعاية الحرب على أنها عمل قامت به الطبقات الحاكمة على حساب العمال، وعلنت هذه الدعاية أن انتصار الألمان سيكون وبالأعلى على العمال، ومأساة لهم. ووجدنا أنفسنا حيال الدول الحيادية أمام نوع من الحصار المعنوي... لقد فقدنا

كل رصيد. أما رصيد الخصم فكان يتزايد بنسب مفرطة... وكان هدف الدعاية الامريكية والبريطانية المعترف به هو الثورة الداخلية في ألمانيا».

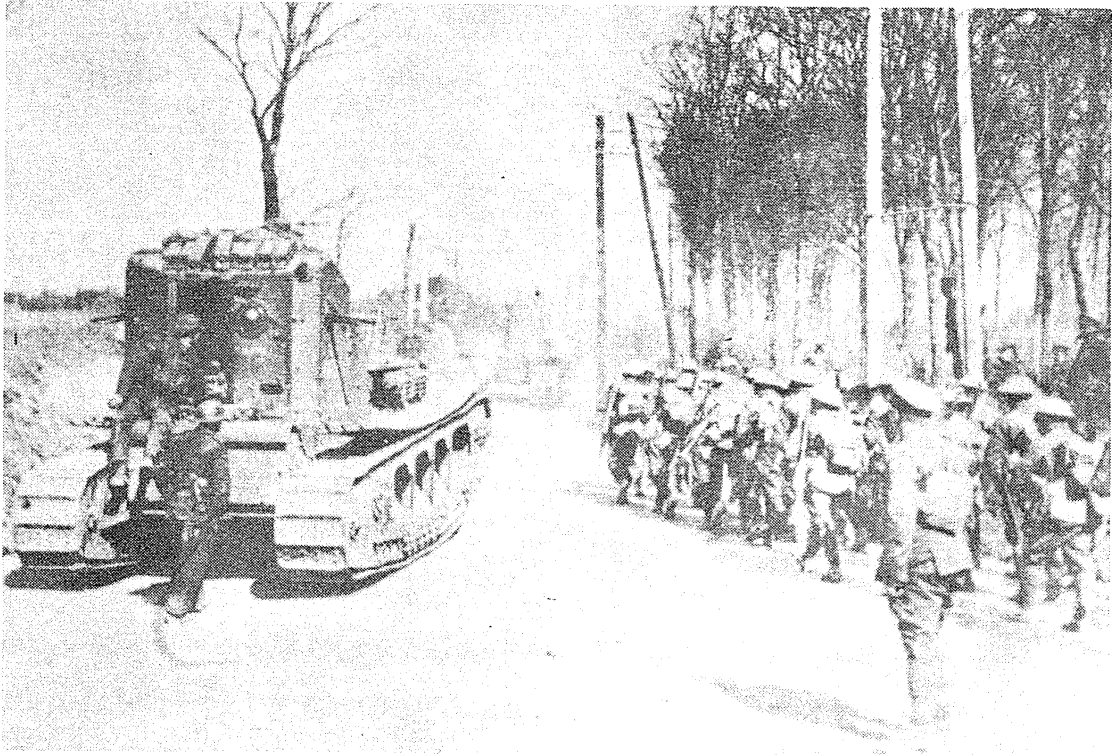
ساهمت الثورة الروسية أيضاً في مأساة (كابوريتو)^(٥٤) التي فر خلالها (٤٠٠) جندي من ساحة المعركة. وفي ٢٦ أيار - مايو كان السير وليم روبرتسون يكتب رسالة إلى السير دوغلاس هايج، جاء فيها: «إنني أخشى أن يكون من الواجب أن نقبل في الوقت الحاضر وجود نوع من الاضطراب في البلاد ناجم عن عدوى الثورة الروسية. فقد حدث مؤخراً بعض الاضرابات المؤلمة وهناك كثير من الاستياء».

لقد كانت هذه التحولات تشير إلى احتمال تصعيد في الصراع على جبهة الغرب. إذ باتت باستطاعة ألمانيا الاطمئنان إلى انسحاب روسيا من الحرب لتعمل على نقل مليون جندي من جبهة الشرق إلى جبهة الغرب. وفي الوقت ذاته باتت باستطاعة بريطانيا وفرنسا الاطمئنان إلى تلقي دعم كبير من الولايات المتحدة الامريكية بعد أن ألقت هذه بثقلها في ميزان الحرب، وراحت تستعد لزج مليون جندي في مسرح فرنسا. وعلى هذا، فقد كان من الطبيعي أن تقترح الحكومة الفرنسية تأجيل كافة العمليات الهجومية حتى يصل الدعم الامريكي. غير أن هيغ وروبرتسون وبيتان ونيفيل كانوا قد صمموا على متابعة تنفيذ مخططاتهم الموضوعة والمتفق عليها. وكان هيغ بصورة خاصة يرغب في المضي لتنفيذ عملية (الفلاندر)^(٥٥) بعد أن ثبت فشل عمليتي آراس والايسن^(*).

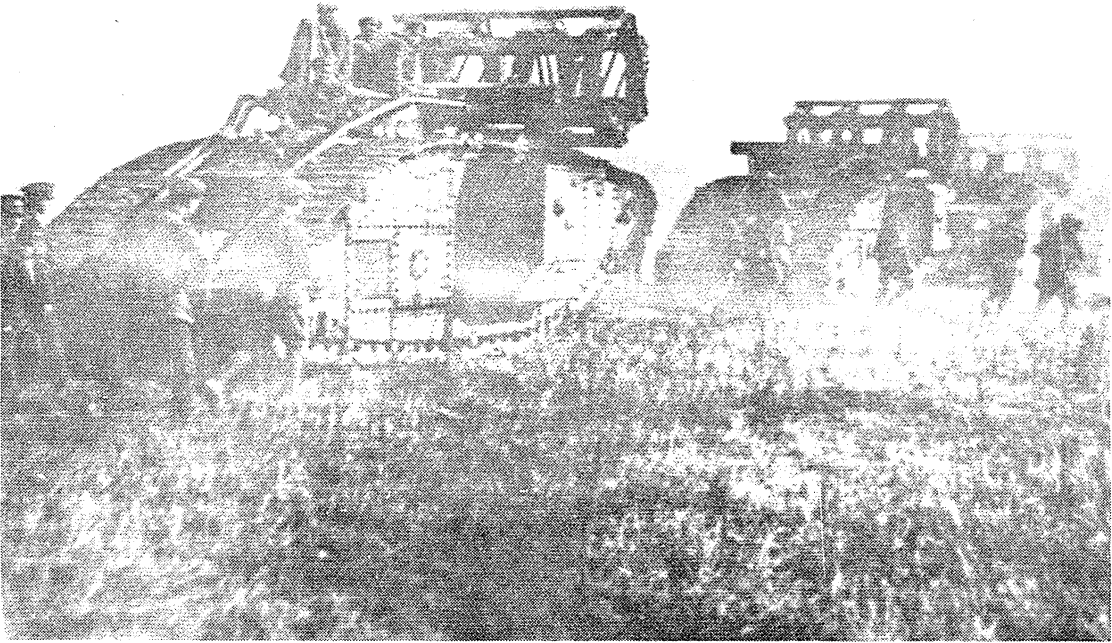
(٥٤) كابوريتو: (CAPORETTO) مدينة يوغوسلافية لم تخضع أبداً للحكم الايطالي. وهي تقع على نهر ايزونزو ISONZO. وفيها انتصر النمساويون والالمان على الايطاليين في تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٧.

(٥٥) الفلاندر: (FLANDRE) هو الاسم الذي كان يتم اطلاقه فيما مضى على جميع البلاد الواقعة بين حوض الاسكوت وبحر الشمال وآرتوا ولوهينو وبرابان. وهو اقليم مستنقي امكن تخفيفه وتحويله إلى مزارع وحقول. وهناك اليوم الفلاندر الفرنسي وعاصمته ليل، والفلاندر الغربي - البلجيكي - ومركزه بروغ BRUGES. والفلاندر الشرقي - البلجيكي أيضاً - وعاصمته غاند GAND.

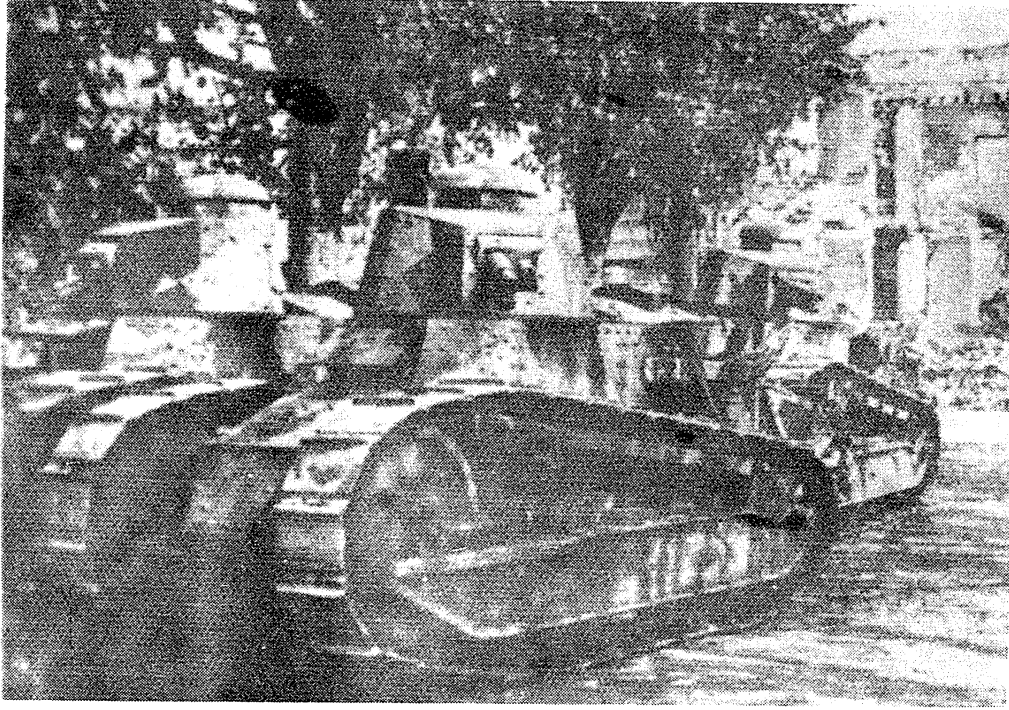
(*) يذكر أن القوات الانكلو - الفرنسية قد ضمت في هذا الهجوم أربعة جيوش و٥٥٨٠٠ مدفعاً و٥٠٠ طائرة و٢٠٠ دبابة. واكثر من ٣٠ مليون قذيفة.



ظهر النموذج الأول للدبابة سنة ١٩١٧ لمرافقة المشاة وللتغلب على الجمود بسبب قوة نيران المدافع الرشاشة.



دبابة مارك ٥ ستار - قادرة على حمل ٢٠ رجلاً في داخلها، لنقلهم إلى قلب المعركة.



الدبابة رينو - النموذج المبكر للدبابات الحديثة .



اختبار قدرة الدبابة رينو على اجتياز العقبات الأرضية .

استمرت حملة الفلاندر في فصلي الصيف والخريف من سنة ١٩١٧. وبدأت يوم ٧ حزيران - يونيو بمعركة (ميسين)^(٥٦) الظافرة المحدودة. والتي سبق تنفيذها تمهيد مدفعي لفترة (١٧) يوماً، قصفت خلالها ثلاثة ملايين و(٥٠٠) ألف قنبلة. وافتتحت بانفجار (١٩) لغماً محشواً بكمية (٥٠٠) ألف كيلوغرام من المتفجرات القوية. وانتهت في ١٤ حزيران - يونيو حيث بلغت خسائر البريطانيين (١٧) ألف مقاتل يقابلهم (٢٥) ألفاً من الألمان بينهم ٧٥٠٠ أسير. ويظهر أن هذه المعركة هي المعركة الهامة الاولى التي كانت فيها خسائر البريطانيين أقل من خسائر الألمان. وتلاها في ٣١ تموز - يوليو (معركة الايبر)^(٥٧) المعروفة باسم (معركة الايبر الثالثة) والتي حشدت فيها اكبر قوة للمدفعية عرفها تاريخ انكلترا. فقد استمر قصف التمهيد طوال ١٩ يوماً، واطلقت فيها ٤٠ مليون قنبلة تزن (١٠٧) آلاف طن، القيت على ساحة المعركة المقبلة في أرض منخفضة. وتبدلت معالم سطح هذه المساحة وتحولت إلى حفر وسدود وأقنية ودمرت فيها الطرق. وخلق فيها مستنقع لا يمكن اجتيازه، وتمرغت فيها المشاة وغاصت ثلاثة أشهر ونصف، وعندما انتهت المعركة في ١٠ تشرين الثاني - نوفمبر كان الألمان قد وصلوا إلى الخلف على جبهة ١٦ كم وبعمق أقصى ٨ كم. مقابل (٣٠٠) ألف قتيل وجريح ومفقود وأسير من جانبهم و٣٠٠ ألف من جانب أعدائهم.

انتهت بذلك آخر معارك الاستنزاف الكبرى بالمدفعية على الجبهة الغربية. وقد جاءت بعدئذ معركة كامبري تنويعاً لعمليات الصيف والخريف.

(٥٦) ميسين: (MESSINE) مدينة ايطالية في صقلية. تقع على مضيق ميسينا.

(٥٧) الايبر: (YPRES) وفي اللغة الفلامنكية (IEPER) مدينة بلجيكية في الفلاندر الغربي. تعرضت لهجمات الألمان باستمرار في الحرب العالمية الاولى - اربعة هجمات - ونجحت القوات البريطانية في احباط هذه الهجمات. وقد دمرت المدفعية الالمانية مدينة الايبر دماراً تاماً.

آ - عملية كامبري (٥٨)

نفذت عملية كامبري بقوة الجيش الانكليزي الثالث، في الفترة بين ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر و٧ كانون الاول - ديسمبر ١٩١٧. وتلخصت فكرة العملية بتوجيه ضربة مباغتة بقوة كبيرة من الدبابات والمدفعية والطيران، وخرق الدفاع الألماني على قطاع ضيق من الجبهة وتطوير الخرق بعد ذلك بالخيالة والمشاة، واحتلال خط هام في عمق مسرح العمليات. واستطاعت القوات الانكليزية تنفيذ مخطط للتمويه في العمليات، بحيث أمكن لها أن تحشد بصورة سرية: ثمانية فرق مشاة وفيلق خيالة واحد و٣٧٨ دبابة قتال و٢٨٩ طائرة. وتحققت كثافة عالية على قطاع الخرق البالغ عرضه ١٢ كم. وبلغت الكثافة فرقة واحدة على جبهة ١,٥ كيلومتر. كما بلغت ٨٥ مدفعاً و٣٢ دبابة في الكيلومتر الواحد.

كانت الأرض بالقرب من مدينة كامبري صالحة لعمل الدبابات. وكان قطاع الخرق محصوراً من الشمال والجنوب بقنوات مائية. وفي منطقة الخرق، دافعت فرقتان ألمانيتان تقريباً عن ثلاثة مواقع دفاعية محصنة عمقها من ٧ إلى ٨ كيلومترات. وكان الموقع الأول منها أكثر مناعة وأقوى تحصيناً، وأمام هذا الموقع نصبت خمسة نطاقات من الأسلاك الشائكة.

وزعت الدبابات على فرق المشاة على أساس العمل المشترك مع المشاة في النسقين الاول والثاني، ولكن القسم الاكبر منها وزع على وحدات النسق الأول. وتلقت كل كتيبة مشاة في النسق الأول من ٩ إلى ١٢ دبابة. ولضمان التعاون الوثيق بين المشاة والدبابات فقد تم تبديل الترتيب القتالي للمشاة التي أصبح عليها أن تهاجم بأرتال الجماعات أو الفصائل - لا بسلاسل المشاة - وقد سمح لها بالفتح في سلاسل المشاة فقط عند ضرورة فتح النار أو عند الانطلاق في الهجوم. وقد اتخذ القرار ببدء

(٥٨) كامبري : (CAMBRAI) مدينة رئيسية في مدن شمال فرنسا. تقع على نهر الاسكوت (ESCAUT) استولى عليها الالمان سنة ١٩١٤. واستعادتها فرنسا خلال الهجوم العام في تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٨.

الهجوم دون تمهيد مدفعي وذلك بهدف تحقيق المباغته الكاملة. كما تم التخطيط لدعم المشاة والدبابات خلال الهجوم بنيران السد الزاحف. كما تم التخطيط لاستخدام ستارة دخانية في فترة تقدم قوة الدبابات من قاعدة الانطلاق الى الحد الأمامي لدفاع العدو، بهدف منع المدفعية الألمانية من استخدام نيرانها المباشرة ضد الدبابات. وتم صنع ٩٨ آلية مصفحة لنقل المحروقات والذخائر إلى القوات المقاتلة. وعند التحضير للعملية، تم اخضاع كافة الفرق المكلفة بالهجوم لتدريب خاص بهدف تعويد المشاة والدبابات على العمل المشترك، وتنسيق التعاون فيما بينهم.

انطلقت الدبابات والمشاة الانكليزية للهجوم في الساعة ٦٠٠ من صباح ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر وبعد عدة دقائق من بداية الهجوم فتحت المدفعية رمايات (السد الزاحف) الذي كان يرافق المشاة والدبابات المتقدمة. وقام الطيران الانكليزي بعدد من الاغارات على مرابض المدفعية الألمانية ومراكز القيادة.

بوغتت القوات الألمانية المدافعة عن الموقع الأول، فلم تصدر عنها أية مقاومة حقيقية. وبعد ساعتين من بداية الهجوم، أفاق الالمان من ذهول المباغته، وأخذوا في المقاومة المتزايدة، وبشكل خاص بالوحدات المتمركزة على أجناب قطاع الخرق، حيث كانت القوات الانكليزية المهاجمة محرومة من الدبابات. وبعد حوالي ٦ ساعات من الهجوم، استطاعت القوات الانكليزية التقدم لمسافة من ٧ إلى ٨ كيلومترات مختربة بذلك الموقعين الأول والثاني. وهكذا تم خلال ساعات تحقيق ما كان يصعب تحقيقه خلال بضعة أشهر في العمليات السابقة.

توقف الهجوم الانكليزي أمام الموقع الثالث بسبب تأخر المشاة عن مرافقة الدبابات نظراً لوقوعها تحت تأثير نيران قوية. ولم تنجح المحاولات الانكليزية بمتابعة الهجوم نظراً لعدم توافر قوات احتياطية تحت تصرف القيادة التي قررت متابعة الهجوم في صباح ٢١ تشرين الثاني - نوفمبر. وبما أنه لم يكن لدى القيادة الانكليزية احتياط من الدبابات والمشاة للتعويض عن الخسائر الكبيرة التي تكبدتها في اليوم الأول من أيام الهجوم، فانها لم تتمكن من متابعة العملية الهجومية. وتحولت هذه العملية في الواقع إلى

معارك مستقلة. وقد دفع الألمان خلال هذه الفترة فرقتين من المشاة لاغلاق الثغرة. وفي مساء ٢١ تشرين الثاني - نوفمبر عملت القيادة الانكليزية على اجراء تبديل المشاة القديمة بوححدات أخرى جديدة لم تكن مدربة على العمل المشترك مع الدبابات، الأمر الذي ساعد أيضاً على تحول العملية الهجومية إلى معارك صغيرة مستقلة. وهكذا انتهى الهجوم الانكليزي في الواقع إلى معارك صغيرة مستقلة دون تحقيق نتائج حاسمة. ونتيجة لتباطؤ الهجوم الانكليزي ثم توقفه تماماً في النهاية، استطاعت القيادة الألمانية أن تدفع إلى منطقة الخرق بقوات احتياطية اضافية للقيام بالضربة المعاكسة التي نفذت بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني بقوة ١١ فرقة مشاة مدعمة بألف مدفع، كما تمكن الطيران الألماني من الحصول على التفوق الجوي في هذه الفترة، ومن دعم الاعمال القتالية للقوات البرية القائمة بالضربة المعاكسة. واستطاع الألمان بنتيجة الضربة المعاكسة استعادة الموقف تقريباً. واستمرت المعارك الشديدة حتى ٧ كانون الأول - ديسمبر. وبالرغم من أن عملية كامبري لم تحقق أية نتائج هامة على مستوى العمليات، فانها أثرت الى حد كبير في التطور اللاحق للأساليب القتالية. فقد أكدت عملية كامبري قبل كل شيء الفائدة الكبيرة من استخدام الدبابات، وأوضحت أنه بات بالمستطاع اختراق أي دفاع ثابت بفضل الاستخدام الكثيف للدبابات بالتعاون مع المشاة والمدفعية. وأصبح واضحاً أن الاستخدام الأفضل للدبابات يكمن في تركيزها وحشدها على قطاعات الخرق. وكان النجاح في اليوم الأول للعملية نتيجة للتعاون الوثيق بين الدبابات والمدفعية والمشاة. وتكون معركة كامبري بذلك قد وضعت الاساس للمعركة الحديثة بالاسلحة المشتركة. وفي النهاية أظهرت هذه العملية الدور الهام للمباغنة والتي أمكن تحقيقها بالامتناع عن التمهيد المدفعي. وأصبحت الدبابات منذ معركة كامبري تستخدم في كافة العمليات الهجومية التي قام بها الحلفاء. وعند قيام الألمان بالضربة المعاكسة، استخدم الانكليز دباباتهم للمرة الاولى كنقاط نارية متحركة لصد الهجوم. الأمر الذي أظهر امكانية استخدام الدبابات كواسطة قتالية هامة في الدفاع كما في الهجوم.

٦ - فوش - ونهاية الحرب (١٩١٨)

وضعت الخطط الاستراتيجية لعام ١٩١٨ في موقف ازدادات فيه الكراهية للحرب، ونمت فيه الروح الثورية المعادية لها في معظم البلدان المتحاربة. وتقرر عدم البدء بالاعمال القتالية النشطة على الجبهة الغربية إلا بعد وصول القوات الامريكية. كما قررت القيادة الالمانية الفوز بالنصر في العام ١٩١٨ بأي ثمن، وانهاء الحرب خوفاً من وقوع انفجار ثوري في البلاد. ووضعت لهذا الغرض خطط تعتمد على المجازفة - وحتى المغامرة - باكثر من اعتمادها على الحقائق الموضوعية.

حشدت القوات الألمانية في شهر آذار - مارس ٦٢ فرقة واكثر من ٦ آلاف مدفع وألف مدفع هاون وألف طائرة على جبهة ٧٠ كم لتوجيه ضربة قوية في الفرجة بين الجيشين الانكليزي والفرنسي في منطقة (بيكاردي)^(٥٩). وكانت فكرة هذه العملية تتلخص في طرد الجيش البريطاني حتى شاطئ المانش، وتدميره تدميراً كاملاً هناك، وبعد ذلك تركيز كل القوى ضد الجيش الفرنسي. وبدأت القوات الألمانية الهجومية في منطقة بيكاردي يوم ٢١ آذار - مارس ١٩١٨ بعد تمهيد مدفعي قوي وقصير (لمدة خمس ساعات) أدى إلى تدمير الموقع الأول والوسائط النارية والمنشآت الدفاعية ومراكز القيادة والجسور وغير ذلك من الأهداف الموجودة في العمق. وقد دعم هجوم المشاة بالسد الزاحف وبالطيران الانقضاضي. وتقدمت القوات الألمانية في اليوم الأول من العملية حتى مسافة ٣ - ٧ كم. ثم تابعت تقدمها في الأيام التالية ولكنها اصطدمت بالاحتياطات الفرنسية المتقدمة. ونجحت القوات الألمانية في التقدم لمسافة ٦٥ كيلومتراً بعد اسبوعين من المعارك الضارية تكبدت خلالها خسائر فادحة، ثم توقفت نهائياً عن متابعة الهجوم. ولم تتحقق الاهداف الاستراتيجية التي وضعتها القيادة الألمانية. كما أن النجاحات الجزئية التي تم التوصل إليها خلال

(٥٩) بيكاردي : (PICCARDIE) اقليم فرنسي قديم عاصمته اميان ويضم فيرماندوا، واميينوا، وفالوا، ولوراش. وهو يشكل اليوم ناحية السوم وقسماً من بادوكاليه والايسن والواز. وقد عرف اقليم بيكاردي عدداً من المعارك الكبيرة في الحرب العالمية الاولى.

العملية لم تكن متناسبة والخسائر الكبيرة التي دفعت ثمناً لها .

قررت القيادة الالمانية القيام ببعض المحاولات الهجومية الحاسمة في ربيع سنة ١٩١٨ ، وصيفها بهدف المحافظة على المبادأة الاستراتيجية . غير أن هذه المحاولات لم تصل إلى أية نتيجة حاسمة . ولم تؤد إلا إلى بعض التتوعات والتقعرات في خط الجبهة ، وإلى زيادة في طول هذا الخط ، وإلى خسائر كبيرة لم تكن ألمانيا قادرة على استعواضها . وانتقلت المبادأة الاستراتيجية بشكل نهائي إلى قبضة الحلفاء في شهر آب - أغسطس ١٩١٨ . وخاضت القوات الفرنسية والانكليزية والامريكية عدداً من العمليات الناجحة والهادفة إلى الغاء النجاحات البسيطة التي حصلت عليها القوات الالمانية في عمليات الربيع والصيف (بقيادة لودندورف) . وكان (فوش) قد طلب الى (بيتان) إعداد مجموعتين من القوات الاحتياطية بهدف القيام بهجوم مضاد على مجنبة الهجوم الالمانى الجديد ، والمحتمل . واستطاعت المجموعة الاولى (بقيادة مانجان - أو مانجين) تحطيم الهجوم الالمانى في المارن يوم ٩ حزيران - يونيو ثم توجهت بعد ذلك إلى موضع جديد غرب بروز المارن ، نظراً لأن فوش قرر استخدامه لاهداف هجومية على عقدة مواصلات الخط الحديدي في (سواسون)^(٦٠) وخلال اعداد هذا الهجوم ، علمت شعبة المخابرات من مصادر موثوقة أن هجوماً ألمانياً يجهز قرب (رانس) فقرر فوش منع هذا الهجوم ، وليس مقاومته ، وذلك بالقيام في هجوم حدد تاريخه بيوم ١٢ تموز - يوليو ولكن بيتان اقترح السماح للألمان بالتقدم والتوغل في زحفهم ثم ضرب مؤخرة جناحهم . ولما لم تكن القوات الفرنسية جاهزة للهجوم في يوم ١٢ تموز - يوليو ، فقد تم تنفيذ المعركة متوافقة مع فكرة بيتان تقريباً وليس وفقاً لفكرة فوش . ذلك أن فكرة بيتان الأساسية كانت تعتمد على اخلاء الموقع الخلفي السليم ، ثم القيام بهجمات مضادة محلية ترغم العدو على زج قواته الاحتياطية في الجيوب الجديدة على طرفي رانس . على أن ينطلق القائد

(٦٠) سواسون : (SOISSONS) مدينة رئيسية من مدن الايسن ، وتقع على نهر الايسن وقد دمرتها المدفعية الالمانية في الحرب العالمية الاولى . واعيد تشييدها من جديد .

الفرنسي مانجان بعد ذلك نحو الشرق للقيام بهجوم مضاد حقيقي على طول المجنبة الغربية لمنطقة المارن البارزة، فيصبح بذلك قادراً على اغلاق فتحة الكيس الكبير وسجن القوات الألمانية إلى الجنوب من نهر (آين).

ساهمت الاحداث، وكذلك فوش في تعديل هذه الفكرة. ففي ١٥ تموز - يوليو أطلق لودندورف هجومه الجديد الذي لم يكن سراً لدى الحلفاء، حيث توافرت المعلومات عن احتمال وقوعه. وقد فشل هذا الهجوم في شرق رانس بفضل الدفاع المرن، وهو نوع من الهجوم غير المباشر التكتيكي. وكان قادة الجيوش - الحلفاء - غرب ريمس - يصرون على استخدام طرائق الدفاع القديمة والجامدة، فاخترق الألمان جبهتهم في عدة نقاط، وعبروا المارن. ولمواجهة هذا الخطر، دفع بيتان بمعظم قواته الاحتياطية المحضرة للمرحلة الثانية من العملية. وقرر سحب بعض وحدات مانجان لتشكيل قوات احتياطية جديدة فتأخر بذلك انطلاق الهجوم الذي أعده مانجان بناء على أوامر فوش في ١٨ تموز - يوليو. ولما علم فوش بذلك، أصدر أمراً مضاداً وأصر على أن يقوم مانجان بهجومه، فأهملت بذلك المرحلة الثانية من العملية. واستطاعت القوات الاحتياطية الألمانية الجاهزة ايقاف هجوم مانجان. وبقيت فوهة الكيس مفتوحة، وانقلب رد الفعل إلى ضغط مباشر على الكيس من كل الجهات. وهو ضغط دفع الالمان إلى خارج الجيب، بدلاً من أن يغلق فوهة الكيس عليهم.

أصبحت فكرة فوش اعتباراً من هذه الفترة، هي المحافظة على المبادأة، ومنع الألمان من التقاط أنفاسهم، وحشد قوات الحلفاء وتجميعها من كل مكان. وكان عمله الأول تحرير الخطوط الحديدية بسلسلة من الهجمات المحلية. وفي هذا الاطار تم تنفيذ الهجوم الأول في (أميان) يوم ٨ آب - أغسطس. واستطاع الجيش البريطاني الرابع مضاعفة عدد قواته خفية عن الألمان بفضل استخدام الحيلة والخدعة. فقامت ٤٥٠ دبابة بهجوم يعتبر اكبر ضربة مباغطة في هذه الحرب، ثم اضطرت للتوقف بعد ذلك لأن مهمتها الاساسية كانت تأمين الضغط المباشر. وقد اشترك

الطيران البريطاني في العملية. وبلغ الذعر في صفوف الالمان ذروته، وخرقت الجبهة الألمانية. وقد كتب محرر التقرير الرسمي الالماني عن معركة اميان الحاسمة ما يلي: «عندما غابت شمس يوم ٨ آب - أغسطس كان الجيش الالماني قد تعرض لاكبر هزيمة عرفها منذ مطلع الحرب وحتى ذلك التاريخ» وقد دفعه الى عنونة تقريره (بكارثة ٨ آب - أغسطس ١٩١٨) الذعر الذي سببته الدبابات لا آثارها القاتلة. ولم تكن هذه الكارثة سبباً في التعجيل بالتراجع النهائي بعد معركة كانت حامية الوطيس بين الطرفين. بل كانت الهزيمة الاولى التي تمت بدون قتال، الأمر الذي جعل منها شيئاً جديداً لم يعرف من قبل. فبدون دبابة الانقضاض، لم يكن بالمستطاع تحقيق مباغته مماثلة لتلك التي حدثت. فمباغته الانقضاض هي التي أطلقت الارجاج. ويجب أن يضاف إلى ذلك احساس الجندي الراجل الذي كان يواجه خصماً لا تتمكن من ايقافه طلقات البندقية أو الرشاش. وهو احساس بالعجز التام يدفعه بصورة غريزية إلى تضخيم الخطر لتخفيف عار استسلامه أو فراره الفوري من المعركة أمام مثل هذا الخطر: فقد كانت الدبابة سلاحاً نفسياً اكثر من أن تكون سلاحاً مادياً. (ولعله من المناسب استقراء ملامح الدبابات الاولى ومميزاتها وخصائصها من خلال الجدول المرفق).

لقد أدرك - لودندورف - الخطر الذي حملته دبابة الانقضاض الى ميدان المعركة، فكتب ما يلي: «لقد وقع كل ما كنت اخشاه، وما ضمنته تحذيراتي التي وجهتها في نقطة من الجبهة. وكان يوم ٨ آب - أغسطس علامة من علامات انهيار قدرتنا العسكرية، حرمني من التطلع لايجاد الوسائل العسكرية القادرة على تعزيز الوضع وقلبه لصالحنا، نظراً للموقف الذي كنا نعانيه في القوات الاحتياطية. لقد كنت مقتنعاً بأن تدابير القيادة العليا التي كنت أضعها حتى ذلك الوقت على قاعدة متينة بقدر ما يكون ذلك مستطاعاً في الحرب. غير أن تلك التدابير باتت منهارة من أساسها. واتخذت ادارة الحرب بذلك طابع لعبة من لعب الصدفة التي لا يمكن ايجاد ذرائعها واسبابها، وهي لعبة كنت اعتبرها دوماً لعبة مشؤومة ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يصبح مصير الشعب الالماني هدفاً للصدفة أو غرضاً

لها. لقد بات من الواجب انهاء الحرب».

كان الحلفاء في هذا الوقت يتجهون بقيادة فوش نحو استخدام طريقة استراتيجية جديدة تعتمد على القيام بسلسلة سريعة من الضربات الشديدة الموجهة ضد مواضع مختلفة، وتتوقف كل ضربة من الضربات بمجرد أن يضعف اندفاع الهجوم، وتكون كل واحدة منها وسيلة لفتح الطريق للضربة التالية، على أن تكون جميعها متقاربة في الزمان والمكان بحيث تؤثر الواحدة منها على الاخرى بشكل فعال. وهكذا تم وقف حركة لودندورف الذي لم يعد قادراً على تحريك قواته الاحتياطية بسرعة لتفادي الصدمات، ووجدت هذه القوات ذاتها ثابتة وعاجزة عن الحركة مما قدم للحلفاء مزايا كبيرة.

لم تكن هذه الطريقة تشكل هجوماً غير مباشر وحقيقي ولكنها تشبهه إلى حد بعيد. إنها لا تستخدم الخط غير المتوقع ولكنها تتحاشى مع ذلك خط الانتظار المتوقع. ولم تكن تستخدم خط المقاومة الأضعف، ولكنها لا تصر على متابعة الجهد على خط تزداد قوته، ويمكن اعتبارها شكلاً سلبياً للهجوم غير المباشر. وقد ترتب على الضعف المعنوي والعديدي المستمر للقوات الألمانية أن أصبحت هذه الطريقة كافية خلال وقت معين لتأمين تقدم الحلفاء واضعاف المقاومة الألمانية. وأمام وضوح هذا الهدف، والتأكيدات بإمكان اختراق خط هندنبورغ الذي تتمركز عليه أقوى الوحدات الألمانية، قرر فوش ترك طريقته والقيام بهجوم عام في كل مكان، وفي وقت واحد. وتضمنت خطته القيام بضغط مباشر على شكل كماشة حول البروز الكبير الذي تشكله الجبهة الألمانية في فرنسا. وكانت تعتمد على قدرة جناحي الحلفاء المؤلفين من البريطانيين والأمريكيين على القضاء خلال تقدمهما على القوات الألمانية المتمركزة داخل هذا البروز. وبذلك يمكن تجنب منطقة الاردن التي كانت تشكل في نظر قيادة الحلفاء جداراً خلفياً لا يمكن اجتيازه وليس فيه سوى مخارج ضيقة على المجنبات. غير أن هذه الفكرة عن الاردن لم تكن صحيحة، ولا يقبلها إلا الذين لا يعرفون طبيعة هذه المنطقة. فالواقع أن طرقها حسنة ومعظم مناطقها يمكن

الوصول إليها بسهولة .

كان المخطط في البداية يحوي بعض الهجوم غير المباشر بناءً على اقتراح (بيرشينغ)^(٦١) القائل بضرورة استخدام جيشه لاستثمار النصر المحلي بغية السيطرة على مواصلات الألمان في اللورين، وتهديد خطوط انسحابهم نحو نهر الراين . ورفض (هايج) هذه الفكرة لأنها تبعد الهجوم عن بقية الهجمات الحليفة بدلاً من أن تتلاقى معها . عندها عدل فوش خطته ورفض اقتراح بيرشينغ . وكان على الجيش الأمريكي أن يبذل جهوداً في الغرب، ويجهز في مدة تقل عن سبعة أيام هجوماً في قطاع الموز - أرغون . وأدى الضغط المستمر على خط المقاومة إلى اضطرابات متزايدة وخسائر فادحة دون أن يسهل من تقدم (هايج) عبر خط هندنبورغ .

برهنت الوقائع هنا أن هجوماً مباشراً ومدعماً بتفوق مدفعي ساحق، ضد عدو ضعيف في روحه المعنوية، يمكن أن يتوغل في مواقع العدو، ولكنه غير قادر على تدميره . ففي يوم ١١ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨ وهو يوم الهدنة كانت القوات الألمانية - باستثناء وحدات المؤخرة - قد أصبحت خارج الجيب، واحتلت مواقع مأمونة، وتمركزت على خط أكثر استقامة وأقل طولاً . وتوقف تقدم الحلفاء بسبب صعوبة التموين في منطقة مدمرة تماماً . ولقد أدى الهجوم المباشر في هذه الظروف إلى انسحاب الألمان بسرعة أكبر من سرعة مطاردة الحلفاء .

لم يكن للمرحلة الأخيرة من مراحل الهجوم العسكري للحلفاء إلا

(٦١) بيرشينغ : (PERSHING, JOHN - JOSEPH) قائد أمريكي (١٨٦٠ - ١٩٤٨) خدم في كوبا سنة ١٨٩٨ ثم خدم في الفيليين (١٨٩٩ - ١٩٠٣) وعين ملحقاً عسكرياً في طوكيو (١٩٠٥ - ١٩٠٦) ثم عمل مراقباً للعمليات في الحرب الروسية - اليابانية (١٩٠٥) وعاد إلى الفيليين (سنة ١٩١٣) وتولى قيادة حملة من ١٠ آلاف رجل أرسلت إلى المكسيك لمطاردة فيلا (سنة ١٩١٦) أثناء ثورة مكسيكو . وعين بيرشينغ في نيسان - ابريل ١٩١٧ لقيادة قوات الحملة الأمريكية المكلفة بالاشتراك في الحرب العالمية الأولى . وتم بناء على توصية بيرشينغ تكوين تنظيم فرقي بحيث تضم كل فرقة (٢٨) ألف رجل . وأمكن تكوين ٤٢ فرقة، وتولى بيرشينغ قيادتها بنجاح في معركة (كانتيني) و(سانت ميهيل) والهجوم على خط هندنبورغ . وعمل بيرشينغ رئيساً للهيئة الأركان الأمريكية (١٩٢١) وبقي في منصبه هذا حتى تقاعده سنة ١٩٢٤ .

أهمية ثانوية. فعندما قام الأمريكيون بهجومهم على بروز (سانت ميهيل)^(٦٢) في ايلول - سبتمبر ١٩١٨، تعرضت قواتهم لخسائر كبيرة من جراء قصف قنابل الغازات الألمانية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن (٧٠, ٧٢٥) من الاصابات أي ما يعادل ٤, ٢٧ بالمائة من أصل مجموع الاصابات التي بلغت (٣٣٨, ٢٥٨) كانت بسبب الغازات. وكذلك كانت هناك (٤٦, ٤١٩) اصابة قاتلة من بين مجموع الاصابات، ليس من بينها سوى ١٤٠٠ اصابة مميتة بسبب الغازات (أي ٢ بالمائة مقابل ٨٥, ٢٤ بالمائة). فكانت الغازات - خلافاً لما يعتقد البعض - اكثر الاسلحة المستخدمة في الحرب (انسانية) واكثر فاعلية. وكان ارتداء القناع الواقي - التنفسي - يقلل من قيمة المقاتل إلى النصف، ولا يؤمن حماية كافية ضد الغاز الخردلي، على حين كان يعطي حصانة كافية (مائة بالمائة). على كل حال، لم يكن نصيب الهجوم الأمريكي الذي بدأ في ٢٦ أيلول - سبتمبر في قطاع (الموز - أرغون) من النجاح كبيراً، ولم يكن يشكل خطراً، وان كان مزعجاً. وقد قام (هايج) بهجوم جديد في ٢٩ ايلول - سبتمبر على خط هندنبورغ، وكانت الانباء الاولى تدعو إلى القلق.

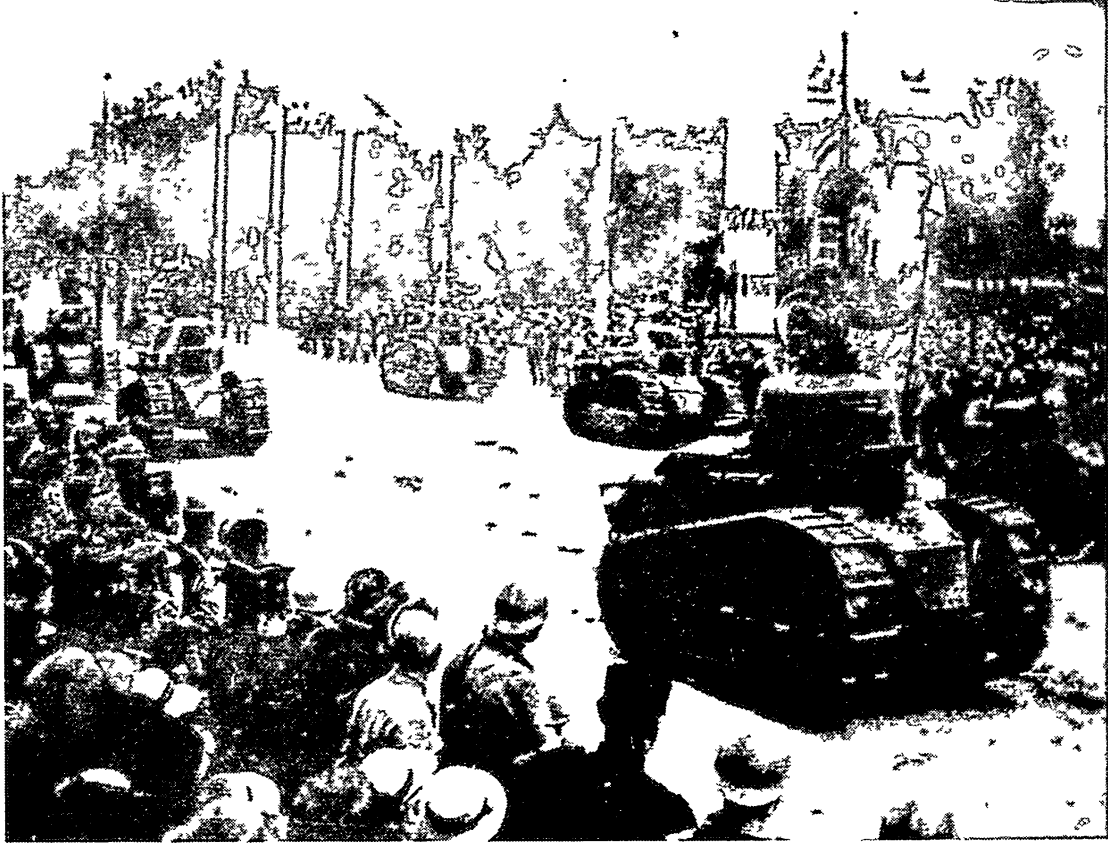
بينما كانت هذه الهجمات المتفرقة تتطور بصورة بطيئة، كان المارشال فوش يمضي قدماً في استعداداته للقيام بالهجوم العام، حتى إذا ما وصلت هذه الاستعدادات لمرحلة البدء بالتنفيذ، بوغت العالم بتقدم المانيا بطلب عقد الهدنة يوم ٣ تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٨، من الرئيس الأمريكي ويلسون الذي طلب إلى المانيا الاستسلام دون قيد ولا شرط. وتسارعت الاحداث. وفي ٣ تشرين الثاني - نوفمبر اعلنت تركيا والنمسا استسلامهما من غير قيد ولا شرط. واندلعت الثورة الاشتراكية في المانيا وانتشرت في كل الاقاليم الألمانية، واتسع نطاقها بسبب طول أمد المفاوضات. واستلم الزعيم الاشتراكي - ايرت - السلطة، ووقع شروط الصلح في ١١ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨. ووضعت الحرب العالمية

(٦٢) سانت ميهيل: (SAINT - MIHIEL) مدينة رئيسية من مدن اقليم الموز (وتقع على نهر الموز) استولى عليها الالمان سنة ١٩١٤ واستعادها الأمريكيون سنة ١٩١٨.

الاولى اوزارها. وانصرف صانعو مأساة السلم لمؤامراتهم، وهم في نشوة النصر، فاعادوا (هندسة) العالم بتركيبات اجرامية حملت في جوفها كل عوامل التفجر التي ادت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية. وكأن المحنة الانسانية التي نزلت بالبشرية لم تكن كافية، فوضعوا الاسس لمأساة جديدة أشد هولاً وأكثر وحشية من سابقتها.



فرحة النصر بعد طول عناء



دبابات (رينو) في عرض النصر.

٧ - لماذا فوش؟

تبقى قصة (أو بالأحرى سيرة) الماريشال فوش هي قصة الحرب العالمية الاولى، وتبقى نهاية الحرب العالمية الاولى وانتصاراتها مرتبطة باسم الماريشال فوش. ولكن هذه القصة اكبر حجماً وأكثر اتساعاً من أن تضمها سيرة شخصية أو سطور وجيزة عن تلك الاحداث الضخمة التي أزهرت فيها حياة الملايين من البشر.

ويبقى في (سيرة فوش) وقصته مع (الحرب العالمية الاولى) مجموعة من النقاط التي لا بد من التوقف عندها؛ وليس أقلها: موقع فوش من الحرب، ودور فوش في تطوير فن الحرب، وموقعه في التاريخ. ثم الأثر الذي تركته الحرب في تفكير فوش الخ... لقد أبرزت الحرب العالمية الاولى - شأنها شأن كل حرب، أسماء أعداد كبيرة من القادة الذين أمكن لهم في ظروفهم - الزمنية والمكانية - ممارسة دورهم بكفاءة والتأثير في مجرى الحرب والتأثر بها، من امثال جوفر ولودندورف وهندنبورغ ونيفيل والروسي بروسيلوف والامريكي بيرشينغ وهاينغ والفرنسي بيتان وسواهم كثير - ممن وردت اسمائهم في عرض البحث - وكذلك برزت أسماء مواقع لم تفقد اهميتها على الرغم من تقادم الزمن: من امثال تانتبرغ وفردان والسوم وكامبري والمارن وأميان وقد ترك كل موقع من هذه المواقع بصماته الواضحة على فن الحرب. فقد ارتبط اسم (معركة الايبير) بالاستخدام الكثيف للمدفعية. وارتبطت (معركة اميان) بالاستخدام الكثيف (للدبابات) وكذلك ارتبط اسم موقعة (سانت ميهيل) بالاستخدام الكثيف للغازات الخائفة. وارتبطت الحرب بمجموعها بمجموعة من التطورات المثيرة في مجالات التقدم العلمي والتقني (استخدام الطائرات ووسائل الاتصالات اللاسلكية والهاتفية ووسائل النقل على نطاق واسع). وكان كل تطور من هذه التطورات وكل حدث من هذه الاحداث، وكل موقعة من المواقع، نتاج جهد كبير من المقاتلين على اختلاف مستوياتهم ورتبتهم، ومن صنع جيوش من العلماء والتقنيين. فهل يمكن بعد ذلك القول بأن قصة الحرب العالمية الاولى هي قصة فوش - او لودندورف - أو اللنبي؟

وهل يمكن بالتالي نسب ما تم تحقيقه من نصر لقيادة فوش؟ لقد كان فوش أصغر حجماً وأقل قدرة من أن يضطلع بهذه النسبة. لقد غيرت طبيعة العصر من كل شيء. ولم يعد باستطاعة (هانيبال) أو (يوليوس قيصر) لو انتقل إلى القرن العشرين أن يمارس دوراً أكبر من دور فوش أو لودندورف. ولم تعد إدارة الحرب بمثل تلك البساطة، فقد بات وراء كل قائد، جيش من القيادات وهيئات الأركان فبات من المحال صنع القرار الحاسم بناءً على اجتهاد فردي. وقد سبقت الإشارة إلى أن فوش قد اضطر في أكثر من مناسبة إلى تغيير مخططه الأساسي. كما سبقت الإشارة أيضاً إلى أن كافة المخططات التي تم وضعها قبل الحرب - وطوال سنوات عديدة - لم تلبث أن احترقت بلهب الحرب، وسقطت رماداً على أرض الواقع الجديد للحرب. فكيف الأمر وقد اضطر فوش للعمل في قيادة تضم قيادات لدول مختلفة تفتقر لسياسة استراتيجية موحدة؟ لعل ذلك وحده كاف لانصاف الرجل واعطائه حقه، فالمهمة التي اضطلع بتنفيذها لم تكن أبداً من المهام السهلة، إنها تتطلب ابتداءً خاصاً وقدراً كبيراً من المرونة لتنسيق الجهد بين قادة متنافرين، مع المحافظة على الهدف. وذلك ما تميزت به قيادة فوش.

لقد تولى قبل فوش، عدد من القادة منصب القيادة العامة للقوات المشتركة، وجاء بعده (في الحرب العالمية الثانية) من شغل هذا المنصب بكفاءة عالية (ايزنهاور). ولم تكن صعوبة العمل في هذا المنصب محددة بالحجم الكبير للقوى والوسائل مما لم تعرفه الحروب من قبل، وإنما كانت الصعوبة ناجمة عن قيادة الحرب وإدارتها لتوحيد الجهد في اتجاه واحد في الأتارين الزمني والمكاني لمسرح الأعمال القتالية. وصحيح أن القيادة الروسية العليا قد تمكنت من إدارة الحرب بقوات ووسائل ضخمة، إلا أنه كان باستطاعة القيادة الروسية التفاهم بلغة واحدة، بمعنى أنه كان من السهل على هذه القيادة تحديد هدف العمليات الحربية في إطار الهدف الواحد (السياسي). وهو ما لم يكن متوافراً للقيادة الغربية - تقريباً - وهذا ما أبرز الدور المحدود للقائد العام الغربي في التأثير على إدارة الحرب. وقد يكون من المحال على القائد في مثل هذه الظروف ممارسة دوره القيادي وهو

محدود في حرية عمله، مقيد اليدين في اعماله. ولكن، وعلى الرغم من ذلك فقد حقق فوش نجاحاً عجز اقرانه ممن سبقوه لاشغال هذا المنصب في تحقيقه؟ فكيف تسنى له ذلك؟ هنا يبرز العامل الشخصي. فقد كان فوش يتمتع بكفاءة قيادية عالية وبمعلومات عسكرية غزيرة، وبقدرة كبيرة للعمل، وبالايان قبل كل شيء وبعده. مما كان يدفع القادة المرؤوسين، من الجنسيات المختلفة، للخضوع لهيئته وقبول قيادته بكثير من القناعة والرضى. ويكون فوش بذلك قد مارس دوراً رائداً في قيادة الجيوش الحديثة التي تعمل خارج الحدود الوطنية او الاقليمية، أو تعمل على المستوى العالمي - الاممي. وقد يكون ذلك كافياً لوضع فوش على مستوى القادة العالميين في العصر الحديث.

لقد بات (مبدأ وحدة القيادة) من المبادئ المتفق عليها أساساً لبلوغ النصر في الاعمال القتالية، كما في كافة الاعمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخ... غير أن الحروب الحديثة قد طورت بطبيعتها مفهوم هذا المبدأ - مضمونه - فلم يعد باستطاعة نابليون أو فون مولتكه ادارة الحرب على اساس قرار فردي (لوعمل في الحرب العالمية). واذا كان هتلر او ستالين قد مارسا دوراً فرداً (ديكتاتورياً) في ادارة الحرب، فان ذلك لا يلغي دور القيادات واجهزة هيئات الاركان التي كانت تقف وراء (شخصية الفرد الاسطورية). وأصبح دور القائد الاعلى ونجاحه مرتبطين بالقدرة على الابداع في استخلاص القرار الذي يحمل افضل الظروف لتحقيق النصر، واهمال كافة المقترحات ووجهات النظر التي تفتقر لعوامل النجاح. وهذا يعني ببساطة ضرورة توافر القدرة على الرؤيا بوضوح في وسط ضباب المعركة، بقدر ما يتطلب ايضاً القدرة على تنسيق التعاون من غير اهمال لأية امكانات مهما كانت بسيطة وحشد كل القوى والوسائط في اتجاه الجهد الرئيسي. وقد برهن فوش على توافر هذه (الفضائل الحربية) في قيادته للقوات المشتركة.

لقد كانت الحرب العالمية الاولى غريبة كل الغرابة في مقدماتها وتطوراتها ونهايتها، وحتى في نتائجها. إذ كان معظم المنظرين والقادة -

السياسيين والعسكريين - يعتقدون أنهم بعيدون عنها في حين كانوا يتربعون على فوهتها. وكان من المتوقع انهاء الحرب بضربة او بضربتين حاسمتين ، فاذا بالحرب تمتد لاكثر من أربع سنوات. وكان من المتوقع أن تتطور في النهاية لحسم الصراع فوق ميادين القتال، غير أن العالم بوغت باعلان المانيا - بطلب الهدنة - وهذا يعني عدم حسم الصراع بقوة السلاح، كما يعني أن هذا الحسم قد حدث بعيداً عن مسرح الاعمال القتالية، وبتأثير عوامل - او اسلحة - مغايرة (الحصار الاقتصادي، والتجويع، وتفجير الحروب الثورية) الخ. . . واذا كانت الحرب العالمية الاولى غريبة كل الغرابة في ظواهرها - عموماً - فان هذه الغرابة لم تكن بعيدة عن تيار التاريخ. غير أن عدم رؤية الامور بوضوح كافٍ هو الذي جعل الامور تظهر بمثل تلك الغرابة. لقد كان تيار التطورات العلمية والتقنية، وتيار تطور المجتمعات، وتيار تطور الاقتصاد الصناعي والتجاري يسير نحو الامة في اتساعه وشموله. وإذن فانه لم يكن من الغريب ابداً أن تسير الحرب على الاتجاه ذاته، وأن تكتسب ملامح العصر ذاتها. وهنا يظهر دور فوش الرائد - وامثاله - ممن أدركوا بعمق تأثير هذه التطورات وتوقعوا نتائجها واستجابوا لمتطلباتها. ليس ذلك فحسب بل إن فوش حاول ترميم الثغرة التي احدثتها التطورات العلمية والتقنية بموازنة مقابلة تعتمد على (الايان - والتدين). فقد أدت الثورة الصناعية - على ما هو معروف - الى انهيار مرعب في القيم والفضائل. وادرك فوش أنه ما من سلاح امضى في مواجهة الموت من سلاح الايمان فمضى في ثياب الماريشال وقلب المؤمن يبشر بالنزعة المثلث التي يمكن للانسان اعتمادها في مواجهة الخطر - نزعة الايمان. وهكذا كان فوش كاهناً في ثوب ماريشال وماريشالاً في قلب كاهن. ولقد اكدت سيرة فوش ما كان لهذه الفضيلة من دور كبير في مساعدة (الماريشال الكاهن) على بلوغ اهدافه.

كان مسرح الاعمال القتالية للحرب العالمية الاولى، رجباً فسيحاً، شمل اوروبا كلها علاوة على اقاليم العالم العربي - الاسلامي (القوقاز - سالونيك - بلاد الشام). وكان الانتصار على هذه المسارح وبصورة خاصة في بلاد الشام هو الذي دفع تركيا وبلغاريا إلى القاء السلاح، الأمر الذي

أرغم ألمانيا بالتالي على طلب الصلح . وهذا يعني أن دور فوش في اجراز النصر النهائي كان منقوصاً، إذ لم تكن هناك علاقة للماريشال فوش بالاعمال التي كان اللنبي يتولى قيادتها في بلاد الشام . وبكلمة اكثر وضوحاً، فاذا كان هناك من يستحق حمل وسام النصر النهائي فهو (اللمنبى) لا (فوش). غير أن ذلك يفتقر إلى الدقة . فصحيح أن انهيار حلفاء ألمانيا قد أثر تأثيراً كبيراً على القيادة الألمانية العليا، إلا أن هذه القيادة بقيت حتى قبل يومين فقط من طلب الهدنة وهي على أعلى درجة من الاستعداد لمتابعة الحرب . ولا ريب أن الضربات المتلاحقة التي نسقها فوش بعناية، وكذلك الاستعداد للهجوم الشامل، قد أقنعت القيادة الألمانية العليا بالحاجة للبحث عن طريق تبادلي - غير طريق الحرب - لوضع حد للمأساة الفاجعة . فكان دور فوش بذلك رئيساً وليس تكميلياً او ثانوياً .

بدأ فوش صغيراً مع بداية الحرب العالمية الاولى حيث تولى قيادة فيلق من الفيالق الفرنسية في معركة الحدود سنة ١٩١٤ ثم كبر مع كبرها واتسعت شهرته مع اتساع عملياتها، وسرعان ما تولى قيادة الجيش التاسع في معركة المارن، وبقيت مقولته في هذه المعركة برهاناً ساطعاً على التصميم العنيد والتفاؤل الكبير في وسط الزوايع والأعاصير حيث قال : «لقد انهزم جناحي الأيمن وتراجع، وتمزق وسط قواتي - قلبها - انه موقف رائع» . وكان موقفاً رائعاً حقاً، فقد انطلق فوش من قلب الهزيمة، وقام بالهجوم، وامكن له تنسيق جهود القوات الانكليزية - الفرنسية - البلجيكية خلال مرحلة ما اطلق عليه اسم (السباق إلى البحر) في تشرين الاول - تشرين الثاني (اكتوبر - نوفمبر) ١٩١٤ . وما هي الا فترة حتى أصبح قائداً لمجموعة جيوش الشمال . فتولى في ربيع سنة ١٩١٥ قيادة الهجوم على (آرتوا) . وفي سنة ١٩١٦ تولى قيادة القوات الفرنسية في معركة السوم . ونقل فوش بعد ذلك الى مركز ثانوي ليعمل مستشاراً عسكرياً لا رأي له، غير أن ذلك لم يشكل الا سداً مؤقتاً سرعان ما قفز فوش من فوقه في بداية سنة ١٩١٨ وأخذ في ممارسة دوره الكبير في تنسيق استراتيجية الحلفاء .

تلك هي سيرة الرجل الذي كبر مع الاحداث، وهناك عدد كبير من

القادة الذين بدأوا كباراً مع بداية الحرب، ثم سرعان ما أحرقت الحرب أقنعتهم وأظهرتهم على حجمهم الحقيقي فانتهوا إلى زوايا صغيرة من زوايا التاريخ. وهناك أيضاً كثيرون ممن تألقوا بسرعة - كالشهب - في سماء الحرب ثم هوى بمثل السرعة التي صعدوا بها. وبقي فوش صورة عن الحرب العالمية الأولى ونموذجاً واضحاً لها. ولقد ظهرت دراسات كثيرة في محاولة لتفسير هذه الظاهرة بصورة علمية وموضوعية، وبات هناك شبه اتفاق بين الباحثين بأن الفضل فيما وصل إليه فوش إنما يعود في قسم كبير منه إلى تلك المرحلة التي قضاها فوش في الكلية الحربية - معلماً ومتعلماً - استاذاً وتلميذاً، يتعلم من استاذ التاريخ ومن تجربته، ويستخلص العبر والدروس، ويقوم بتعليمها. وخلال هذه المرحلة، حاول فوش برجمة التجربة التاريخية من خلال إبراز (مبادئ الحرب) وتحديداتها والتركيز على أهميتها. ولقد ثار جدل طويل في محاولة إبراز العلاقة الجدلية بين المعرفة النظرية والممارسة العملية من خلال سيرة الماريشال فوش. ورافق ذلك ظهور اتجاه لتعيين مدرسي المدارس الحربية وكلياتها ومعاهدها لإدارة الحرب على أساس أن امتلاك هؤلاء للمعرفة النظرية تؤهلهم أكثر من سواهم لإدارة الحرب. غير أن التجربة العملية قد أكدت أن القضية ليست قضية معرفة نظرية بقدر ما هي قضية تمثل المعرفة النظرية لاستخدام ما هو مناسب منها في مواجهة المواقف غير المتوقعة. وهذا ما أكدته فوش ذاته، بأفعاله وأقواله.

كان فوش انساناً قبل كل شيء وبعده، له حوافزه ونوازعه، ولعل من أبرز ما حققه في حياته القيادية هو تحذثه الى قلب الانسان، واهتمامه بالروح المعنوية للمقاتلين، وحرصه الشديد على كسب النصر بأقل ثمن ممكن. غير أن ظروف الحرب ذاتها كانت تتطلب المزيد من الدم، والمزيد من التضحيات. مما جعل انسان ما بعد الحرب يفر بعيداً عن ذكرياتها ومآسيها، الأمر الذي ساعد على اسدال ستار من الضباب حول ظروف الحرب ذاتها وحول بطل انتصارها (الماريشال فوش).

قراءات في الحرب العالمية الاولى

- ١ - الدبابة
- ٢ - حرب الغازات .
- ٣ - الحرب الثورية .

١ - الدبابة .

لم تكن فكرة الدبابة بالفكرة الجديدة في عالم الحرب ، إذ أن الترس ذاته لم يكن الا الوسيلة الدفاعية ضد النبال وضد ضربات السيوف وطعنات الرماح . ولقد استخدمت الجلود لحماية الابراج والمقاتلين تحتها عند الهجوم على القلاع والحصون . ولقد تطور السيف والترس باستمرار مع تطور الحروب . غير أن فكرة الدبابة الحديثة بقيت مستعصية على التنفيذ قبل اختراع المحركات الانفجارية . وما ان ظهر الجمود واستقرار الجبهات حتى اقترح عدد من الاشخاص المشبعين بالخيال - في انكلترا وفرنسا - عدة اقتراحات عن امكانية استعادة القدرة الحركية عن طريق تطوير الدروع . وظهرت دبابات الانقضاض الاولى ، واستخدمت أثناء معركة السوم في ١٥ ايلول - سبتمبر ١٩١٦ . ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الدبابات التي زجت في القتال ، بسبب بعض الاعطال الآلية - الميكانيكية - وصعوبات ساحة المعركة المزروعة بالحفر والخنادق . لكن الذين اشتركوا مع الدبابات برهنوا على أنه بالمستطاع خرق الجمود واستقرار الجبهات بوسائل آلية - ميكانيكية - مطورة ، وبعدد كبير من

الآليات المصفحة المستخدمة بكتل كبرى لا بزمير صغيرة. وقد تأكدت هذه الملاحظة بما قاله الألمان: «من أن الجنود أحسوا بعجزهم عن مقاومة الدبابات» أي أنهم كانوا يشعرون أنهم منزوعو السلاح. ولم تقدر القيادة البريطانية العليا هذه النقطة حق قدرها، ولهذا استمرت في استخدام الدبابات بزمير صغيرة حتى معركة كامبري.

كان الهدف المحدد للقوات في معركة كامبري هو القيام باختراق مباغت لأربعة خطوط من الخنادق والتحصينات، خلال ١٢ ساعة، دون أي نوع من التمهيد المدفعي. وكان من الواجب أن تسبق تسع كتائب من الدبابات، أي ما يعادل ٣٧٨ آلية قتال، فيلقي مشاة إلى خط هندنبورغ. وهو من أروع الخطوط المحصنة في الجبهة الغربية. وكان هذا الخط محمياً بأسلاك شائكة كثيفة جداً، معظمها يقع في سفح - معاكس، ويتطلب خرقها قصفاً مدفعياً يستمر عدة أسابيع، وعدداً من آلاف اطنان القنابل. وبدأ الانقضاض فوق أرض في حالة جيدة في الساعة ٦٢٠ من يوم ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٧. وفر الألمان بعد أن هيمن عليهم الذعر، وشتتهم الهلع. وفي الساعة ١٦٠٠ تحقق الخرق على جبهة ٣ كم من قاعدة انطلاق عرضها ٤ كم. وفي معركة (الايبر) الثالثة تحقق تقدم معادل لهذا التقدم دون اختراق، وخلال ثلاثة أشهر، وقع (٨٠٠٠) أسير بين يدي المهاجمين، كما غنموا مائة مدفع. وبلغ عدد الأسرى وحدهم ضعف عدد الخسائر التي تعرض لها الفيلقان المهاجمان.

لقد كانت دروع المدرعات سميكة بدرجة كافية لحماية المشاة من نيران المشاة المعادية (البواريد والرشاشات) غير أن الصفائح لم تكن قادرة على الوقاية ضد قذائف المدفعية. وكان لا بد من زيادة سمك التصفيح من أجل الحماية ضد المدفعية فازداد بذلك ثقل الدبابة وتناقصت سرعتها، الأمر الذي أدى إلى زيادة قدرة المحرك لزيادة سرعة الدبابات. ولما عجزت المدافع عن التعامل ظهرت المدفعية المضادة للدبابات والتي تعتمد على الحشوة الجوفاء. وهكذا استمر الصراع بين السيف والترس، بين الدرع والقذيفة. وقد يكون من المناسب القاء لمحة على المواصفات التي حملتها الدبابات الأولى والتي كانت بداية التطور:

مميزات المركبات المدرعة في ٨ - آب - أغسطس - ١٩١٨.

المميزات	مارك ٤		مارك ٥		مارك ٥ ستار		مارك آ متوسطة	حامل مدفع
	الذكر	الأنثى	الذكر	الأنثى	الذكر	الأنثى		
الطول	٢٦ قدم	٢٦ قدم	٢٦ قدم	٢٦ قدم	٣٢ قدم	٣٢ قدم	٢٠ قدم	٣٠ قدم
الوزن	وه انش ٢٨ طن	وه انش ٢٧ طن	وه انش ٢٩ طن	وه انش ٢٨ طن	وه انش ٣٣ طن	وه انش ٣٢ طن	١٤ طن	٣٤ طن
عدد السدنة	ضابط	ضابط	ضابط	ضابط	ضابط	ضابط	ضابط	ضابط
السلح	٧ جندي	٧ جندي	٧ جندي	٧ جندي	٧ جندي	٧ جندي	٧ جندي	٣ جندي
	٢ مدفع ٦ رطل	٢ مدفع ٦ رطل	٢ مدفع ٦ رطل	٢ مدفع ٦ رطل	٢ مدفع ٦ رطل	١	٤	مدفع لويس
المحرك	٤ مدفع لويس	٤ هوتشكيس	٤ هوتشكيس	٤ هوتشكيس	١٥٠ حصان	١٥٠ حصان	٤٥ / ٢	١٠٥ حصان
	١٠٥ حصان	١٠٥ حصان	١٥٠ حصان	١٥٠ حصان	بخاري	بخاري	حصان بخاري	بخاري
السرعة القصوى	٧, ٣ ميل / ساعة	٧, ٣ ميل / ساعة	٦, ٤ ميل / ساعة	٦, ٤ ميل / ساعة	٤ ميل / ساعة	٤ ميل / ساعة	٨, ٣ ميل / ساعة	٣ ميل / ساعة
السرعة المتوسطة	٢ ميل / ساعة	٢ ميل / ساعة	٣ ميل / ساعة	٣ ميل / ساعة	٥ ميل / ساعة	٥ ميل / ساعة	٥ ميل / ساعة	١, ٧٥ ميل / ساعة
مجال العمل	١٥ ميل	١٥ ميل	٢٥ ميل	٢٥ ميل	١٨ ميل	١٨ ميل	٤٠ ميل	١٥ ميل

- - تستطيع مارك ٥ ستار حمل ٢٠ رجلاً، علاوة على سدنتها.
- - يمكن تحويل حامل المدفع أو الدبابة مارك ٤ لنقل امدادات بوزن ١٠ أطنان.
- - يتعلق مجال العمل بطبيعة الأرض.
- - صمم حامل المدفع أصلاً لحمل مدفع هاوتزر ٦ - انش، أو مدفع ٦٠ رطلاً.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدبابات الأولى قد تعرضت، وبسرعة، إلى تبدلات عديدة من أجل تحسين صفاتها الفنية ومميزاتها القتالية. فقد ازدادت سرعة حركتها حتى ١٢ - ١٣ كم/سا. وازدادت قدرتها على المسير حتى ١٥٠ كم، وظهرت انواع مختلفة من الدبابات تختلف باختلاف استخداماتها القتالي. كما ازدادت امكاناتها في المناورة، وتحسنت ظروف عمل السدنة داخل الدبابة. وازداد عدد الدبابات ازدياداً كبيراً، ففي نهاية الحرب، كان في جيوش الحلفاء اكثر من ثمانية آلاف دبابة. ومع ذلك، فان استخدام الدبابات لم يخرج عن الاطار التعبوي - التكتيكي - حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. واعطت الحرب أمثولات ناجحة عن استخدام الدبابات بالتعاون مع المشاة عند اختراق العمق التعبوي - التكتيكي - للدفاع. ولم ينجح تطوير الخرق حتى كامل عمق مسرح العمليات طوال فترة الحرب. ولم تشهد الحرب اية عملية خرق بالدبابات حتى عمق مسرح العمليات. وعلى كل حال، فقد كان الاستخدام الكثيف للدبابات هو المقدمة الحقيقية لتنظيم العمليات الهجومية العميقة وتنفيذها. وكان غياب النظرية العلمية في موضوع تنظيم الدبابات واستخدامها، وعدم توافر الخبرة الكافية في استخدامها العملي هو العائق أمام حل معضلة الاختراق العميق في الحرب العالمية الاولى. وكان لا بد من انتظار الحرب العالمية الثانية لظهور النظرية التي تضع الدبابة في مكانها الصحيح من المعركة الحديثة.

٢ - حرب الغازات.

بدأ الألمان بحثهم عن وسيلة مناسبة لاختراج جنود اعدائهم من خنادقهم في محاولة للقضاء على الجمود الذي هيمن على جبهات القتال. وكان استخدام (الغازات الخانقة) في جملة الوسائل التي تم اللجوء اليها للقضاء على جنود الحلفاء أو نزع سلاحهم. وقد اختار الالمان (غاز الكلور) للوصول الى اغراضهم. وغاز الكلور هذا مادة تجارية معروفة، يمكن الحصول عليها بكميات كبيرة، ينبعث من أوعية معدنية توضع على سترة خنادق الخط الأول. وكان من حسن حظ الجنود البريطانيين

والفرنسيين أن الألمان كانوا يجهلون قيمة الوسيلة التي سيستخدمونها، وما يتوافر لهذه الوسيلة من قدرات لو أمكن لهم استخدامها بصورة صحيحة لاستطاعوا كسب الحرب. وعلى هذا فإن الألمان لم ينتظروا حتى يجمعوا عدداً كافياً من الاسطوانات لاجداث اختناق على جبهة واسعة. ويظهر أنهم اعتبروا بأن هجومهم بالغازات المتلفة ما هو الا تجربة لا تتسم بأهمية كبرى. وكان المكان المتبقي هو قطاع من الواجهة الشمالية - الشرقية لتتوء الاير - في نقطة اتصال الخطوط الفرنسية والانكليزية، وهي النقطة التي كانت تدافع عنها قوات جزائرية وكندية(*) .

وقع الهجوم في الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٢ نيسان - ابريل سنة ١٩١٥. وابتدأ بقصف عنيف، وعندما توقف القصف ارتفعت من خط النار الالماني سحابة من الغاز الأصفر المائل إلى الأخضر اللون، وانتقلت الى خنادق الحلفاء. وكانت آثارها مدمرة تماماً. فقد اختنق حتى الموت كل الجنود الذين وجدوا في حدود انتشار السحابة. وفر من استطاع النجاة إلى الخلف وهو في حالة من الذعر الذي لا يوصف. ثم استخدم الغاز مرة أخرى يوم ٢٤، وكان من نتيجة استخدامه انسحاب الخط الفرنسي - البريطاني حتى مسافة خمسة كيلومترات إلى الورا، حيث المناطق المجاورة لاير. ولكن الشيء الذي أهمل الالمان تقديره هو أن الهجوم بغاز الكلور لا يمكن تكراره بنجاح مماثل، لان بالمستطاع مجابهته بالاقنعة الواقية، أو بقطع من القطن المبلل - المشبعة بمحلول كيميائي خاص. وقد وزعت هذه التجهيزات فوراً على جيوش التحالف، واستبدلت في العام ١٩١٦ بالاقنعة الواقية من الغازات(**).

كان للهجوم بالغازات محاذيره الكثيرة، إذ أن تأثير الغازات

(*) تجدر الاشارة إلى أن المانيا كانت قد وقعت على اتفاقية لاهاي لعام ١٨٩٩، والتي تحرم استخدام السموم كاسلحة حربية. غير أن ذلك لم يمنعها من استخدام هذه الاسلحة لمجابهة مأزق الحرب.

(**) كان اللورد دوندونالد البريطاني قد اقترح أثناء حرب القرم (سنة ١٨٥٥) استخدام الغازات السامة لخنق الجنود في الخنادق المعادية (باستخدام ابخرة الكبريت) وكان الدكتور ستنهوس قد اخترع قبل ذلك بعام (١٨٥٤) القناع التنفسي الاول الواقى من الغازات، باستخدام فحم الخشب.

وفعاليتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً باتجاه الهواء وسرعته . وكانت الاسطوانات ثقيلة في الحمل ، ومن الصعب مركزتها نظراً لضخامتها . وعندما توضع في الأماكن المعدة لها يصبح من المحال على الجنود البقاء إلى جانبها لأنها تحبط من عزائمهم وتؤثر على روحهم المعنوية ، لا سيما إذا ما اضطروا إلى البقاء بجانبها اسابيع متتالية يمكن خلالها للقصف المدفعي المعادي أن يصيبها بقنبلة عارضة فتنفجر، وكان الهجوم بواسطتها يتبع طريقة ثابتة . وقد أمكن لهم التغلب على هذه المحاذير بتبني قنبلة الغاز وقنبلة الغاز والقاذف (ليفتر) وهو قذاف يتكون من اسطوانة تحتوي على ١٣,٥ كيلوغرام من الغاز . ويمكن تربيضه في خندق قليل العمق، ويستخدم للرمي أثناء العمليات . وقد رمى الانكليز في أحد الأيام بواسطته ٢٥٠٠ صلية على (لانس) . وكان من مميزات قنبلة الغاز أنها لا تتأثر بالريح ، وتسمح بانطلاق كميات من الغازات على اهداف منتقاة ومحددة بصورة مباغتة ، ولا تتطلب تدريباً خاصاً ، ويمكن لها فوق ذلك مرافقة الهجوم المتحرك . وكان المحذور الوحيد هو أن هذه القنبلة كانت ذات قدرة محدودة ، غير أنه أمكن التغلب على جزء من هذا المحذور باستخدام غازات أقوى من الكلور ، وبخاصة غاز الفوسجين والغاز الخردلي - المستردة - وهو الذي عرف أيضاً باسم (الصليب الاصفر) أو (الايريت) وهو مادة كيميائية ومادة نفطية ثابتة ، ولكن هذا الغاز نادراً ما يقتل . غير أن الجنود المصابين به ، بشكل سائل أو بخار ، يتعرضون لحروق قوية في الجلد ، وتظهر هذه الحروق بعد أربع إلى ١٢ ساعة ، وتشفى ببطء شديد . ونظراً لأن كمية قليلة من هذا الغاز تعتبر كافية لاربعة ملايين جزء من الهواء لاجداث الحروق ، فقد كان ملائماً جداً لقنابل المدفعية ، وتكفي بعض قنابل الغاز لاجداث خسائر كبيرة خلال عدد قليل من الساعات - حتى بضع أيام فيما بعد - لأن ثباته في الهواء لا يتعرض للاضمحلال ، كما أن امتصاص الأرض له يتم بصورة بطيئة جداً .

استخدم الالمان الغاز الخردلي - المستردة - للمرة الاولى في نتوء الاير - يوم ١١ تموز - يوليو ١٩١٧ ، واجداث خلال الاسابيع الستة التالية اكثر من (٢٠) ألف اصابة في وسط القوات البريطانية . ومنذ ذلك الوقت بدأ

الانكليز والفرنسيون في صناعته بكميات كبيرة. وتم أول استخدام ماهر للغازات أثناء محاولة المانية لاختراق جبهة (ريغا) في الأول من ايلول - سبتمبر ١٩١٧. واختار الألمان قطاعاً من الخطوط الروسية عرضه ١٤٠٠ متراً. وحشدت أمامه مدفعية قوية - بمعدل مدفع في كل مترين ونصف - وتم اغرقه بقنابل الغازات، قبل انطلاق القوات لمهاجمته. وانتهت العملية بكاملها في بضع ساعات، وكان سبب نجاحها اسلوبها التعبوي - التكتيكي - الذي لم يكن هدفه تدمير الاسلاك والخنادق، بل شل المدافعين عنها. واستخدم الالمان هذا الاسلوب التعبوي - التكتيكي - في معاركهم الكبرى على الجبهة الغربية في آذار - مارس ونيسان - ابريل وأيار - مايو وحزيران - يونيو ١٩١٨. واستخدموا فيها الفوسجين والغاز الخردلي بشكل هائل قبل الهجوم، وذلك بهدف اضعاف معنويات الخصم. وكانت الغازات في الفترة من ٢١ آذار - مارس وحتى ٥ نيسان - ابريل هي أحد العوامل الهامة التي سمحت للالمان بدفع البريطانيين إلى الخلف على امتداد جبهة ٢٠ كم (بين آراس ولافير) والتقدم حوالى ٦٥ كم. وفي نيسان - ابريل أغرقت أرمانتير بالغاز الخردلي، حتى ان الناس يروون أن الغاز كان يسيل في قنوات الصرف في الشوارع. وهكذا تمكن الالمان من الاستيلاء على المدينة - دون الدخول اليها - بخسائر لا تكاد تذكر. وقد صنفت الغازات تبعاً لتأثيراتها الى: غازات خانقة، وغازات خارقة وغازات الاعصاب، وادخلت في اطار اسلحة التدمير الشامل التي شملت ايضاً الاسلحة البيولوجية (الجراثيم).

٣ - الحرب الثورية.

استطالت سنوات الحرب وتمددت، وكان من الامور البديهية أن يتزايد الارهاق باستمرار، وأن تتعرض القوى للانهاك والاستنزاف بصورة متعاطمة. غير أن أهم عاملين تسببا في انهيار الامبراطوريتين المركزيتين (المانيا والنمسا - هنغاريا) كانا حصار الانكليز، واستخدام الحكومة البريطانية للدعاية بمهارة وذكاء: فقد أصاب العامل الأول الاحتياجات الاساسية للعدو، على حين ضرب الثاني قوته المعنوية.

اعلنت بريطانيا الحصار ضد المانيا بمجرد اندلاع لهيب الحرب العالمية الاولى، غير أن تنفيذ هذا الحصار الاقتصادي لم يصبح فعالاً إلا بعد أن عززت بريطانيا الحواجز والموانع تدريجياً بمجموعة من القوانين والتدابير. وكان المرسوم الثاني من المراسيم قد صدر في ٢٩ تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٤ ونص على منع شحن كل مواد التموين إلى المانيا والنمسا. ورد الألمان على ذلك باعلان الحصار بالغواصات في كل المياه الاقليمية المحيطة ببريطانيا العظمى وايرلنده. وقد أدى هذا القرار إلى نسف الباخرة (اللوزيتانيا) في ٧ أيار - مايو وإلى موت ١٢٨ أمريكياً. الأمر الذي جعل الولايات المتحدة (تقشعر من الهول) و(تعلن الحرب بصيحات عالية). وعملت بريطانيا على التخلص من المعارضة الامريكية لتفتيش المراكب في البحر، وما لبثت بعد ذلك حتى أصدرت قانوناً أعلنت فيه أن كل البضائع الصادرة عن المانيا أو الواردة اليها هي بضائع مهربة. وبهذا الشكل اقيم الحصار الشامل. وأمر القيصر - امبراطور المانيا - بايقاف كل الهجمات ضد السفن الحياضية والمراكب التجارية التي تنقل الركاب المسافرين. وذلك بعد أن أرهبته صرخة الغضب الامريكية. واستمر هذا الوضع حتى ٣١ كانون الثاني - يناير ١٩١٧ حيث عاد امبراطور المانيا فأعلن حرب الغواصات حتى النهاية. واستثمرت أمريكا هذا الموقف فعبأت الرأي العام الامريكي وأعلنت الحرب على المانيا في شهر نيسان - ابريل وأصاب الحصار مزارع البلاد المعادية ومصانعها، وشمل الرجال والنساء والأطفال، ولو لم يكن في وسع الامبراطوريات المركزية الاعتماد على حبوب رومانيا واوكرانيا لاضطرتها المجاعة الى الاستسلام. لا سيما وان انتاج (النمسا - هنغاريا) من المواشي قد تناقص ابتداء من شهر اب - أغسطس ١٩١٤ من (١٧,٣٢٤,٠٠٠) رأس إلى (٣,٥١٨,٠٠٠) رأس بالنسبة للاغنام، ومن (٧,٦٧٨,٠٠٠) إلى (٢١٤) ألفاً بالنسبة للخنازير. وقد قدروا أيضاً أن (٨٠) ألفاً من غير المقاتلين ماتوا بسبب الجوع أو بسبب أمراض تعزى إلى سوء التغذية، أي ما يعادل من ماتوا غرقاً بسبب هجمات الغواصات ضد المراكب الانكليزية مضروباً بخمسين مرة - وذلك في ألمانيا خلال السنتين الاخيرتين من الحصار.

خلق تضيق الحصار أرضاً خصبة لبذر بذور الدعاية في ألمانيا. ولم يعرف التاريخ من قبل حرباً نفسية - دعائية - تميزت بقذارتها ودناءتها وشدة عنفها كمثل هذه الحرب. فقد استطاع القادة في حرب الانفصال الأمريكية تجنب هذه الحرب. وكذلك فعل نابليون بونابرت الذي أحجم عن إطلاق (الحقد الدفين) للاقنان الروس والاوكرانيين في حملته ١٨١٢ وكان في وسعه التحريض على الثورة في فرنسا أثناء حكم المائة يوم، إلا أنه لم يفعل ذلك. وقد أظهر الدوق ويلينغتون تقززه واشمئزازه من إحداث أية ثورة في أي بلد من البلدان. وفي العام ١٨٧٠م، لم يحاول بسمارك مساعدة كومونة باريس. وكانت روسيا القيصرية هي الدولة الوحيدة التي عملت باستمرار على تحريض الشعوب البلقانية والشعوب الأوروبية ضد سلطة الدولة العثمانية الإسلامية - بحجة حمايتها للمذهب الارثوذكسي (وقد ظهر ذلك واضحاً في حروب اليونان وفي فتنة بلاد الشام ١٨٦٠ - المعروفة باسم طوشة النصارى). ولعل السبب الذي كان يدفع رجال الدول إلى تجنب تشجيع الثورة بدلاً من تخميرها في البلدان المعادية هو أنهم في الماضي كانوا يشنون الحرب لتبديل سياسة العدو، لا تبديل حكومته التي تصنع هذه السياسة. فكان هدف الحرب هو حمل الحكومة المعادية على تبديل خطها السياسي. ولو أن هذه الحكومة قد قلبت، فانه لن تكون هناك سلطة ثابتة يمكن اجراء مفاوضات السلم معها. وهكذا، فقد كان العالم في ذلك الوقت سليم الفكر. وكان بالمستطاع اعتبار أن فكرة خلق الفوضى الاجتماعية في البلد المعادي هي فكرة مضادة للاحساس السليم، بالنسبة اليه - أي بالنسبة للطرف الذي يرغب في تبديل الخط السياسي للطرف الآخر.

استخدمت الحرب الدعائية أداة للسيطرة على افكار الجماهير والرأي العام بهدف:

- ١ - تحريض الجماهير وتحريكها على جبهتها الداخلية.
- ٢ - ربح جماهير الشعوب الحيادية الى جانب القضية التي يتم طرحها والدفاع عنها في الحرب.

٣ - زعزعة افكار الجماهير على الجبهة الداخلية للعدو .

ويمكن الوصول إلى الهدف الأول من هذه الاهداف بايقاظ الغرائز البدائية الكامنة لدى الفرد . - الحقد - وتوجيهها في مجرى محدد، مع تصوير العدو على أنه شيطان مريد .

ويتضمن الهدف الثاني جذب الامم الحيادية واقناعها بقبول شيطانية الخصم والايان بها على اساس أنها حقيقة واقعية، وذلك على نحو ما فعلته الدعاية البريطانية، ونجحت في تحقيقه، في الولايات المتحدة . وبات الامريكيون وهم مدفوعون بأفكار هيمنت عليهم، مثل : ان الجنود الألمان كانوا يقطعون أيدي الأطفال البلجيكيين، ويصلبون أسراهم . فدخل الامريكيون الحرب بهستيرية انفعالية لا يمكن للمرء أن يفهمها الا عندما يعرف قوة الاثارة التي يخلقها شعور عام لامة بكاملها، وضعت في ظروف عدائية . وقد وصف هذا الانفعال الجنوني والبدائي بالكلمات التالية : «كنا نمتلىء بحقد جماعي يصعد إلى رؤوسنا . . . لقد حضرت اجتماعاً كبيراً عقد في بريطانيا الجديدة - نيوانكلند - في كنف كنيسة مسيحية - فليغفر الله لي . . . كان أحد الخطباء يطالب بأن يغلى امبراطور المانيا في الزيت عندما يؤسر . وصعد كل الحضور على الكراسي وهم يطلقون صرخات التأييد الجنونية . تلك هي التدابير التي وجدنا أنفسنا محاطين بها، وذلك كان نوعاً الجنون الذي تملكنا» وفي مقولة اخرى : «كانت أحد أكثر الاكتشافات رعباً في الحرب كلها هي السهولة التي سمح فيها للتقنية الحديثة والتلقين الجماعي لحكومة من الحكومات باقناع شعب ذكي، متمتع بالتقاليد الفردية والديموقراطية، بأن يصدق كل ما تلقنه اياه حكومته وتريد منه أن يصدق» .

ويتضمن الهدف الثالث تفتيت العدو معنوياً . بزعزعة ولاء شعبه وقواته المسلحة، وذلك لحرمانه من الايمان بالقضية التي يقاتل من أجلها .

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى، وضعت ألمانيا سياستها تجاه روسيا على اساس الهجوم على الجبهة الداخلية، واستثارة الاقليات لاقامة وتشكيل حركات وطنية استقلالية، وسرعان ما استجابت شعوب فنلندا

وايستونيا وبولونيا وليتوانيا واوكرانيا والقفقاس وسيبيريا واخذت في المطالبة باقامة حكم ذاتي . واستمرت المانيا على نهجها وهي تقاتل الجيش الروسي . وكانت تستخدم أيضاً الثوريين الروس المهاجرين خارج بلادهم لاثارة الاضطرابات في الجيش وفي المصانع الروسية . وكانت القيادة الالمانية العليا قد اتصلت بفلاديمير ايليتش اوليانوف (١٨٧٠ - ١٩٢٤) الذي اشتهر باسم (لينين) منذ سنة ١٩١٥ وذلك عندما كان لينين في زوريخ . وعندما انفجرت الثورة في بيتروغراد سنة ١٩١٧ ، قرر لينين العودة إلى روسيا وكتب إلى صديق من اصدقائه يطلب اليه الحصول على جواز سفر له ، وقد قدم طلب الجواز إلى وزير المانيا في بيرن - البارون رومبرغ - الذي نقل بدوره الطلب إلى برلين . ولما كانت الحكومة الالمانية في برلين ترغب في اخراج روسيا من الحرب حتى تتمكن من نقل قواتها إلى جبهة الغرب ، فقد قررت فور استلام برقية - رومبرغ - أن تلعب لعبتها ، وان ترسل لينين إلى روسيا . وتلقى رومبرغ التعليمات لتنظيم نقل لينين مع ٣١ ثورياً (١٩ منهم من البولشفيك) إلى السويد وإلى المانيا .

نجحت الثورة في روسيا ، غير أن لهيبتها ارتد إلى المانيا . ففي ٣ من تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨ تمرد رجال البحرية الالمانية في كييل . وتعرضت برلين لغزو الثورة . وفي ٢٩ منه تنازل امبراطور المانيا . وابرمت الحكومة الثورية الالمانية الهدنة مع الحلفاء في غابة كومبيين .

هكذا أدى انهيار الجبهة الداخلية إلى زوال اسرة رومانوف وسقوط النظام القيصري وقيام الثورة الاشتراكية .

وهكذا أدى انهيار الحكومة الالمانية إلى زوال العرش الالمانى ، وقيام نظام جمهوري وحكومة اشتراكية .

وهكذا زالت السلالة الملكية النمساوية - الهنغارية بالطريقة ذاتها .

وأصبح الجهد الموجه على الجبهات الداخلية يزيد في اهميته على الجهد الموجه لميادين الصراع المسلح . وبات الاقتران بينهما ثابتاً ووطيداً .

ورسمت الحرب العالمية الاولى الملامح الاولى لما ستكون عليه صراعات المستقبل .

المراجع الرئيسية للبحث

- ١ - رواد الاستراتيجية الحديثة (ادوار ميد ايرل وآخرين) ترجمة وتقديم الاميرالاي اركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
- ٢ - ادارة الحرب (الجنرال ج.ف.س. فوللر) ترجمة اكرم ديري - دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٣ - تاريخ فن الحرب (الجنرال ستروكوف) نقله عن الروسية العميد الركن صباح الدين الاتاسي - وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٦٨
- 4 - THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTREN WORLD (J.F.C.FULLER) PALADIN 1975
- 5 - ENCYCLOPAEDIA OF MODERN WAR (ROGER PARKINSON) PALADIN « 1977.
- 6 - THE WAR LORDS (FIELD MARSHAL SIR MICHAEL CARVER) WEIDENFELD AND NICOLSON « - LONDON 1976.
- 7 - WHO.S' WHO IN MILITARY HISTORY - WEIDENFLED AND NICOLSON - LONDON - 1976.

الفهرس

المقدمة	٧
الوجيز في حياة الماريشال فوش	١١
من أقوال الماريشال فوش	١٣
الفصل الاول	
١ - في متحف الذكريات	١٩
٢ - المدرسة العسكرية الفرنسية	٢٣
٣ - فوش وتطور الفكر العسكري الفرنسي	٤٤
الفصل الثاني	
١ - فوش والحرب العالمية الاولى	٦٩
٢ - مخططات الحرب، ومصيرها	٧٥
٣ - تطور الحرب (سنة ١٩١٥)	٩٦
٤ - الحرب في فردان والسوم (سنة ١٩١٦)	١٠١
٥ - الطريق نحو الحسم (كامبري ١٩١٧)	١٠٨
٦ - فوش - ونهاية الحرب (١٩١٨)	١١٨
٧ - لماذا فوش؟	١٢٧
قراءات في الحرب العالمية الاولى	
١ - الدبابة	١٣٥
٢ - حرب الغازات	١٣٨
٣ - الحرب الثورية	١٤١
المراجع الرئيسية للبحث	١٤٦
الفهرس	١٤٧

صدر للمؤلف عن
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

(أ) مجموعة مشاهير قادة العالم :

١ - الاسكندر المقدوني

٢ - هانيبال (هاني بعل)

٣ - يوليوس قيصر

٤ - مارلبورو

٥ - فريدريك الكبير

٦ - بطرس الاكبر

٧ - جورج واشنطن

٨ - نابليون بوناپرت

٩ - كوتوزوف

١٠ - نيلسون

١١ - بيجو

١٢ - فون مولتكه

١٣ - لودندورف

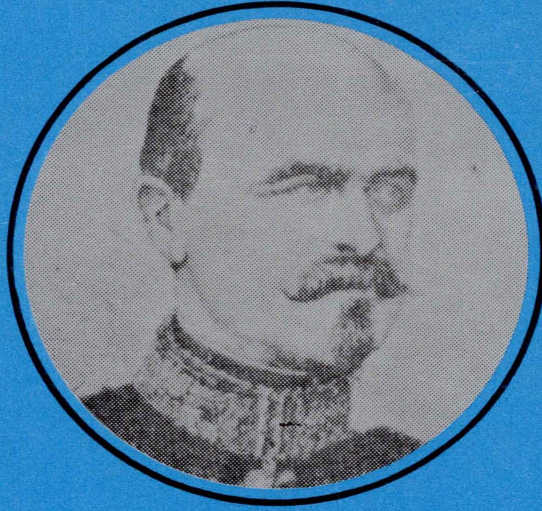
١٤ - فوش

١٥ - الجنرال اللنبي (تحت الطبع)

(ب) الحرب والحضارة

(ج) مذكرات ليدل هارت (مترجم)

(د) الحرب المباغتة، والمباغتة في الحروب العربية الاسرائيلية (مترجم
ومقدم له).



كان الماريشال فوش رائد الفكر العسكري الفرنسي في مطلع القرن العشرين، وان اسهامه في برمجة الفكر العسكري العالمي وضعه بحق في مرتبة رواد الفكر الاستراتيجي العالمي. لقد عمل فوش تلميذاً من تلاميذ التاريخ العسكري ثم استاذاً من أساتذته، فكان مثلاً للتعليم والتعليم، للتقليد والإبداع، للأخذ والعطاء. أما مدرسة فوش العسكرية فلا تكمن أهميتها فيما قدمته من مبادئ نظرية وإنما في إخضاع هذه المبادئ للتجربة العملية، فكان بذلك رائداً من رواد المدرسة التطبيقية في العلوم والفنون فضلاً عن توليه قيادة أضخم جيش عرفه التاريخ حتى ذلك الحين إذ بلغ تعداده أكثر من مليوني جندي ومئة ألف ضابط.

كان فوش نموذجاً للتوازن بين (هدف الحرب) و(غاية السلام) وهذا برهان آخر على ما كان يتميز به ذلك الرائد التاريخي من التوازن في عامة الأمور وخاصتها مما جعل منه نموذجاً للرجال ومثالاً للقيادة الحق.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير

ت : ٣١٢١٥٦ - برقياً « موكيالي » بيروت

ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

التمن : ١٤ ل.ل.

أو ما يعادلها